

علي خنوف

تاريخ منطقة
جيجل
قديما و حديثا



جيجل سنة 1664




مكتبة طريق العلم

300,00

تاريخ منطقة جيجل

قديما وحديثا

تأليف : علي خنوف

الطبعة الأولى

الإيداع القانوني:2007- 2011

ردمك: 3- 88 - 707 - 9961 - 978

منشورات الأنيس

تعاونية العلم رقم 17 جنان عشابو دالي ابراهيم- الجزائر

الهاتف: 03 91 95 070 * فاكس: 84 86 00 017



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تؤكد تجارب الحياة أن الإنسان عندما يبلغ مرحلة معينة من العمر يتزايد لديه الإحساس بأهمية مرحلة الطفولة وحميميتها، وتصبح المراحل الأخرى، حلوها ومرها، أقل أهمية بالنسبة للمرحلة الأولى. فأحداث الطفولة وذكرياتها أيا كان لونها، سواء أكانت خيرا وسعادة أو فقرا وتعاسة، تظل راسخة في ذهن الإنسان مرتسمة بخياله ويحلو له دوما التحدث عنها والتركيز عليها، يريد أن يسجل مكان وزمان تلك الأحداث التي يحبها ويحب أن يشارك الناس معه فيها. وانطلاقا من هذا الإحساس، ورغم نزوحي بصفة نهائية من منطقة جيجل - التي هي مسقط رأسي - منذ أكثر من نصف قرن، إلا أن رغبة الطفولة الجامحة والشعور المتعاظم بها في هذه المرحلة المتقدمة من عمرى يشكلان عاملا أساسيا في تحفيزي على تأليف هذا الكتاب، الذي جعلت عنوانه: "تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا "؛ رغم أن تاريخ المنطقة المكتوب بشكل صريح وموثق يبدأ أساسا من الاحتلال الفرنسي، أي من سنة 1830.

أما قبل ذلك فالنصوص التاريخية فيما يخص منطقة جيجل شحيحة، إن لم أقل نادرة، بالنسبة لكافة العهود باستثناء العهدين العثماني والفرنسي. فالأول كانت بدايته من تلك المنطقة ، حيث نوهت الكتب والوثائق التاريخية بأحداثها عندما حل بها الأخوان عروج وخير الدين، لكنها أضحت في طي الإهمال بعد أن رحلا عنها، وبناء عليه لا ينتظر مني القارئ الكريم الكثير من المعلومات في الفصول الأولى من الكتاب، إذ أنها مجرد توطئة للموضوع الرئيسي الذي يدور حوله. ولذلك سأكتفي في تلك الفصول بالمعلومات العامة والاستنتاجات والتفسيرات المشتقة من الإشارات التي وجدتها في أمهات الكتب التي ألفها المؤرخون العرب والإسلاميون، وعلى الأخص المؤلفات التي تتناول عصور ما قبل التاريخ والعهود التاريخية القديمة بما فيها العهد الإسلامي الذي يعد الأقرب، كما يعد الأهم والأكثر تأثيرا على بلادنا وهويتها التاريخية والاجتماعية والثقافية.

وعلى الرغم من بقاء نتائج العهد الإسلامي إلى اليوم، إلا أن الكتب التاريخية الأساسية العربية الإسلامية التي اهتمت بأحداثه منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، لم تول اهتمامها بالتاريخ الجهوي إلا في نطاق الاهتمام بمنطقة يحكمها أمير أو حاكم معروف. في هذا السياق تصبح المدينة أو المنطقة محل اهتمام المؤرخين، أما إذا لم يحدث شيء من هذا، فسرعان ما يلف هذه المنطقة أوتلك الإهمال وتفقد أهميتها بالنسبة للمؤرخين العرب والإسلاميين.

وحالة منطقة جيجل لا تشذ عن هذه القاعدة، بل تشكل نموذجا لهذه الظاهرة، فقد أفردت الكتب والمؤلفات التاريخية الكثير من العناية والاهتمام للفترة القصيرة التي حل فيها بالمنطقة الأخوان عروج وخير الدين، ولكن سرعان ما أهملها المؤرخون بعد رحيلهما عنها.

ويمكن أن نذكر مثالا آخر على صحة هذه الظاهرة، ظاهرة الإقبال أو العزوف عن الكتابة التاريخية عن منطقة ما طبقا لارتباطها بشهرة أمير أو حاكم، بالعناية التي خصها ابن خلدون للدولة الحفصية، خاصة أنه يعد أقرب المؤرخين الكبار إلى منطقة جيجل زمانيا ومكانيا، وحيث عاش جزءا كبيرا من حياته في عهد الدولة الحفصية - خلال القرن الرابع عشر- وكان هو وآباؤه وأجداده من المشاركين في صناعة الكثير من الأحداث والصراعات التي عرفتها تلك الدولة، وعلى الأخص في الإمارتين الغربيتين، بجاية وقسنطينة. فقد أفرد ابن خلدون الجزء السادس من كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" للحديث عن هذه الدولة، وكذا الدولة الحمادية قبلها بصورة متفاوتة، حيث ذكر بجاية أكثر من ثلاثمائة مرة وقسنطينة أكثر من مائتي مرة، ولكنه لم يذكر جيجل أو إقليمها الجغرافي الواقع بينهما إلا مرة واحدة في جملة قصيرة وردت في كتابه، وهي قوله: (وغربه إلى جيجل).

وعلى الرغم مما يمكن أن تثيره عملية التركيز على كتابة تاريخ جهة معينة دون غيرها من نوازع أو ميول جهوية، إلا أنني لم أقصد من الرغبة في الكتابة عن تاريخ المنطقة أية أغراض جهوية مقيتة، بل إن هذه الرغبة نابعة من قناعة تكونت لدي بضرورة الاهتمام بتاريخ الأقاليم والمناطق الجغرافية التي تشكل كلا لا يتجزأ من التاريخ العام لبلادنا، وعلى الأخص إذا كانت لهذا الإقليم أو ذاك معالم تاريخية
أو جغرافية خاصة به؛ لأن الاهتمام بالتاريخ القطاعي من شأنه أن يوفر تفاصيل وجزئيات الأحداث التاريخية التي لا تتاح للتاريخ الوطني العام الإلمام بها أو تدوينها، لقلة أهميتها بالنسبة للمنظور العام الذي يحكم هذا التاريخ؛ لأنه يهتم بالأحداث الكبرى التي لها اتصال مباشر بالوطن كله. فعلى سبيل المثال تذكر الكتب التاريخية العامة بأن الاستعمار الفرنسي بعد قضائه على ثورة المقراني سنة 1871 صادر كل الأراضي السهلية التي يملكها الجزائريون في المنطقة المعنية، كما أحرق الفرنسيون جميع القرى التي شاركت من قريب أو بعيد في تلك الثورة وقتلوا ساكنيها، إلى غير ذلك من المعلومات ذات الطابع العام. لكن التاريخ الجهوي أو القطاعي هو الذي يذكر الأفراد والجماعات التي

صودرت أراضيهم والقرى التي أحرقت وأبيد أصحابها الخ. والشيء نفسه بالنسبة لكفاح الأمير عبد القادر في الناحية الغربية، ففي خضم هذا الكفاح نتعرف على جهود رجال الأمير في بث الروح النضالية في أعراش الناحية، ونفس الشيء أيضا بالنسبة إلى التفاصيل التي ذكرتها في مختلف صفحات الكتاب عن أصول سكان منطقة جيجل وتوزعهم على مختلف نواحي المنطقة وأسماء أعراشهم وعاداتهم ومستواهم الفكري ونشاطهم الاقتصادي أثناء العهدين العثماني والفرنسي .

وأخيرا يجدر التأكيد على أن إفراد هذا المؤلف لتاريخ منطقة جيجل التي هي مسقط رأسي ومربع صباي، ليس من باب تفضيل سكان هذه المنطقة على بقية سكان المناطق الأخرى، إذ أنني كتبت عنها وعن سكانها بموضوعية؛ مستهدفا من وراء ذلك فقط المعرفة التاريخية لسكان الإقليم، اعتمادا على الوثائق التي كتبها الفرنسيون بعد احتلالهم له سنة 1839 - وهي الوحيدة في هذا الميدان - محاولا تفسيرها وتحليلها ومقارنتها بالتاريخ الشفوي قدر الإمكان.

وبالله التوفيق

الأبيار في 21 ماي 2007

الفصل الأول

الموقع والسكان

1. الموقع

يمكن أن نحدد منطقة جيجل التاريخية بذلك المستطيل الممتد أطرافه الشمالية من مصب وادي بوغريون وسط خليج بجاية إلى رأس العشايش غرب مدينة القل، أما من الناحية الجنوبية فتمتد أطرافه من السفوح الجنوبية لجبال بابور شمال العين الكبيرة إلى السفوح الشمالية لجبال سيدي إدريس شمال القرارم.

هذا المستطيل أغلب أراضيه جبلية وسهوله محدودة جدا لا تتجاوز العشرة في المائة من مجموع مساحته. فالمنطقة عبارة عن كتلة جبلية وهضبية متعددة الأشكال، محصورة بين واديين عميقين أثناء اختراقهما للجبال الصخرية. ومن الناحية الغربية وادي بوغريون الذي يفصلها عن جبال البيبان الشرقية. فهو ينبع من هضاب سطيف ويصب في وسط خليج بجاية.

أما من الناحية الشرقية فيفصلها وادي الرمال عن الكتلة الجبلية الواقعة جنوب القل. وهو ينبع من الهضاب الواقعة جنوب وغرب مدينة قسنطينة ويصب في البحر شرق مدينة جيجل.

والواديان يتشابهان في الفجاج والعوائق أثناء اختراقهما للجبال الصخرية في عدة مواقع، وعلى الأخص في نواحي خراطة المعروفة بشعاب" الاخرة" بالنسبة لوادي بوغريون، ونواحي سيدي معروف المعروفة بـ" بين الغدر(1)

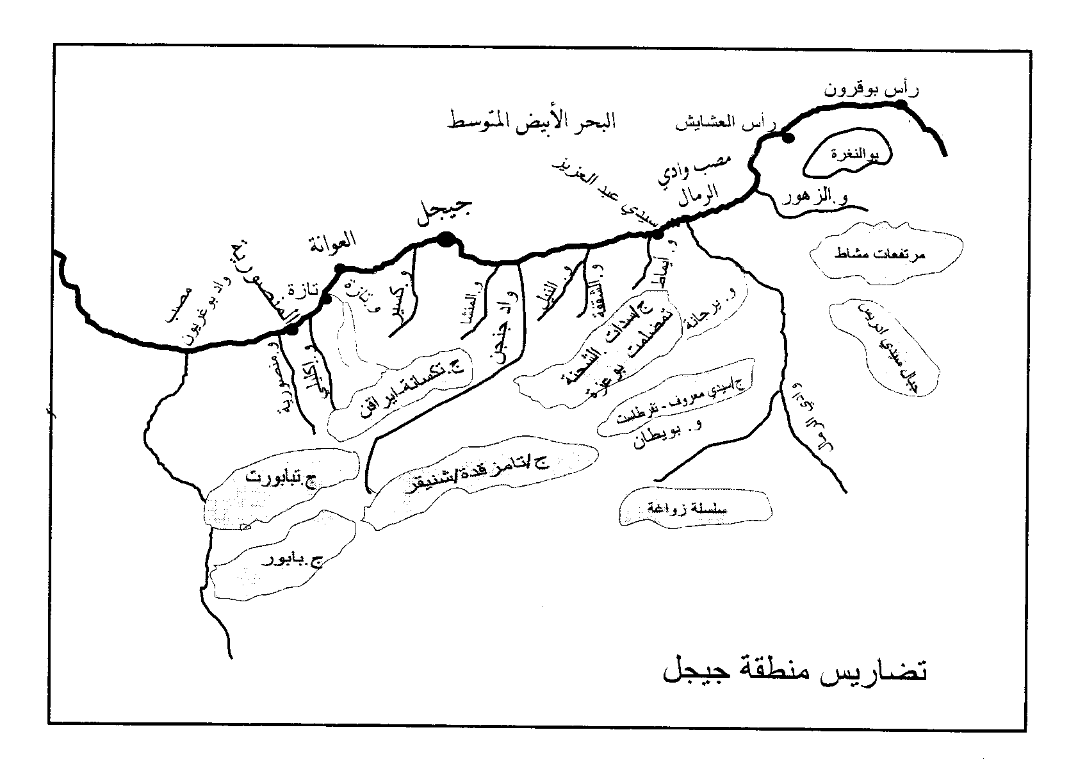
وتعد جبال منطقة جيجل جزءا مهما من الأطلس التلي الممتد من الحدود المغربية إلى الحدود التونسية. وأهم جبالها من الناحية الجنوبية السلاسل الجبلية بابور، شينقرا تمزكدة، زواغة، سيدي معروف، سيدي إدريس، وهي أكثر ارتفاعا من السلاسل الشمالية، إذ يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ألفي متر.

أما من الناحية الشمالية التي تطل على البحر، فأهمها سلاسل تابابورت، وإراقن، وبوحنش، وتاكسانة، وبوعزة، والشحنة، وتمضلامت وسدات وتافرطاست، ومرتفعات مشاط، وبوالنغرة جنوب غرب رأس بوقرعون. فهذه الجبال وما يتفرع عنها من سلاسل جبلية عديدة كلها مكسوة بالغابات الكثيفة المتنوعة بالأشجار والشجيرات والنباتات.

أما هضاب المنطقة فأغلبها يتركز في السفوح الجنوبية التي تمتد من العين الكبيرة شمال سطيف إلى جنوب مدينة سكيكدة، وهي خارجة عن نطاق دراستنا.

أما من الناحية الشمالية فهضابها قليلة، لأن جبالها محدودة، تبدأ في الارتفاع من مياه البحر ماعدا الجبال المحيطة بسهل جيجل، فتتكون في سفوحها هضاب ضيقة محيطة بسهل جيجل. ونفس الشيء بالنسبة للسهول، فهي محدودة لا تتعدى

بطون الأودية ومصباتها، مثل مصبات وادي جنجن ووادي النيل اللذين يشكلان سهل جيجل الضيق، ومصبي الوادي الكبير ووادي زهور. وهذا يتعلق بالناحية الشمالية، أما من الناحيتين الجنوبية والشرقية فتوجد سهول مجاورة خارجة عن منطقة جيجل المحددة، لكنها مهمة جدا، لخصوبة أراضيها. ولأنها لعبت دورا أساسيا في تاريخ المنطقة. وهي السهول المعروفة بـ"السرا" شمال سطيف والعلمة وشلغوم العيد وأحواض فرجيوة والقرارم وديدوش مراد.



تضاريس منطقة جيجل

هذه التضاريس الجبلية المتداخلة تخترقها وديان وشعاب عميقة ومتعددة تجري فيها المياه في كل فصول السنة، بعضها يتجه من الجنوب إلى الشمال مثل الواديين الكبيرين اللذين أشرت إليهما آنفا، بوغريون والرمال، وبعضها يتجه من الغرب إلى الشرق، مثل وادي جنجن الذي ينبع من جبال بابور، ويتجه شرقا بين السلسلتين الجبليتين: إراقن، تاكسانة، وشينقرا وتمزكيدة ثم ينزوي شمالا قرب مدينة جيملة، ويصب في البحر شرق مدينة جيجل.

أما أغلبها فهي وديان قصيرة لا يتجاوز طولها العشرين كيلومترا. وهي جميعها- باستثناء وادي جنجن وبويطان - تتجه مباشرة من منبعها في قمم الجبال إلى

مصبها في البحر. أي من الشمال إلى الجنوب، وأهمها وديان زياما منصورية وكليلي، وتازة، وكسير. هذه الوديان تصب في البحر غرب مدينة جيجل.

أما التي تصب شرقها فأهمها وديان جنجن، النيل، سيدي عبد العزيز، الرمال، وادي زهور. وبالإضافة إلى هذا هناك بعض الوديان الداخلية التي تشكل روافد هامة بالنسبة للوديان سالفة الذكر، وأهمها وادي الرور الذي يصب في وادي جنجن قرب جيملة، ووادي بوقرعون والشقفة اللذان يصبان في وادي النيل شمال الشقفة بالقرب من البحر، ووادي يرجانة الذي يصب في وادي الرمال بالعنصر، ووادي بويطان الذي يصب كذلك في وادي الرمال قرب سيدي معروف.

2. السكان

أ. سكان المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

إن الموقع الجبلي لمنطقة جيجل وشكل تضاريسها وتغطيتها بالغابات الكثيفة وكثرة الحيوانات المفترسة التي توجد بها كالأسود والنمور والضباع وغيرها التي كانت تجوب جبالها ووديانها وشعابها، في العصور القديمة والتي استمر وجودها إلى العهد الفرنسي حسبما ذكرته الكتب والصحف الفرنسية الصادرة حينذاك **(2)**.
هذا الموقع الطبيعي القاسي أخر تعميرها بالسكان إلى نهاية القرون الوسطى، وهذا باستثناء بعض الجيوب الساحلية المحدودة، أو الأطراف الجنوبية المطلة على السهول العالية شمال سطيف والعلمة. هذا في نهاية العصور الوسطى، أما بعدها فيؤكد الفرنسيون في وثائقهم الإدارية وإحصائياتهم اكتظاظ المنطقة بالسكان (سنتعرض إلى هذا الجانب لاحقا) مع فراغ السهول القريبة منها نسبيا، كما يدعون بأنهم ليسوا السبب كله في حشد السكان بالجبال بعد ثورة المقراني، بل كانوا من قبل يفضلونها على السهول. وهذا الادعاء، إن كان حقيقة، يدفعنا إلى طرح عدة تساؤلات منها: من هم هؤلاء السكان الذين يفضلون السكن في قمم الجبال على السهول؟. ومن أين جاءوا؟. وما هي أصولهم؟ وكيف كانت تركيبة قبائلهم وعشائرهم ونوعية مساكنهم وأنماط معيشتهم ونشاطاتهم الاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم ومستواهم الفكري والوازع الديني الخ؟.

ولا نبالغ إذا قلنا إنه لا أحد كان يعرف القليل أو الكثير عن سكان المنطقة الجبلية الممتدة من بجاية إلى عنابة، لا عن أصولهم ولا عن عددهم ولا عن معيشتهم ولا حتى عن أسماء قبائلهم وعشائرهم، وعلى الأخص قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830؛ لأن الإنسان الذي يكون قد سكنها قبل العصور الوسطى لم يترك لنا أي أثر يذكر، ففيما يخص إنسان ما قبل التاريخ، لم نسمع أو نقرأ إلى

حـد الآن أية اكتشافات لذلك الإنسان الذي يترك آثاره عادة في المغارات والكهوف، وهي كثيرة بجبال المنطقة، باستثناء تلك الاكتشافات المحتشمة القريبة من مدينة جيجل فـي مغارة تـازا وهضبة بني قـايد المطلة على مدينة جيجل.

أما في العصر التاريخي ومن ضمنه العهد الإسلامي الذي يعد آخر العهود (770 - 1830) فلا نجد مواقـع أثريـة مادية تذكـر، وحتى مدينة جيجل أزال بعض آثارها الاستعمار الفرنسي بعد احتلالها سنة 1839، وأتم بقيتها زلـزال سنة 1856. ونفس الشيء بالنسبة للآثـار الفكرية المكتوبة مثل النصوص التاريخية او الاشعار الشعبية المسجلة، ما عدا الأساطير الشفاهية المتوارثة عبر الأجيال.

هذا على المستوى المحلي، أما على المستوى الوطني أو العربي الإسلامي. ففي هذا المعنى يقول الدكتور صالح بن قربة في محاضرة ألقاها بجيجل سنة 1968" على الرغـم من كثرة ما ألفه المورخـون المسلمـون من كتب في التاريـخ والخطط والطبـقـات والجغـرافيـا والرحـلات والفقـه والحسبـة والأدب والموسوعـات والمعاجم المختلفة، فإن مدينة جيجل لـم تحظ باهتمام هـولاء المورخيـن سـواء اكـانـوا مغاربة أو مشارقـة بحيث لا تستوقف الباحث ...الخ" (3).

وفي الأخير نخص المحاضر، الإشارات التي عثر عليها في كتب المورخين العرب المسلمين التي تبدأ مع المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ إذ يقول: "حظيت جيجل بقسـط وافـر فـي كتاب ابن الأثير حيث أشار إليهـا في أحداث سنة 537 هـ - 1148م بقـولـه: جهزوا أسلحتهم في صقلية واتجهـوا الى المغـرب فوصلوا الى جيجل فلمـا رآهـم أهل البلـد هربـوا إلى البـراري والجبال فدخلهـا الفرنج وسبـوا مـن أدركـوا فيهـا وهدمـوهـا وأحرقـوهـا، وضربـوا القـصر الـذي بناه يحي بـن العزيـز بن حماد..." (4).

هذا فيما يخص مدينة جيجل عاصمة الإقليم، أما أقليمها الجغرافي فإن اول إشـارة مباشرة لسكان الإقليم، حسب المحاضر سالف الذكر، قد وردت في كتاب الحسـن الـوزان المعروف بـ "ليون الإفريقي" في كتابه المشهور"وصف إفريقيا" الذي ألفه في القـرن السادس عشـر في بداية العهد العثماني، إذ يقول فيه: " قصر جيجل رجاله بواسل كرماء وأوفياء وكلهـم فلاحـون وأراضيهم وعـرة غيـر صالحة إلا لـزراعـة الشعيـر والكتان والقنب الذي ينمو بكمية كبيرة".

يعـد هذا النـص - حسب المعلومـات التي بحوزتنـا - أول وصف مباشر لسكان إقليم جيجل قبل القرن السادس عشـر. وفي هذا الصدد لا بـد من التعـرض للمجلـد السادس من تاريـخ ابن خلدون المعـروف بكتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر" الذي ألفه في القرن الرابع عشر وأفرده تقريبا للحديث عن أصـول سكان شمال أفريقيا

وتحركهم. وقد ركز أكثر على سكان الجزائر. حيث تحدث فيه بالتفصيل عن القبائل البربرية وجذورها وبطونها وتفرعاتها من بداية العصور التاريخية إلى عهده. وكذلك القبائل العربية التي جاءت أثناء الفتح في القرن الثامن الميلادي أو الهلالية التي جاءت في القرن الحادي عشرالميلادي **(5)**.

وخلاصة ما قاله ابن خلدون عن سكان منطقة جيجل منذ بداية العهد الإسلامي في القرن الثامن إلى عهده في القرن الرابع عشر تحت عنوان: الخبر عن كتامة من بطون البرانس هي قوله: (وكانت تلك المواطن بلاد مذكورة لهم... ومجالات تقلبهم مثل إيكجان، وسطيف، والقل وجيجل ..الخ). وأهم جملة وردت في نص ابن خلدون حول سكان المنطقة هو انتسابهم من حيث الأصل إلى بطن من بطون كتامة المعروفة في عهده، وهذا عكس ما فعله أثناء تعرضه لبطون زواوة، فقد ذكر عدة بطون ما زالت إلى اليوم بأسمائها مثل بني مليكش وبني مشدالة وبني مكلات وبني غبرين وبني راثن وغيرهم.

وفي هذا المعنى يقول المرحوم مبارك الميلي في الجزء الثاني من كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث: (لم يذكر ابن خلدون في بطون كتامة القبائل المعروفة اليوم بفرجيوة وسكان الجبال ما بين سكيكدة وجيجل غير بني تيلان، وهناك من هم أكثر منهم مثل بني فوغال وبني ولبان وبني توفوت وبني خطاب وبني يدر، فإما أن تكون تلك البطون لا شأن لها لعهده أو أهملها لقلة خبرته بتلك الجبال، فإنه لم يحدثنا عنها لا بالقليل ولا بالكثير، ولم يذكر اسم خطاب الذي كان معروفا منذ القرن الثالث الهجري، فقد ذكر اليعقوبي في مراسي ميلة قلعة خطاب..الخ **(6)**.

إن الاحتمال الثاني الذي ذكره مبارك الميلي وهو: قلة خبرة ابن خلدون بالمنطقة صحيح، لأنه ذكر ذلك بنفسه في صفحة **264** من المجلد السادس من كتابه أثناء حديثه عن زواغة القريبة من ميلة، حيث قال "وأما زواغة فلم يتأدى إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل فيه الأقلام". فإذا كانت زواغة القريبة من ميلة وقسنطينة ومن البسائط (السهول) لا يعرف عنها شيئا، فما بالك بالقبائل الجبلية". هذا الاحتمال وارد، لكن الاحتمال الأقرب إلى المعقول والذي تؤيده انعدام الآثار المادية وشحة المعلومات التاريخية الوطنية والعربية الإسلامية هو الاحتمال الثاني الذي ذكره مبارك الميلي وهو: قلة شأن سكان المنطقة؛ لأنها في عهد ابن خلدون (القرن الرابع عشر الميلادي)لا شأن لها فيما يخص وضعها السكاني؛ لأنها ما زالت غابات وأحراش وجبال غير مأهولة بالسكان. أما أطرافها الشمالية والجنوبية، أي سفوح الجبال فربما بدأ التسلل إليها أثناء تعاقب الغزاة، وعلى الأخص الرومان والوندال والبيزنطيون قديما والفرنسيون حديثا.

أما اعماقها التي وجدها الفرنسيون بعد احتلالهم لها سنة 1839 فهي كثيفة جدا بالسكان، (كما سنتعرض له لا حقا)، واكبر الاحتمالات عندي أن التعمير بدأ كذلك بطريقة فردية طلبا للأمن من ظلم الحكام أو فرارا من عقابهم أو من دفع أنواع الضرائب أو من هجومات الجماعات البشرية المضادة.

وقد بدأ التسلل حسب تقديري في القرن الثاني عشر، واستمر على نفس الوتيرة حتى القرن التاسع عشر، وقد بدأ ذلك التسلل إلى الجبال الآمنة نتيجة للفوضى التي تعقب قيام وسقوط الدول التي تصارعت على حكم المنطقة. (الفاطميون، الحماديون، الموحدون، الحفصيون والعثمانيون) بالإضافة إلى الزحف الهلالي فهؤلاء المتسللون الأوائل يعدون النواة الأولى لسكان المنطقة، أي الجد الأول للقبائل والأعراش والعشائر الكثيرة التي عمرت جبال وهضاب المنطقة خلال العهد العثماني(1513 - 1830) (7).إذ لم ترد أسماء تلك القبائل والعشائر في امهات كتب التاريخ العربية الاسلامية التي ظهرت قبل القرن السادس عشر، وسنعرف اسماء تلك القبائل التي تشكلت بعد القرن السادس عشر بعد احتلال المنطقة من طرف الجيش الفرنسي سنة 1839م.

ب. سكان منطقة جيجل بعد الاحتلال الفرنسي

إذا كان العهد الإسلامي شحيحا بالمعلومات التريخية حول منطقة جيجل، فإن العهد الفرنسي ثري بها. ففي ظرف50 سنة (1875- 1925)الفت خمسة كتب حول تاريخ مدينة جيجل وإقليمها الجغرافي. وكان أول كتاب ظهر هو: كتاب تاريخ مدينة جيجل لشارل فيرو (8). وقد سبقت هذا الكتاب الجريدة الرسمية التي كانت تصدرها الولاية العامة بالجزائر (9). فابتداء من 1865م بدأت تنشر معلومات تاريخية عن كل عرش جزائري أثناء تطبيق القانون المعروف بسيناتوس كونسيلت(10) .

وابتداء من سنة 1867 بدأت تنشر تقارير مفصلة عن قبائل وعشائر منطقة جيجل، وكانت تتناول في تلك التقارير أصول سكان كل قبيلة أو عشيرة وعدد افرادها ونشاطها الفلاحي ووسائل الإنتاج ونوع المسكن والنشاط التجاري وبعض العادات والتقاليد التي كانت تسود المنطقة والمستوى الثقافي والحضاري والعلاقة التي كانت تربطها بالسلطة العثمانية، وحتى العلاقة بين القبائل والاعراش. وكانت تلك المعلومات تؤخذ، حسب ادعاء معديها، من أفواه شيوخ القبائل. وتعد تلك المعلومات، حسب نظري هي أول معلومات تاريخية مكتوبة عن تلك القبائل. وقد اعتمد شارل فيرو، سالف الذكر، على تلك التقارير، وربما من المشاركين في إعدادها؛ لأنه نقل بعضها حرفيا في كتابه المشار إليه سابقا.

وبناء على ذينك المصدرين، وتقارير الجريدة الرسمية وكتاب شارل فيرو، سالف الذكر، سنتعرض لا حقا لتقارير بعض أعراش المنطقة كما نشرتها الجريدة الرسمية الاستعمارية لنستخلص منها - ولو بحذر - بعض المعلومات التي تعد اولية بالنسبة لتاريخ تلك الأعراش. كما نستخلص منها اصولهم.
وقد وجد الفرنسيون هذه الاعراش موزعة في هضابها وجبالها بكثافة حسب ادعائهم. وقد زادوها اكتظاظا وكثافة بعد احتلالهم لمدينة جيجل سنة 1839م وميلة وفرجيوة سنتي 1838 و1839 وما تلا ذلك من اغتصاب ومصادرة للاراضي السهلية وقتل وتشريد اصحابها واضطرار ما تبقى منهم إلى الفرار والاختفاء بالجبال. وبعدها تغرس تلك الأراضي المغتصبة بالمستعمرات الاستيطانية الاوربية.
وخلاصة القول إن الكثافة السكانية المرتفعة جدا للمنطقة الجبلية الممتدة من بجاية الى سكيكدة والتي استمرت في كثافتها واكتظاظها الى سنة 1954 - كما سنتعرض له في الفصول اللاحقة - تعود كلها في جميع العهود الى اسباب استعمارية (الغزاة الأجانب) او الى ظلم الحكام المحليين.

ج. اهتمام الفرنسيين بسكان المنطقة

لقد اهتم الفرنسيون بتاريخ سكان منطقة جيجل بعد الاحتلال. مثل اهتمامهم بجميع المناطق الجزائرية، بالوصف والبحث والتحليل من حيث اصولهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعيشتهم ومسكنهم ومستواهم الفكري والوازع الديني لديهم. لكن كانت تحليلاتهم للأحداث التاريخية تفتقر إلى الموضوعية في الكثير من المواضيع، وعلى الأخص خلال العهدين الإسلامي والعثماني. وكذلك كان تفسيرهم مغرضا لبعض العادات والتقاليد. مثل تفسيرهم للاحتفال برأس السنة في 11 جانفي واحتفالهم بعيد الربيع. بانهما من عادات مسيحيتهم التي كانت قبل اعتناقهم للاسلام قبل القرن الثامن. كما ان لجوءهم للسكن في أعماق الجبال كان نتيجة لفرارهم من الجيوش الاسلامية التي كانت تفرض عليهم اعتناق الديانة الإسلامية. ومن هنا نلاحظ تفسيراتهم المغرضة؛ لأن الجيوش الإسلامية لم تدخل إطلاقا الشريط الساحلي الممتد من بجاية إلى عنابة، وان السكان قد اعتنقوا الاسلام عن طريق الاحتكاك فقط. وهذا قليل من كثير. ورغم ذلك فلا يخلو الكثير من تلك المعلومات من الصحة. مثل بعض العادات ووصف السكن ووسائل الإنتاج وتربية النحل والحيوانات (11) والأفراح والأحزان وبعض العادات والتقاليد؛ لأن تسعين في المائة منها بقيت كما ذكروها دون تغيير يذكر حتى سنة 1954، اي إلى بداية الثورة كما سياتي ذكره.

د. أعراش وقبائل منطقة جيجل

لقد حدد الفرنسيون في كتبهم التاريخية منطقة جيجل بالأعراش الموزعة على الكتلة الجبلية الساحلية الممتدة من زيامة منصورية غربا إلى وادي الرمال شرقا .

هذا من الجهة الشمالية، أما من الجهة الجنوبية، فمن قمم جبال بابور غربا إلى قمم جبال سيدي معروف شرقا. وبهذا التحديد أدخلوا بعض الأعراش في الناحية الغربية التي تتكلم الامازيغية مثل بني يوسف وبني فولكاي. كما ابعدوا أعراش الناحية الجنوبية مثل جيملة وغيرها.

ومن الناحية الشرقية أعراش الميلية مثل أولاد عيدون وأولاد عواط وغيرهم: ولذلك حصروا أعراش المنطقة في حوالي ثلاثين عرشا بين كبير وصغير.

ونظرا للموقع الذي تتميز به المنطقة، يمكن أن نضيف إلى هذه الأعراش، السالفة الذكر، أعراش الأطراف الجنوبية مثل أعراش زواغة وكذلك أعراش منطقة الميلية، ليرتفع عددهم إلى حوالي سبعين عرشا، أغلبهم يبدأ بعبارة "بني" مثل بني قايد. بني عمران، بني بلعيد. وبعضهم بـ " أولاد" مثل أولاد طافر. أولاد ساعد، أولاد علي ..الخ. وبعضهم لا بهذا ولا بذاك مثل الجناح.

وحسب الإحصاء الذي كانت تنشره الجريدة الرسمية ضمن التقرير المعد لكل عرش، فإن عدد سكان تلك الأعراش يتراوح ما بين الفين واثني عشر ألف نسمة.

ولذلك يمكن تقدير سكان المنطقة حينذاك بحوالي ثلاث مائة وخمسين ألف نسمة. وكانوا يتوزعون على مختلف النواحي والجهات بأشكال مختلفة.

وكانت الحدود التي تفصل بين الأعراش في الغالب طبيعية، كالوديان والشعاب وقمم الجبال. فعلى سبيل المثال الحد الذي يفصل بين عرش بني عافر وعرش بني خطاب الغرابة هو وادي جنجن وهكذا دواليك **(12)**.

وفي هذا الصدد نعرض التقارير التي أوردتها الجريدة الرسمية الاستعمارية عن بعض الأعراش سالفة الذكر، ونبدأ من أقصى الجنوب الغربي لمدينة جيجل **(13)**

1 - قبيلة بني فولكاي

تقع هذه القبيلة على الضفة الشرقية لوادي أغريون على بعد أربعين كيلومترا جنوب شرق بجاية، يحدها من الشمال دوار بني حسين ودوار بني يوسف، ومن الشرق تابابورت، ومن الجنوب عرش أولاد صالح وعرش بني مرعي، ومن الغرب بني إسماعيل.

وينتمي بنو فولكاي الى اصل بربري. وتتشكل هذه القبيلة من عدة عشائر هي الآن(1892) اولاد عبد الله، اولاد عتيق، اولاد بلطة، أولاد دروش.

ويبدو تاريخيا أن بني فولكاي قبيلة عريقة في المنطقة، وكانت دائما ضمن الاحداث التي مر بها المثلث الجغرافي: بجاية، سطيف، جيجل ابتداء من الغزو الروماني وحتى الاحتلال الفرنسي. فهي لا تخفي مشاعر السخط والتذمر التي تدفعها الى مقاومة الاحتلال الاجنبي. ولم تخضع للفرنسيين الا في سنة 1864، أي بعد احتلال بجاية وجيجل بأكثر من عشرين سنة. ورغم ذلك فقد شارك بنو فولكاي في التمرد والعصيان الذي وقع سنة 1871 ولم يهدووا إلا بعدما غرست قرى المعمرين في وسطهم.

اراضي بني فولكاي جبلية ككل منطقة بابور، يقسمها الى قسمين واد عميق. وترتفع قمم جبالها ما بين 1300 إلى 2000 مترا، تكسوها الثلوج خلال فصل الشتاء وتستمر حتى بداية الربيع. كما ان منحدارت جبالها مغطاة بالعديد من الأشجار مثل الفلين والزان والأرز، وأنواع كثيرة من الشجيرات، وتشكل هذه الأشجار عموما دخلا مهما للدولة.

سكان بني فولكاي مستقرون، يقطنون منازل معطاة بالديس او بالقرميد المحلي، ويعيشون على الفلاحة وتربية المواشي. وباختصار يعيش هولاء السكان في فقر. وعلاقتهم ضعيفة مع المراكز الاستعمارية، رغم سهولة الاتصال بهم. وعلى الأخص بواسطة الطريق الرابط بين سطيف وبجاية.

عدد سكان بني فولكاي 1875 نسمة، يملكون 14000من الماشية، منها 1030 رأسا من الماعز، ويدفعون الضرائب بمقدار 4534 فرنكا (قديما) (14).

كتب بالجزائر يوم 11 أوت 1892

الوالي العام كامبو (cambo).

2 . عرش بني فوغال (*):

يقع عرش بني فوغال على بعد 60 كلم شرق مدينة بجاية، وهو تابع إداريا لبلدية تابابورت المختلطة، وأراضيه كلها جبلية، تكسوها غابات كثيفة والقليل منها صالح للزراعة، ويمر بشرقها الطريق الجبلي الرابط بين جيجل وقسنطينة، وتمتاز بكثرة المياه التي تستعمل للسقي وتشغيل المطاحن.

اصول بني فوغال خليط من العرب والبربر، وكلهم يتحدثون بالعربية، إلا ان تقاليدهم وعاداتهم بربرية. وقد كان لبني فوغال السيادة أثناء العهد التركي، وعلى الأخص خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما ظهرت أهمية

أشجار الزان الموجودة بكثرة في غابتها بالنسبة لصناعة السفن وبناء منازل حي القصبة، وكانت تقتطع لهم الاراضي الزراعية الخصبة خارج منطقتهم الجبلية، وعلى الأخص في نواحي قالمة حيث نجد اليوم أعراش وعشائر تحمل الأسماء نفسها التي تحملها اعراش وعشائر ناحية جيجل مثل بني فوغال وبني مرعي.

تبلغ مساحة عرش بني فوغال 320,000 هكتار، يحده من الشمال عرش العوانة والمرابط موسى ، ومن الجنوب دوار منار وعراباوين بني عزيز، ومن الغرب بنو زونداي والمنصورية، ومن الشرق تبلوطت وجيملة.

يقدر عدد سكان بني فوغال بـ 15365 نسمة، يملكون 34309 رأسا من المواشي، منها 17648 رأسا من الماعز، ويدفعون الضريبة بمقدار 39600 فرنكا.

خضع عرش بني فوغال لفرنسا سنة 1853م، ولم يشارك في أي تمرد أو عصيان مدة ثمانية عشر سنة، ولكنه شارك سنة 1871 في ثورة المقراني رغم المجهودات التي بذلها قائدهم سي اعمر بن حبيلس، ولكنه فشل في تهدئتهم.

وقد قسم عرش بني فوغال إلى أربعة دواوير وهي: بني ياجيس وبني مجالد وبني فوغال ووادي ميسا.

حرر بالجزائر يوم 14 نوفمبر 1902

أمضاه الكاتب العام للولاية العامة موريس فانيال (15)

3. عرش العوانة

عرش العوانة تابع إداريا للبلدية المختلطة تابابورت. يقع غرب مدينة جيجل ويبعد عنها بأكثر من 14 كلم، يحده من الشمال البحر، ومن الشرق قبيلة بني قايد. ومن الجنوب عرش بني فوغال، ومن الغرب دوار المنصورية.

أصول السكان عرب وبربر، وهذا العنصر الأخير واضح في اللهجة والتقاليد. وقد يرجع انصهار هذين العنصرين إلى القرن الثالث عشر الميلادي، حين جاءت عائلات مرابطية من المغرب، واستقرت في وسط العرش واختلطت بعناصره (16). ولم تخضع قبيلة العوانة للأتراك، كما لم تدفع لهم الضرائب.

وقد أجبر سكان العرش على الاعتراف بالسيطرة الفرنسية ما بين سنوات 1851 - 1855م، ورغم ذلك فقد شاركوا في كل التمردات التي جرت في المنطقة ما بين سنوات 1860 - 1871؛ لهذا صودرت أملاكهم كلها وأبعدوا عن خمس هذه الممتلكات لصالح المعمرين.

ليست لقبيلة العوانة صناعة خاصة بها. رغم ان أهلها سكان قارون في الاكواخ. يستمدون قوتهم من زراعة الحبوب والبقول والفواكه. وقد كانت بساتينهم تزين سفوح الجبال. بالاضافة إلى تربية المواشي التي تتغذى من النباتات الجبلية الوافرة. ويبلغ عددها **6055** رأسا من الماشية. ومن بينها **4050** من الماعز. ويدفعون ضريبة سنوية تبلغ **11500** فرنك.عدد سكان قبيلة العوانة **2720** نسمة. يسكنون في **560** كوخا (فوربي). أغلبها من أشجار الغابة.

حرر بالجزائر يوم 25 أكتوبر 1891 -

امضاء الوالي العام كامبو (17)

4 . قبيلة بني عمران الجبلية

قبيلة بني عمران الجبلية موزعة في اعالي الجبال جنوب شرق جيجل. وتبعد عنه بحوالي **15** كلم. يحدها من الشمال بني عمران السفلية، ومن الغرب بني احمد وبني فوغال. ومن الجنوب بني فوغال كذلك، ومن الشرق بني خطاب الغرابة.

أراضي قبيلة بني عمران كلها جبلية مغطاة بالغابات وأشجار الزيتون. ينبع منها حوالي **120** ينبوعا من الماء. مساحتها **12220**هكتار، يشق أراضيها الطريق الجبلي الرابط بينها وبين سطيف وميلة وقسنطينة.

ويقال إن قبيلة بني عمران تنتسب إلى رجل مغربي يدعى عمران. حل بأرض القبيلة حوالي القرن الثالث عشر م (18)، ومن ذريته تكونت معظم عشائر القبيلة.

وقبل اليوم (أي قبل سنة **1867**) بمائة وخمسين سنة التجأ إلى القبيلة رجل يدعى عمار. وعندما توفي ترك أربعة أولاد: منيع والحداد وناصر وتليس. وامتاز منهم منيع بالفروسية، فخضعت له قبيلة بني عمران . وأصبح قائدا عليها من ذلك الحين إلى اليوم (**1867**). ولذلك توارثت تلك العشيرة القيادة إلى أن سيطر الفرنسيون على المنطقة سنة **1851**، فتفاوضوا مع الجنرال سانت آرنو وبقوا في القيادة.

عدد سكان قبيلة بني عمران **4685** نسمة، يملكون **150** من الخيول والبغال، و**2561** رأسا من البقر و**8965** رأسا من الماعز والغنم و**247** خلية من النحل. يعيش أفراد قبيلة بني عمران على الفلاحة. إذ يحرثون بحوالي **396** محراثا، ويزرعون الشعير والقمح والذرة بجميع أنواعها، ويملكون **12000** من أشجار الزيتون. يدفعون الضرائب بمقدار **20857** فرنكا.

حرر بباريس يوم 19 جوان 1867 -

إمضاء نابليون (19)

5. قبيلة بني يدر (20)

إن قبيلة بني يدر المعينة بقرار صادر في 23 / 9 / 1890 تابعة إداريا لبلدية الطاهير المختلطة، وتقع شرق مدينة جيجل وتبعد عنها بحوالي 18 كلم.

أراضيها تمتد على سلسلتين جبليتين متوازيتين تقريبا، يفرق بينهما ثلاثة أودية وهي: وادي النيل ووادي بوتناش ووادي الشقفة.

يحدها من الشمال مستعمرة الشقفة ودواري بني معمر وبني حبيبي، ومن الشرق بني عيشة وبني فتح، ومن الجنوب أولاد عسكر وبني عافر، ومن الغرب بني سيار ومركز البلدية المختلطة (الطاهير).

تبدأ أراضي قبيلة بني يدر بالقرب من شاطئ البحر، تبدأ سهلية، ثم تأخذ في الارتفاع إلى أن تصل إلى 800 مترا عن سطح البحر، معظم تلك الأراضي مكسوة بالغابات، وإلى جانبها حقول مغروسة بالتين والزيتون.

وحسب ما يقال، فإن قبيلة بني يدر أسسها شيخ مرابط مغربي يدعى مولاي الشقفة، مشهور بتدينه، جاء من ساقية الروم حوالي القرن الثالث عشر الميلادي. فالتف حوله سكان وادي النيل، ووادي الشقفة، فعرفت عائلته كيف تستثمر ذلك الالتفاف، وتحافظ على الدين والسلطة طيلة القرون الماضية (21). وقد وجد الفرنسيون تلك العائلة هي الحاكمة الفعلية لحوالي ثمانية أعراش (22).

وبعد احتلال جيجل سنة 1839 بقي سي احمد بن الشريف يحكم قبيلة بني يدروأتباعها، مثل بني سيار وأولاد بلعفو وغيرهم. وكانت له نظرة بعيدة. إذ فاوض الفرنسيين سنة 1843 من أجل الاستسلام، لأنه أدرك استحالة مقاومة الغزو الفرنسي، ولكن الحاكم العسكري لمدينة جيجل الكولونيل روبير لم يحتل المنطقة إلا بعد عشر سنوات، وأسس الحصن العسكري المعروف ببرج الطهر.

لم تشارك قبيلة بني يدر بعد سنة 1853 في أية ثورة إلى غاية 1871، حيث شاركت في ثورة المقراني، فصودرت جميع أراضيها السهلية التي تبلغ مساحتها 1330 هكتارا، والتي تعد من أخصب أراضيها، وأقيمت عليها مستعمرة الشقفة، كما دفعت خطية(غرامة) مقدارها 11400فرنك.

سكان بني يدر حوالي 10115 نسمة معظمهم بربر، مع اختلاطهم بالعرب والأتراك؛ ولهذا تعد من أكبر القبائل الساحلية. وبعد مصادرة أراضيهم السهلية بوادي النيل والشقفة التجأوا إلى المناطق الجبلية، فهيأوا الغابة وبنوا الأكواخ للسكن بها، ولذلك كانت الملكية في هذه القبيلة مجزأة للغاية، كما كان موردها الرئيسي تربية المواشي التي تبلغ 14400 رأسا من الغنم والماعز، و1300 من البقر والخيل

والبغال. هاجرالبعض منهم إلى مدن الداخل لاسيما قسنطينة، حيث يشتغلون كجزارين وخبازين وطباخين الخ.

تقسيم القبيلة إلى دواوير موضحة في وثيقة التقسيم البلدي الذي وضع سنة 1886، وهي: يرجانة، وادي النيل، بوتناش.

كتب بالجزائر يوم23 ديسمبر 1895 -
أمضاه الكاتب العام للولاية العامة الجزائرية
السيد ريبن (Riben (23).

6 – قبيلة بني معمر

مكونة من عدة عشائر اتحدت للدفاع عن أراضيها . استسلمت للفرنسيين سنة 1854 . أراضيها تمتد من شاطئ البحر عند مصب وادي النيل إلى قمة جبل سدات.

يحدها من الشمال البحر وبني صالح ومن الشرق بني حبيبي ومن الجنوب بني يدر ومن الغرب اولاد بلعفو.

مساحتها 4422 هكتار. حوالي الثلث منها صالح للزراعة والباقي جبال و غابات.

عدد السكان 4067 نسمة . يقيمون في 245 كوخ (قربي).

يملكون 120 حصانا وبغلا و730 رأسا من البقر 1500 رأس من الماعز والغنم ، وأهم منتوجاتهم الفلاحية الشعير والذرة وزيت الزيتون .

حرر بباريس يوم 12 أكتوبر 1868
أمضاه نابليون

7. قبيلة بني حبيبي

تقع هذه القبيلة شرق مدينة جيجل، وتبعد عنها بحوالي 40 كلم. وتبدأ أراضيها من الضفة اليسرى للوادي الكبير، وتأخذ في الاتفاع إلى القرب من جبل سدات.

مساحة أراضيها 7491 هكتارا، يحدها من الشمال عرش بني بلعيد والجناح، ومن الغرب بني معزوز وبني صالح، ومن الجنوب بني يدر، ومن الشرق تايلمامت وبني عيشة.

تربتها خصبة على العموم، رغم ان تضاريسها وعرة مملوءة بأشجار الزيتون والفلين. أما أشجار الفواكه فهي قليلة.

اعيان القبيلة يزعمون أن أصلهم من المغرب، ولم يخضعوا للأتراك بل بقوا مستقلين عنهم، كما لم يستسلموا للفرنسيين إلا بعد حملات 1851 - 1852، عددهم 2349 نسمة، يسكنون في 502 كوخا.

يعيشون من الفلاحة وتربية الحيوانات والنحل. ومنتوجاتهم تشتمل على الشعير والقمح والذرة بجميع انواعها وزيت الزيتون الخ. وكانوا يحرثون بحوالي 125 محراث. ويملكون 161 من الخيول والبغال وحوالي 1179 راسا من البقر و4690 راسا من الماعز والغنم و91 خلية من النحل. ويدفعون ضرائب مقدارها 31125 فرنك. قسمت القبيلة الى دوارين: دوار حيان الذي يتشكل من ثلاث عشائر. ويحتوي على 252 دارا. وام غريون الذي يتشكل هو كذلك من ثلاث عشائر. ويحتوي على 252 دارا ...الخ.

حرر بباريس يوم 4 مارس 1867 -

إمضاء نابليون الاول (24).

8. عرش أولاد عواط

يحده من الشمال الجبالة ومشاط. ومن الجنوب بني عيشة واولاد علي. ومن الغرب بني مسلم وتايلمامت، ومن الشرق أولاد عيدون.

يحتل عرش أولاد عواط ضفتي الوادي الكبير. وهو مثل اعراش المنطقة لم يخضع للحكم التركي.

وفي سنة 1804 شارك سكان هذا العرش بصفة فعالة في المعركة التي مات فيها الباي عصمان غرقا في الوادي الكبير الذي جاء حينذاك نيعاقبهم.

لقد اعترف أولاد عواط مثل أولاد عيدون بالسلطة الفرنسية في سنة 1851. وشاركوا مثلهم في ثورة 1858 التي أسفرت عن إنشاء المركز العسكري المعروف بالميلية، وكذلك في ثورة 1860 الذي تبعها قمع شديد.

عرش أولاد عواط ذو تضاريس وعرة للغاية، يقطعه الوادي الكبير، حيث توجد على يمينه الأرض السهلية الضيقة الرسوبية الخصبة التي تصلح لجميع المزروعات. أما على يساره فتطل عليه الجبال المكسوة باشجار الزيتون والفلين.

مساكنهم من الطين والحجارة أو من أشجار الغابة، وهي مغطاة بالديس. يملكون 294 محراثا وحوالي 90 رأسا من الخيل والبغال و9599 رأسا من البقر و4873 رأسا من الماعز والغنم، يدفعون ضرائب مقدارها 72620 فرنكا.

استولت مصلحة الدومين على 1345 هكتارا، فبقيت للعرش ما مقداره 6755 هكتارا فقط. وهذا هو السبب الأساسي الذي يحمل السكان على الهجرة.

حرر بباريس يوم 7 ديسمبر 1867 -

إمضاء الإمبراطور نابليون الاول

9. قبيلة بني خطاب القبالة (25)

تقع هذه القبيلة جنوب شرق منحقة المينية غرب مدينة قسنطينة. وتبعد عنها بحوالي 65 كم. يحدها من الشمال اولاد علي وبني عيشة، ومن الجنوب زواغة، ومن الشرق بني قايد، ومن الغرب بني فتح واولاد عسكر. يقطع اراضيها من الجنوب الشرقي الوادي الكبير. والطريق الرابط بين المينية وقسنطينة وخط التنغراف الرابط بين قسنطينة وجيجل.

تبلغ مساحة اراضي بني خطاب 20507 هكتارا، ثرية بالمياه. اذ تنبع من اراضيها عدة ينابيع بالاضافة إلى الاودية، اهمها الوادي الكبير ووادي اتري ووادي خفشة. وتشكل هذه الاودية ثلاثة احواض تفصل بينها جبال عالية فتجعل المواصلات بينها صعبة.

قبيلة بني خطاب تعود الى اصول بربرية وعربية. وتضم اثنتي عشرة عشيرة. ويبلغ عدد سكان القبيلة 5703 نسمة، يسكنون في 929 كوخا موزعة في مداشر عديدة، وكانوا مستقلين عن الحكومة التركية، وقد خضعوا لفرنسا سنة 1851 مثل القبائل المجاورة، وشاركوا في كل التمردات التي وقعت ما بين1851 و 1872.

يعتمدون في معيشتهم على الفلاحة وتربية الحيوانات والنحل. فكانوا يحرثون بحوالي 429 محراثا. ومنتوجاتهم القمح والشعير والفول. ويملكون 215 من الخيول والبغال، 3308 بقرة و8789 رأسا من الغنم و9390 راسا من الماعزو869 خلية من النحل. ونظرا لكبر القبيلة، قسمت على ثلاثة دواوير وهي:

أ- دوار أولاد يحي الذي يتوزع في حوض وادي خفشة، وهو اوسع الدواويرالثلاثة وافقرهم؛ لأن أرضه تتكون من غابات وجبال وشعاب.

ب - دوار أولاد رابح، وهو موزع في حوض إتري الذي يصب في الوادي الكبير. وتفصل بين الدوار السلسلة الجبلية المعروفة بتفرطاست، كما يفصله عن دوار اعاميد صخور سيدي معروف.

جـ - وأخيرا الدوار الثالث المسمى أعاميد، وهو موزع على ضفتي الوادي الكبير، حيث توجد الأراضي الخصبة (26).

مصلحة العقارات والدومين طالبت بالأراضي الغابية التي تبلغ مساحتها 3073 هكتارا...الخ.

باريس يوم 4 مارس 1868-

امضاء الامبراطور نابليون

10 . قبيلة زواغة (27)

تم تعيين هذه القبيلة بقرار صادر في 22 أوت 1892 المتضمن بقانون 28 افريل 1887، تابعة اداريا لبلدية فج مزالة المختلطة (كومين ميكست).

يحتل اقليمها مساحة 26572 هكتارا. يحدها من الشمال قبيلة بني عافر وجيملة (وهما تابعتان لبلدية بابور المختلطة) وأولاد عسكر(تابعة لبلدية الطاهير المختلطة) وقبيلة بني خطاب (تابعة لبلدية الفرارم). ومن الجنوب والشرق الاقليم الاستعماري لسيدي مروان بوفواح (التابع لبلدية ميلة) وزغاية وقربيصة والرواشد. ومن الغرب قبيلة فرجيوة.

إن زواغة من المناطق التي تقع في المثلث بجاية، سطيف، قسنطينة. وقد عدها ابن خلدون من فروع كتامة، وقد اختلطت بالعرب منذ أيام الفتح الإسلامي الأولى. وحاليا (يعني 1895) فإن هذين العنصرين هما المشكلان لعناصر السكان.

وتعد قبيلة زواغة من القبائل التي حافظت على استقلالها في العهد التركي. ورغم محاولة الأتراك عدة مرات السيطرة عليها، إلا أنهم فشلوا في ذلك؛ لان سكان زواغة مقاتلون وغيورون على استقلالهم.

وتمتاز الجهات السفلى من إقليم زواغة بخصوبة أراضيها التي تنتج جميع أصناف المنتوجات الزراعية، وعلى الأخص ضفاف الأنهار. أما الجهات العليا فتمتاز بزراعة الحبوب وتربية المواشي.

وأثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة سنة 1837 كانت قبيلة زواغة تحت قيادة الأخوين بورنان ومحمد ابني عز الدين، وكانت لهذه العائلة السلطة المطلقة لفترة طويلة على منطقة زواغة وما جاورها ابتداء من ضواحي ميلة جنوبا إلى سهول جيجل شمالا، وكانوا متقلبين مع بايات قسنطينة، ففي بعض الأحيان أعداء وفي بعضها حلفاء. وكان الأخوان من الأوائل الذين اعترفوا بالسلطة الفرنسية. ونظرا لتعسفهم وحبهم للسلطة ونزعتهم الاستقلالية، لم تعرف منطقتهم الاستقرار. وعلى الأخص خلال سنوات 1847 - 1860، حيث وقعت ثمانية تمردات في منطقتهم. مما اضطر السلطات الفرنسية إلى عزل القائد بورنان بن عز الدين واعتقاله ونفيه إلى تونس. ورغم ذلك لم تهدأ المنطقة إلا بعد التصفية النهائية لجميع أفراد عائلة بن عز الدين سنة 1864.

ونظرا لطبيعة قبيلة زواغة الاستقلالية ودفاعها المستميت عن أراضيها، فقد شاركت بكل قوة في ثورة 1871، لكنها انهزمت في فج باينام، فأحرقت قراها، وصودرت مواشيها، فاستسلمت في 13 أوت 1871 إلى الجنرال دولاكروا. ورغم ذلك

عوقبوا بغرامة مقدارها 700,000 فرنك، ووضعت منطقتهم تحت حراسة شديدة، وفرض عليها التنازل عن الاراضي السهلية الخصبة الواقعة على يمين وادي النجا التي أنشئت بها مستعمرات زغاية وهي: رجاس، سيدي مروان بوفواح.

ولم ترفع عنهم الحراسة الا في 03 جويلية 1891. وقد تقلص إقليمهم زواغة بسبب ذلك الاغتصاب للاراضي الخصبة، وأصبح لا يحتوي سوى على الأحراش والجبال الوعرة التي ترتفع ما بين ستمائة وسبعمائة متر على مستوى سطح البحر، وهي مغطاة بالغابات.

وقد قسم الاحتلال زواغة إلى اربعة دواويرهي: اراس، تسالة، باينام وشقارة.

كتب بالجزائر يوم 19 ديسمبر 1895 -

امضاء الكاتب العام للولاية العامة السيد مولبير

11 – قبيلة الجناح (28)

تقع هذه القبيلة شرق مدينة جيجل، وتبعد عنها بحوالي 36 كيلو مترا، موزعة على الضفة اليسرى لمصب الوادي الكبير.

وحسب الروايات التي يتناقلها أفراد القبيلة، فإن جدهم الاول بوجناح قدم من المغرب واستقر في هذا المكان الخالي المغطى بالغابات، فوضبها واستصلح اراضيها. وقد ترك بوجناح ولدين: بوبكر وعقيبة، وهما المعروفان اليوم (سنة 1868) باولاد بن بوبكر واولاد عقيبة المشكلين للقبيلة.

يبلغ عدد سكان قبيلة الجناح 655 نسمة، يقيمون في 129 كوخا، يعتمدون في معيشتهم على الفلاحة ودباغة الجلود، فيحرثون الأرض بحوالي 50 محراثا، ومنتوجاتهم لاتختلف عن منتوجات غيرهم، حيث تشتمل على القمح والشعير وزيت الزيتون والعسل، ويملكون 61 رأسا من الخيول والبغال و2839 راسا من البقر و1273 رأسا من الغنم

والماعز و26 خلية من النحل و4000 شجرة زيتون. وتدفع ضريبة صناعة الجلود مقدارها 3365 فرنكا...الخ.

حرر بباريس يوم 18 جانفي 1868م -

أمضاه الإمبراطور نابليون

12. قبيلة أولاد عطية (29)

تنحدر قبيلة اولاد عطية من اصول عربية وبربرية. وقد استقرت هذه القبيلة في جبال القل فرارا من الصراعات القبلية التي كانت تقع في الأراضي السهلية بين القبائل العربية الهلالية والبربرية.

وخلال العهد التركي غادر قسم كبير من قبيلة اولاد عطية جبال القل. واستقر قرب التوميات والكنتور مابين الحروش والسمندو (ديدوش مرادحاليا). أما بقية القبيلة فقد استقروا في الجبال المطلة على البحر على بعد أربعين كيلو مترا غرب مدينة القل.

يحد مواطن أولاد عطية من الشمال البحر. ومن الغرب بني فرقان ومشاط. ومن الجنوب بني توفت، ومن الشرق أولاد حمداش وبني إسحاق الكوفي وبني توفت.

وتتشكل قبيلة أولاد عطية من ثلاثة عشائر. أولاد جمعة. اولاد جازية، وازيابرة. ومساحتها **23552** هكتارا. وقد انتزعت منها **15519** هكتارا من الأراضي الغابية.

يبلغ عدد سكان قبيلة أولاد عطية **3514** نسمة. يسكنون في **690** كوخا، ويحرثون بـ **195** محراثا، ويملكون **72** حصانا و**2317** رأسا من الماعز و**1126** رأسا من الغنم و**200** خلية من النحل، ويدفعون ضريبة سنوية مقدارها **13688** فرنكا.

حرر بباريس يوم **7** جويلية **1867** -

أمضاه نابليون

13. قبيلة بني توفوت (30)

تقع قبيلة بني توفوت جنوب القل، ولا تبعد عنها إلا ببعض الكيلو مترات، وهي تابعة من الناحية الإدارية إلى البلدية المختلطة أولاد عطية، ومن الشرق بني صالح وبني نعيم، ومن الجنوب أولاد الحاج، ومن الغرب اولاد عيدون وأولاد عطية.

تبلغ مساحة أراضيها 40866 هكتارا، ويقطنها 9875 نسمة. أما أصولهم فيزعم أعيان القبيلة بأنهم أحفاد مهاجر معربي يدعى عبد الله المتوفى. ولذلك جرت تسميتهم ببني توفوت، وربما يعود أصل جزء منهم إلى القبيلة البربرية الكبيرة أيت دومر التي ذكرها ابن خلدون.

عاشت قبيلة بني توفوت في استقلالية تامة خلال العهد التركي، وقد حاول بايات قسنطينة مرارا إخضاعها ولكنهم فشلوا.

وعلى الرغم من ذلك فقد دافعوا دفاعا مستميتا عن مدينة قسنطينة قبل سقوطها في يد الفرنسيين سنة 1837.

وقد عرف التوفوتي برفضه وكرهه واحتقاره لكل ما هو غير مسلم. رغم جواره لمدينة القل ولمستعمرة الشرايع واتصاله اليومي بالاوربيين الذين يعملون في شركة الحميداس لاستغلال الفلين، ورغم ذلك كله فقد بقي التوفوتي متعصبا.

وقد شاركت قبيلة بني توفوت في جميع التمردات التي وقعت بالمنطقة ما بين سنوات **1837 - 1860**م، ولكن القمع الذي تلا تلك التمردات جعل القبيلة تستسلم، ولم تشارك بعد سنة **1860** في أي التمردات جعل القبيلة تستسلم. ولم تشارك بعد سنة **1860** في أي تمرد ، وحتى ثورة المقراني لم تشارك مع جيرانها الذين شاركوا فيها.

وطبقا لقانون **1862** والمصادرة الجماعية للأراضي التي اصابتها الحرائق سنة **1881** ضمت تلك الأراضي الجبلية المغطاة بالغابات التي احترقت إلى املاك الدولة، ولم يترك للقبيلة سوى **11063** هكتارا من مجموع المساحة العامة التي تبلغ **40866** هكتارا، ومن ضمنها الأراضي الخصبة الواقعة على ضفاف الأودية التي سلمت للمعمرين، حيث أقاموا عليها عدة مستعمرات مثل عين قشرة وتامالوست. وقد قسمت قبيلة بني توفوت إلى ثلاثة دواويرهي: بني زيد، آل زكار، الولجة.

حرر بالجزائر يوم 20 أكتوبر 1891 -
الوالي العام/ كامبو

هـ . أصول سكان منطقة جيجل

قبل أن أحلل المعلومات التي أوردها الفرنسيون في تقاريرهم، لا بد من الإشارة إلى بعض الملاحظات حول تلك التقارير سالفة الذكر، منها التعديلات التي أدخلتها على الترجمة كتقديم وتأخير بعض الفقرات، ليكون أسلوبها قريبا من أسلوب اللغة العربية.

ومن الملاحظات الواضحة كذلك الفرق بين التقارير التي كتبت في الستينات من القرن التسع عشر قبل ثورة المقراني، والتي كتبت في التسعينات من نفس القرن بعد ثورة المقراني، لأن الأولى أمضيت من أعلى سلطة في فرنسا، إذ أمضاها الإمبراطور نابليون الثالث والثانية أمضيت في الجزائر من طرف الحاكم العام أو كاتبه الخاص. كما تعد التقارير الثانية أهم من الأولى. لأنها تحتوي على تفاصيل أكثر فيما يخص أصول السكان ومصادرة الأراضي السهلية الخصبة وتشييد المستعمرات الاستيطانية.

أما من حيث المصداقية فاغلبها صحيح، كوصف السكان ومنازلهم. ووسائل الإنتاج الفلاحي البدائية، وتربية الحيوانات والنحل. وإحصاء أملاكهم. ومشاركتهم في جميع الثورات التي وقعت في المنطقة ما بين 1839 و1871- كما سنتعرض له بالتفصيل في الفصول اللاحقة - ومصادرة جميع أراضيهم السهلية وعلاقاتهم بالحكم التركي السابق. وتوثيق الأساطير التي كانت متوارثة شفاهيا بينهم فيما يخص الجد الأول لكل قبلة وعشيرة.

فقد اهتم الفرنسيون بتسجيل ادعاءات أعيان تلك القبائل بالنسبة إلى جدها الاول الذي تنسب إليه، فمثلا بني فوغال ينسبون إلى جدهم الأول فوغالة. وبني عمران إلى جدهم الأول عمران وهكذا، فحوالي تسعين في المائة منهم ينسبون إلى جدهم الأول. وأغلب هؤلاء الأجداد جاءوا من الساقية الحمراء بموريطانيا أو ساقية الروم، أو من المغرب.

وهذه الادعاءات مازالت بقاياها إلى اليوم متوارثة. فمثلا قبيلة العوانة غرب مدينة جيجل جاء جدها الأول من المغرب، وبني يدر وبني حبيبي هما كذلك جاء جدهما الأول من المغرب، وأقلية منهم جاء جدهم من مناطق الجزائر. ولا نجد قبيلة واحدة تدعي بأنها عريقة في المنطقة.

وبناء على هذه المعلومات والادعاءات المتوارثة شفاهيا عبر الاجيال والتي وثقها الفرنسيون في سجلاتهم الإدارية الرسمية (31). وعلى اللهجة التي يتحدثون بها، وعلى بعض العادات والتقاليد، وعلى مجريات الأحداث التاريخية كظهور الدولة الحمادية في بجاية غرب المنطقة، وغرس بذور الدولة الفاطمية في

جنوبها، ودخول الجيوش الموحدية إلى مدينة جيجل، وكذلك الدولة الحفصية، وفي الأخير استقر الأخوان عروج وخير الدين بمدينة جيجل في بداية العهد العثماني.

بناء على هذا كله نستطيع أن نكون فكرة عن أصول سكان المنطقة الممتدة من بجاية إلى سكيكدة شمالا، ومن قمم جبال بابور إلى قمم جبال سيدي إدريس جنوبا ونلخصها في أربعة عناصر أساسية: أمازيغ، أندلسيون، عرب، أتراك. فهذه العناصر الأربع هي التي انصهرت وكونت سكان المنطقة الذين وجدهم الفرنسيون سنة 1899. وعلى الأرجح أن يكون بداية ذلك الانصهار في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، حسب المعطيات السابقة ، وكذلك عدم ورود أسماء تلك القبائل في المصادر التاريخية أو الجغرافية العربية الإسلامية قبل القرن السادس عشر، وعلى الارجح كذلك، أنه بدأ بطريقة فردية تسللية.

ويعد العنصر الأمازيغي أول من دخلها، فبعد ما يتخلى عن منطقته الأصلية لسبب من الأسباب يلتحق بالمنطقة الجديدة بصفة فردية فيقلم ويشذب الغابة. وبعد مرور قرن أو قرنين من الزمان يتكاثر نسله ويشكلون عشيرة ويطلقون عليها اسم الجد الأول الذي يكون مثلا اسمه أحمد، فيطلقون عليها اسم أولاد أحمد، وبمرور قرنين آخرين تنمو تلك العشيرة فتتوسع في الغابات المجاورة، وتتعدد عشائرها وتصبح قبيلة أو عرشا، وتغير بداية الاسم وينقلب من أولاد أحمد إلى بني احمد. وبهذه الكيفية تشكلت قبائل المنطقة الممتدة من بجاية إلى سكيكدة. وأثناء تكونها حسب الكيفية المشار إليها سابقا دخلت عليها عناصر جديدة أندلسية وعربية وتركية.

ومنذ البداية وقع الانصهار بين تلك العناصر، ويعد تكونها حديثا. أما بالنسبة للعمق التاريخي، فلا يتعدى القرن الثاني عشر الميلادي على أبعد تقدير، لأن المنطقة قبل ذلك كانت عبارة عن غابات بكر. ويرجح هذا الاحتمال الأساطير المتوارثة ومجريات الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة والواقع الملموس، ولذلك يبدو واضحا انصهار العنصر الأمازيغي والأندلسي في القبائل الساحلية مثل العوانة وبني قايد وبني احمد وبني عمران وأولاد بلعفو وبني سيار وبني يدر والجناح وبني حبيبي وبني فرقان وغيرهم، كما يظهر العنصر الأمازيغي العربي واضحا في القبائل الجنوبية مثل بني خطاب الشراقة وزواغة وجيملة، وبنفس المثل يتجلى العنصر العربي التركي أو الأمازيغي التركي العربي في مدينة جيجل وضواحيها. وسنعود إلى هذا الموضوع في الفصول اللاحقة بالتفصيل للحديث عن الكيفية التي دخلت بها تلك العناصر على المنطقة.

هوامش الفصل الأول

1- "الغدر" التي تعني الخداع، لان المكان كان مشهورا بعد بداية العهد الفرنسي بعصابات قطاع الطرق. بين الغدر اذن ربما تعني هنا الكلمة الدارجة، اي المكر والخداع.

2- كانت جريدة المبشر التي بدات في الصدور سنة 1847 تنشر تقريبا اسبوعيا طيلة القرن التاسع عشر اخبارا عن قتل النمور والاسود والضبع في جميع غابات الشمال الجزائري كله، وكانت تشيد بالصيادين الذين يقتلونهم، لانهم كانوا يفترسون الحيوانات والعباد.

3- صالح بن قربة استاذ الاثار بجامعة الجزائر.

4- هذا الكتاب الفه ابن الاثير في القرن الثالث عشر الميلادي.

5- كتاب العبر: المجلد السادس ص 301.

6- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ص 145.

7- ارجح القرن الرابع عشر لبداية التعمير الدائم للمنطقة، لأننا نستخلص ذلك من خلال مقارنة المصادر الفرنسية الحديثة بالمصادر العربية الإسلامية التي صدرت قبل القرن السادس عشر، لان الاولى احصت اكثر من 70 قبيلة، وجذوعها موزعة في المنطقة الجبلية الممتدة من بجاية إلى سكيكدة، بينما الثانية لم تذكر إلا قبيلتين تقعان على اطراف المنطقة وهما زواغة وبني تليلان. أما قبل هذا القرن فكان السكان يلجأون إلى الجبال أثناء مطاردة الغزاة او الحكام المحليين لهم، ثم يعودون بعد انتهاء المطاردة.

8- نشر هذا الكتاب في مدينة الجزائر سنة 1873، وهو موجود بالمكتبة الوطنية تحت رقم: 5255 ص 4

(9) Bulletin officiel du gouvernement général de l'algerie

(10) senatus conculte du 22 avril 1863

11- لا يختلف وصف الفرنسيين في الستينات من القرن التاسع عشر لسكان الأرياف الجزائرية، بصفة خاصة، عن وصف ابن خلدون لهم في القرن الرابع عشر: أي قبلهم بخمسة قرون من حيث المسكن ووسائل المعيشة وتربية الحيوان والنحل، حيث يقول في المقدمة- الباب الثاني - الفصل الأول ص 127 "يتخذون البيوت من الطين والحجر أو من الشجر".

أما وصف المعيشة فيقول "من كان منهم في الزراعة والقيام بالفلح وتربية الحيوانات والنحل كان المقام أولى به من الظعن..".

12- اهتمت المصادر الفرنسية كثيرا بالحدود التي اصطنعتها بين الأعراش، رغم أنها لا تستحق ذلك الاهتمام، ولم تكن لها أهمية في العهد العثماني، لاتساع المناطق الغابية. ولكن هدف الفرنسيين من ذلك هو زرع الفتنة بين الأعراش.

13- الجريدة الرسمية، العدد1283، مجلد 1892، صفحات 1155– 56 –57 – 58.

14- نشر في الجريدة الرسمية ليوم 25 ديسمبر 1902. ويعد هذا التقرير متاخرا زمنيا بالنسبة لتقارير اعراش منطقة جيجل. ولهذا يختلف عنها في اسلوب تحريره.

15- نشر هذا التقرير يوم 13 نوفمبر 1891 في الجريدة الرسمية، العدد 1238.

(*) توجد بعمق جبال بني فوغال عين تدعى محليا (عين المشاكي) وقد كتب عنها الرحالة البكري في القرن الحادي عشر الميلادي الذي أطلق عليها اسم عين الاوقات لأن مياهها تزيد في اوقات الصلاة وتنقص في غيرها. وقد عاينها شارل فيرو صاحب كتاب تاريخ مدينة جيجل سنة 1871 . كما زارها وفد من معهد باريس للدراسات الجيولوجيا سنة 1947 .

وهذه العين حسب السكان المحليين تقع جنوب الطريق الجبلي الرابط بين تاكسنة وفج سلمى . وقد وقفت على قمة الجبل الذي تقع في إحدى شعابه العميقة جدا ولم أتمكن من النزول إليها لأسباب أمنية.

16- اذا كان هذا التاريخ صحيحا لمجيء العائلات المغربية إلى العوانة، فإنه يتناسب ما تناقلته الكتب التاريخية من أن عبد المومن المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين قد ترك الفقهاء، الذين جاء بهم من المغرب، في وسط القبائل البربرية لتعليمهم الدين الإسلامي الصحيح عندما حرر مدينة جيجل من الصليبيين سنة 1153.

17- نشر هذا التقرير في الجريدة الرسمية، العدد 264، الصادرة يوم 14 أكتوبر 1867. وهذا التقرير خاص بقبيلة بني عمران الجبلية، لأن قبيلة بني عمران السفلية، التي تقع في الضاحية الشرقية لمدينة جيجل، لها تقرير خاص بها.

18- ما قلته في قبيلة العوانة ينطبق على قبيلة بني عمران.

19- أمضى هذا التقرير الصادر في سنة 1867 الإمبراطور نابليون، أي قمة السلطة، على عكس تقرير العوانة الصادر سنة 1891الذي أمضاه الحاكم العام بالجزائر.

20- نشر هذا التقرير في الجريدة الرسمية في العدد 1399 الصادر في 4 جويلية 1895، من صفحة 685 إلى صفحة 689.

21- من يرد المزيد من المعلومات حول هذه الشخصية فليطالع كتابنا "السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري" ص 50 وما بعدها.

22- الاعراش من الغرب إلى الشرق: أولاد بن لعفو، بني سيار، بني معمر، بني معزوز، بني حبيبي، الجناح، بني عافر.

23- نشر هذا التقرير في مجلد الجريدة الرسمية لسنة 1868، العدد 280 يوم 01 ديسمبر 1867، من صفحة 442 إلى 444.

24- مجلد الجريدة الرسمية لسنة 1968، العدد 278 الصادر في 7 أكتوبر1867، من صفحة 394 الى صفحة 396.

25- القبالة يعني بني خطاب الشرقي، الفرق بينها وبين بني خطاب الغرابة التي تقع شرق بني عمران قرب مدينة جيجل كما أشرت إلى ذلك سابقا.

نشر هذا التقرير في الجريدة الرسمية في عددها 294 الصادر في شهر مارس 1868، صفحات 712، 713، 714.

26- كتب هذا التقرير قبل أن تغتصب منهم تلك الأراضي الخصبة، أي قبل إنشاء المستعمرة المعروفة بسليانة التي تقع غرب القرارم القريبة من سد بني هارون العملاق.

27- الجريدة الرسمية، العدد 1412، 20 سبتمبر 1895، مجلد سنة 1896، صفحات: 170، 173، 174، 175.

28- الجريدة الرسمية لسنة 1868، الصفحات من 560 إلى 562.

29- الجريدة الرسمية، العدد 286، 16 مارس 1968، مجلد 1868، صفحات 665، 666،667، 668.

30- نشر هذا التقرير يوم 13 نوفمبر 1891 في الجريدة الرسمية العدد 1238، مجلد سنة 1891، صفحات 929، 930، 931.

31- من الأرجح أن تكون هناك بعض التوثيقات الخاصة بالأنساب موجودة في الزوايا الكبيرة التي كانت بالمنطقة قبل ثورة المقراني سنة 1871، لأن تلك الزوايا أزيلت نهائيا من الوجود، بسبب مشاركتها بفعالية في تلك الثورة، وأهمها زاوية مولا الشقفة ببني يدر وزاوية بني فيالا ببني حبيبي وزاوية بني عرعور في بني فوغال وبابور وغيرهما.

الفصل الثاني

منطقة جيجل في العهود القديمة

من تاريخ منطقة جيجل بالمراحل التاريخية التي مر بها تاريخ الجزائر كله. وعادة
ما يختصر المورخون تلك المرحلة بمرحلتين رئيسيتين: مر حلة ما قبل التاريخ التي تتضمن عدة عصور معروفة في الكتب التاريخية بالعصور الحجرية والنحاسية والفخارية وغيرها. ومرحلة العصور التاريخية التي تشتمل هي الأخرى على عدة عهود. وبالنسبة للجزائر. تبدأ هذه العصور بالعهد الفينيقي القرطاجي وتنتهي بالعهد العربي الإسلامي الذي هو مستمر معنا إلى اليوم.

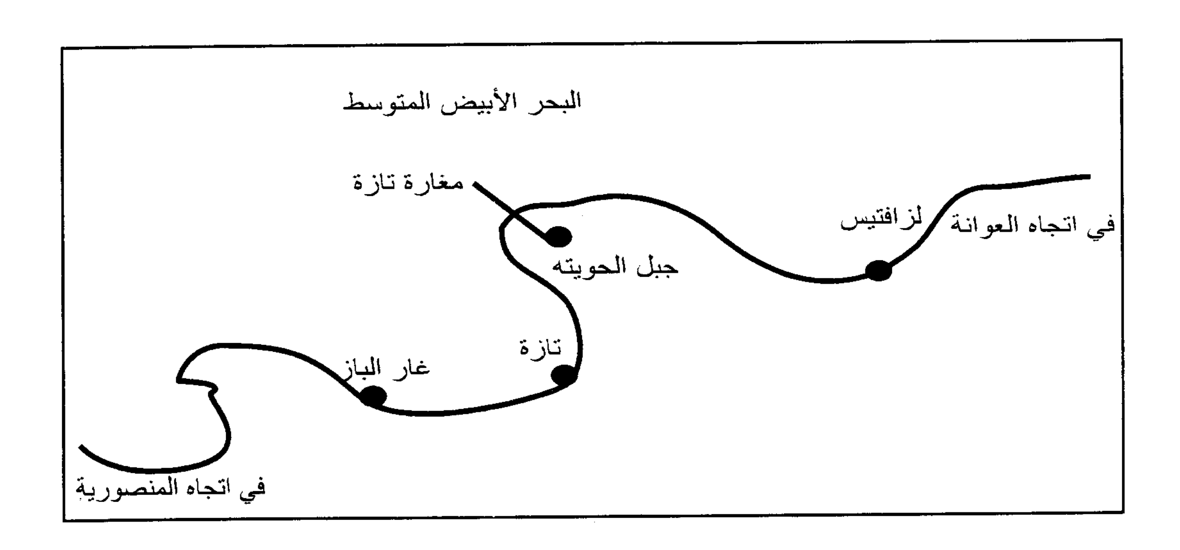
1. عهد ما قبل التاريخ

أشرنا في مقدمة الكتاب إلى ندرة النصوص التاريخية الخاصة بمنطقة جيجل. في العصور التاريخية بكافة عهودها بما فيها العهد العثماني القريب منا نسبيا (1516 - 1830)، فما بالك بعصور ما قبل التاريخ. فعلى الرغم من ثراءالمنطقة بالكهوف والمغارات التي عادة ما كان يسكنها الإنسان البدائي، الا انه لحد اليوم لم تتناول اية دراسة جدية عصور ما قبل التاريخ بها، باستثناء بعض الدراسات الفرنسية القليلة التي قام بها الفرنسيون في آخر عهدهم، ودراسات جزائرية بعد الاستقلال اقل من الفرنسية، لأنها اقتصرت على موقعين أثريين في ولاية جيجل كلها. وهما يقعان غرب المدينة (بالقرب من شاطئ البحر). ومعنى هذا أن الدراسات والابحاث لم تصل بعد إلى الكهوف والمغارات المنتشرة في كامل جبال وهضاب المنطقة. والموقعان اللذان خضعا للدراسة هما: موقع تازا وموقع هضبة بني قايد المطلة على مدينة جيجل.

أ. مغارة تازا

تقع هذه المغارة الأثرية شرق قرية تازا، ولا تبعد عنها إلا بحوالي كلمترا واحدا على حافة الطريق الوطني الرابط بين بجاية وجيجل، يعني غرب مدينة جيجل على بعد 25 كلم. وقد اكتشفها أحد الباحثين الفرنسيين سنة 1926 (1) وسماها مغارة لا مدلين (crote de la madline) لتشابه الأدوات الحجرية التي وجدت بها بتلك التي عثر عليها في مغارة لا مادلين غرب فرنسا، وبعد ذلك بقيت مغارة تازا على حالها حتى سنة 1949 حيث قام باحث آخر بالدراسة والتنقيب فيها. والتقط عينات لصناعات حجرية وعظاما حيوانية. وهي الآن محفوظة بمركز الدراسات التاريخية بالجزائر العاصمة.

وفي سنة 1967 قام الأستاذ إبراهيمي (2) بالبحث والتنقيب في المغارة وغير اسمها العلمي من مغارة لا مادلين إلى مغارة تازا، والتقط هو كذلك بعض الأدوات الحجرية وعظاما حيوانية، وهي كذلك محفوظة بالمركز السالف الذكر.



وفي سنة **1989** قام خمسة أساتذة وباحثين في عصور ما قبل التاريخ من معهد الآثار بجامعة الجزائر (3) بالبحث والتنقيب والتدريب على حفر المواقع الأثرية لما قبل العصور التاريخية.

وتوج هؤلاء الأساتذة أعمالهم التنقيبية بإعداد تقرير من حوالي خمس وثلاثين ورقة يحتوي على معلومات قيمة بالنسبة للمختصين في علم الآثار، وصور متنوعة للمصنوعات الحجرية التي عثروا عليها.

وخلصوا في تقريرهم إلى تقديم قائمة بالبقايا الأثرية التي التقطوها من الموقع الأثري، وهي كالتالي: **325** عنصرا هي عبارة عن مصنوعات حجرية. **329** عنصرا هي بقايا عظام بشرية وحيوانية و**46** قطعة فخار.

ب. موقع هضبة بني قايد

الموقع الأثري الثاني لما قبل التاريخ الذي خضع للبحث والدراسة في نهاية العهد الفرنسي هو موقع هضبة بني قايد المطلة على مدينة جيجل من الناحيتين الغربية والجنوبية التي تشتمل على عدة مواقع أو محطات أثرية موزعة على مدرجات الهضبة في الهواء الطلق وليست داخل المغارات أو الكهوف.

وأول تلك المحطات المكتشفة تقع على المدرج الذي يبدأ في الارتفاع من شاطئ بحر الضاحية الغربية للمدينة، وآخرها قرب قمة مزغيطان. وقد تم اكتشاف الموقع أو هذه المحطات الأثرية المحيطة بمدينة جيجل ثلاثة من الباحثين الفرنسيين ما بين سنتي **1952** و**1954**.

وفي سنة 1965 قام باحث فرنسي آخر (4) بحفريات واسعة في تلك المحطات. وكانت نتائجها التقاط مصنوعات حجرية تمثل تقريبا جميع عصور ما قبل التاريخ. حسب الخبراء الذين صنفوها، فمنها ما يعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى والأسفل، ومنها ما يعود إلى العصر الحجري الحديث. هذه المحطات أو المواقع الأثرية لما قبل التاريخ المحيطة بمدينة جيجل من الجهات الثلاث: (غرب، جنوب، شرق) تؤكد على أن المنطقة سكنها الإنسان في جميع عصور ما قبل التاريخ رغم تضاريسها الجبلية الوعرة وسواحلها الضيقة. كما قد تكون تلك التجمعات البشرية التي كانت تحيط بالمدينة في عصور ما قبل التاريخ من الاسباب الرئيسية التي جعلت الفينيقيين يختارون المكان الذي اسسوا فيه مركزهم التجاري (سنتعرض له بالتفصيل لا حقا).

2. العهود التاريخية (حوالي 800ق م. 1900 م)

أ. العهد الفينيقي

يحدد أغلب المورخين دخول أقطار شمال أفريقيا في مرحلة العصر التاريخي ببداية وصول الفينيقيين إليها حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. اي ببداية العهد الفينيقي القرطاجي الذي ينتهي سنة 146 ق م عندما سقطت مدينة قرطاجة عاصمة أقطار الشمال الإفريقي حينذاك في يد الرومان.

هذا بالنسبة لأقطار الشمال الافريقي، أما بالنسبة للقطر الجزائري بصفة عامة ومنطقة جيجل بصفة خاصة، فقد دخلت هي كذلك في العصر التاريخي مبكرا مثل بقية المناطق الساحلية، لأن أول اتصال بين الفينيقيين وسكان الجزائر كان عن طريق البحر. ولا أحد يعرف بالضبط متى أسس الفينيقيون مدينة جيجل. كما لا أحد يعرف لماذا سميت بهذا الاسم، فقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة إيقيقلي (IGILGILI). فالبعض منهم يدعي أنها محلية كتامية، نسبة إلى قبيلة كتامة. لأنها قريبة من النطق الأمازيغي المحلي، لأن منطقة المدينة كانت عامرة بالسكان. بدليل المحطات الأثرية المنتشرة في هضبة بني قايد التي أشرت إليها سابقا، وبدليل ايضا نطقها وكتابتها قبل العهد الإسلامي، إذ كان الرومان يكتبونها إيقيلقيلي حسب اللوحة الحجرية المحفوظة في متحف قسنطينة التي تعود إلى عهدهم. فهذه الكلمة حسب المختصين في لغات الغزاة الذين تداولوا على احتلال المدينة لا معنى له، ولذلك فهي أمازيغية.

اما البعض الآخر من المورخين ومنهم شارل فيرو الذي يعد أول من ألف عن تاريخ مدينة جيجل (5) فيرجع أصلها إلى مدينة القلقة الفلسطينية التي هاجر ملكها أثناء العهد الفينيقي إلى مدينة جيجل فسماها باسم المدينة التي هاجر منها.

اما في العهد الاسلامي فقد كتبها مورخو ذلك العصر باسم جيجل كما هو اسمها اليوم. أما مورخو اوربا خلال ذلك العهد فقد كانوا يكتبونها وينطقونها ريجال أو ريجال، يعني جيجل.

وفي العهد الفرنسي أعيدت إلى ما كانت عليه في العهد الروماني. ومن كثرة الاستعمال كتبت ونطقت جيجلي، ومعنى ذلك العودة بالمدينة إلى عهد الاستعمار الروماني. لأن الفرنسيين كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة شرعيين للاستعمار الروماني.

هذا بالنسبة لاسم المدينة، أما بالنسبة لتاريخ تأسيسها من طرف البحارة الفينيقيين أو القرطاجيين فلا أحد يعرف ذلك، لأن الدليل المادي الوحيد على العهد الفينيقي القرطاجي الذي دام في المنطقة أكثر من ستة قرون هو: قبور الرابطة المحفورة على صخور الشاطى الغربي لمدينة جيجل، لأن لها مظاهر كالتي وجدت في جميع المدن الساحلية الفينيقية القرطاجية، وعلى رأسها قبور العاصمة قرطاجة بتونس.

ولا يوجد أي دليل مادي ملموس على توغل الفينيقيين أو القرطاجيين داخل منطقة جيجل، بل اقتصر تواجدهم في المدينة، وحتى الرومان لم يتوغلوا في أعماق المنطقة.

ب. العهد الروماني الوندالي البيزنطي: 146ق م. 670 م

لقد مر الغزاة الثلاثة: الرومان والوندال والبيزنطيون على مدينة جيجل مثل بقية المدن الساحلية، ولكنهم لم يتوغلوا في إقليمها الجغرافي بسبب تضاريسه الجبلية، ولهذا اقتصر وجودهم على المدينة والسهل القريب منها، ولكننا لا نعرف متى احتلوها بالضبط.

وأهم نص تاريخي تمكنا من الاطلاع عليه حول تاريخ احتلالها هو ما حدث في عهد الإمبراطور الروماني أوكتافيون أوغسطس الذي حكم روما في الفترة ما بين (52 - 30 ق م)، حيث أمر هذا الإمبراطور بأن تكون مدينة جيجل مستوطنة لتوطين الجنود المسرحين.

وهذا التاريخ يوافق نهاية المرحلة الانتقالية التي أنشأتها ظروف الانتقال من العهد الفينيقي القرطاجي إلى العهد الروماني، حيث لعبت فيه الممالك البربرية الوطنية دور شبه الدول المستقلة، مستغلة ظروف الأزمات الداخلية الرومانية التي نتجت عن

انتصارهم على القرطاجيين كالنقص في العنصر البشري بسبب ضحايا تلك الحروب المعروفة في الكتب التاريخية بالحروب البونية.

وبعد تغلبهم على تلك الأزمات الداخلية شرعوا في تطبيق استعمارهم الاستيطاني وحددوا دور مدينة جيجل ومحيطها السهلي لاستيطان الجنود المسرحين.

ورغم هذا الدور الذي استمر حسب النصوص التاريخية حتى سنة 128م، فإن اولئك الذين استوطنوها لم يتركوا بها أية آثار تذكر. فلا مسارح ولا ملاعب ولا ساحات عمومية ولا حمامات ولا خزانات مياه، مثل التي تم العثور عليها في المدن الساحلية القريبة منها، كبجاية في غربها وسكيكدة في شرقها.

وأهم أثر مادي بقي إلى اليوم في مدينة جيجل أو إقليمها الجغرافي يتمثل في بقايا حائط في المرسى الغربي للمدينة، وبقايا حجارة قرية شابا (زيامة منصورية).

ويقول الفرنسيون ان بعض الأطلال الرومانية لحمامات، قد عثروا عليها بعد احتلالهم للمدينة سنة 1839، غير أن الزلزال الذي ضربها سنة 1856 قد أزال هذه الأطلال نهائيا من الوجود.

ولقد أشار الأستاذ نوار ساحلي (6) اعتمادا على بعض المراجع الفرنسية إلى وجود حوالي خمسين موقعا أثريا في منطقة جيجل أغلبها مواقع رومانية. وقد ذكر بعض هذه المواقع مثل موقع مصب الوادي الكبير شرق مدينة جيجل، وأطلال أولاد علال ببلدية الشقفة، وأطلال سطارة بدائرة الميلية. ولكن هذه الأطلال لم يعد لها حاليا أي أثر، أو أنها قد اندثرت إن وجدت حقا كما تذكر المراجع الفرنسية.

والحقيقة التاريخية التي نستنتجها من انعدام الآثار المادية في اعماق منطقة جيجل للعهود الرومانية والوندالية والبيزنطية هي عدم توغل الغزاة في جبالها ووديانها طيلة القرون الثمانية التي استعمروها (146 ق م - 670 م). وان المنطقة التي خضعت لهم فعلا هي المدينة والمناطق السهلية الساحلية القريبة منها، كما نستخلص الطابع العسكري لهذه الآثار من خلال نصين إداريين: أحدهما صدر في عهد القيصر أوغسطس، والثاني صدر سنة 107م في عهد الإمبراطور ماركوس البيوس أرجان (27 - 117 م) جاء فيه "يمنح المسرحون من الخدمة العسكرية قطعة أرض ومبلغا ماليا لشرائها".

ولتطبيق هذا الأمر الوارد في النص استولت السلطات الرومانية على الأراضي السهلية القريبة من مدينة جيجل التي انتزعتها بالقوة من القبيلة الكتامية المعروفة حينذاك بالزيميرس وسلمتها للجنود المسرحين المستوطنين الرومان والعناصر الموالية لهم.

ورغم الطابع العسكري لمدينة جيجل طيلة العهد الروماني حسب النصين السابقين فان تاريخها العسكري ما زال مجهولا. فلا النصوص الادبية ولا الشهادات العسكرية، ولا النقوش تقدم لنا معرفة المصدر الذي أمدها بالجند المسرحين الذين استوطنوها ولا بأصولهم العرقية، كما أنها لا تدلنا على الفرق العسكرية التي عسكرت أو مرت بها (7).

ونفس الغموض يحيط بتاريخها الإداري، فهي، من هذا الجانب، لا تختلف عن المستوطنات الرومانية التي يحكمها مجلس بلدي وفقا لما تنص عليه القوانين الرومانية.

3. العهد الإسلامي

أ- دخول الإسلام إلى المنطقة

رغم الأهمية الكبرى لبداية العهد الإسلامي على المستوى الوطني، لانها تعد المرحلة التاريخية الأطول بالنسبة للمراحل التاريخية السابقة، ولأنها المرحلة هي التي تكون فيها كيان ومقومات الشعب الجزائري الحالي. رغم هذه الأهمية الكبرى، إلا أننا مع الأسف لا نعرف إلى حد اليوم كيف دخل بالتدقيق الدين الإسلامي الحنيف إلى الإقليم الساحلي كله الممتد من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية بصفة عامة، وإقليم منطقة جيجل بصفة خاصة، وهذا عكس الأقاليم الساحلية التونسية والمغربية التي تتشابه معها في التضاريس والغطاء النباتي مثل بنزرت وطبرقة في تونس، وطنجة وتيطوان بالمغرب. وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة إلى ما ذكرته أمهات الكتب التاريخية أثناء دخول الجيوش الإسلامية لتلك المدن الساحلية التونسية خلال سنوات 683 - 695 م في عهد حسان بن النعمان من فرار سكان تلك المدن التونسية الى مدينة عنابة (8)، ولكن تلك الكتب لم تشر اطلاقا إلى مطاردتهم او ملاحقتهم الى مدينة عنابة، بل رجعت تلك الجيوش الى مدينة القيروان لتتأهب لمواجهة الكاهنة التي تتمركز في جبال الأوراس.

وهكذا انصبت كل الفتوحات الإسلامية بالنسبة للقطر الجزائري على الإقليم الفاصل بين الصحراء والتلال الممتدة من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية مثل منطقة تبسة، خنشلة، بسكرة، المسيلة، تيارت، تلمسان الخ. فبالنسبة للمعارك الرئيسية المصيرية وقعت كلها جنوب شرق الجزائر مثل مقتل عقبة بن نافع قرب بسكرة، والانتقام من قاتله كسيلة جنوب شرق تبسة داخل القطر التونسي، ومقتل الكاهنة قرب خنشلة. أما سير الحملات المتجهة نحو الغرب الجزائري او المغرب الاقصى

مثل تلك التي قادها أبو المهاجر دينار أو عقبة بن نافع فكان مسلكها بسكرة، المسلة، تيارت، تلمسان.

هذا ما نستخلصه من نصوص أمهات الكتب التاريخية العربية عند تعرضها لتفاصيل تلك الفتوحات التي جرت في الإقليم الجنوبي الذي أشرنا إليه سابقا، ولا نجد فيها أية إشارة إلى أي عمل عسكري قامت به جيوش تلك الفتوحات في الشريط الساحلي الممتد من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية. باستثناء بعض النصوص التي كتبها المتأخرون والتي لا أساس لها من الناحية العلمية. وقد سبق للدكتور موسى لقبال أن طعن في صحتها في كتابه "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" (9).

وهكذا فإن الإقليم الساحلي كله بطوله وعرضه لم يكن له شأن حينذاك في نظر فحول المؤرخين العرب الأوائل الذين اهتموا بحملات الغزو بالمغرب الأوسط، إذ لا نجد في نصوصه إلا إشارات خفيفة وعموميات لا تكفي لبناء حقائق تاريخية عن دور الشريط الساحلي في أحداث الفتح والتي تعد منطقة جيجل من أجزائه المعزولة، وبما أنها هي المعنية بالدراسة، لذلك سنتابع تلك الإشارات التي جاءت في تلك الكتب في القرنين الأولين للعهد الإسلامي. وحسب ما توفر لدينا من معلومات، فإن أول إشارة ذكرت فيها منطقة جيجل بالاسم هي عندما كانت تلك المصادر تكتب بالتفصيل أحداث الصراعات المذهبية التي كانت سائدة بين سنوات 150 - 156 هـ (786 - 792) بين الولاة العباسيين وبين الخوارج الإباضية والصفرية في القيروان بتونس وطبنة بالجزائر وغيرهم، فهناك ذكرت جيجل وإقليمها الجغرافي كملجأ آمن ومخبأ مخفي لكل منهزم في تلك الصراعات، سواء من رجال السلطة العباسية بعد نجاح الثائرين عليها، أو من الثائرين بعد فشلهم.

فقد ذكر كل من ابن الأثير وابن عذاري وابن خلدون وغيرهم من أمهات الكتب التاريخية العربية تفاصيل تلك الصراعات. ومما ذكره ابن خلدون مثلا في كتاب العبر (10) "أنهما فرا إلى جيجل من سواحل كتامة فتركهما ورجع إلى القيروان"، ويقصد بالفارين إلى جيجل وإلى العباسيين على طبنة المخارق بن عفار وخليفة والي القيروان عمر بن عثمان، بعد ما انتصر عليهما الثائر الخارجي الإباضي أبو حاتم يعقوب بن حبيب، وافتك منهما القيروان عاصمة الولاية العباسية للمغرب الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر)، فعندما طاردهما فرا على جيجل فتركهما.

هذا بالنسبة لرجال السلطة العباسية، أما بالنسبة للثائرين ضدها فقد ذكرت المصادر نفسها أثناء تعرضها لتطورات تلك الصراعات سنة 155 هـ (772 م)

بعدما انقلب الصراع لصالح ولاة الدولة العباسية بعدما وصلتهم إمدادات الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.

وقد نجحت فعلا تلك الإمدادات في استرجاع الولاة لولاياتهم، كما أتاحت لهم التنكيل بالثائرين ضدهم، ولذلك فر من هؤلاء الثائرين من بقي منهم على قيد الحياة إلى جبال كتامة الواقعة شمال قسنطينة، وعلى رأس الفارين عبد الرحمن بن حبيب الفهري حفيد عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الدولة الأموية **(11)**.

نستنتج، من إشارات أمهات الكتب التاريخية العربية القليلة التي رجعنا إليها وما ذكرته من تفاصيل الصراعات المذهبية والسياسية، بعض الملامح العامة لكامل الاقليم الساحلي من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية والتي تفيد عدم مشاركة سكان الإقليم في الصراعات المذهبية والسياسية التي جرت خلال القرنين الاونين من العهد الإسلامي. كما نستنتج تبعيته التامة للإقليم الجنوبي دينيا وسياسيا واقتصاديا. ففي شرقه يتبع مدينتي بغاية قرب خنشلة وطبنة قرب المسيلة، وفي غربه يتبع مدينتي تيارت وتلمسان.

لقد تمركزت الأغلبية الساحقة من القبائل البربرية بالإقليم الجنوبي. بالإضافة إلى الاستقرار الجماعي لبقايا الجيش الإسلامي الفاتح، ولذلك بقي هو المسرح الدائم لكل الثورات.

هذا بالنسبة للإقليم الشمالي الساحلي كله، أما بالنسبة لمنطقة جيجل فبالإضافة إلى مشاركتها للإقليم الساحلي في كل الملامح التاريخية التي أشرنا إليها سابقا، فإنها كانت ملجأ مناسبا للمغضوب عليهم من كل الأطراف التي تتصارع على السلطة في عواصم الولايات أو في مقر الخلافة ببغداد. وهذا ما سنراه لا حقا مع الداعية الشيعي.

ب. تأسيس الدولة الفاطمية

لقد استمر تجاهل أمهات الكتب التاريخية العربية لمدينة جيجل وإقليمها الجغرافي خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، رغم تعرضها لبعض الإشارات والعموميات التي جاءت في سياق تناولها للأحداث التاريخية المهمة التي حاول بعض الاساتذة المعاصرين استغلال بعضها في نطاق الملتقيات التاريخية التي كانت تنظمها ولاية جيجل في السنوات الماضية، وبعضها خارجها، وذلك بالاعتماد على تلك الإشارات والعموميات واستخراج منها أدوار من المحتمل أن تكون قبائل المنطقة قد لعبتها في تأسيس الدولة الفاطمية، منها مثلا اجتهادات الدكتور موسى لقبال في كتابه السالف

الذكر. اذ رجح احتمال وجود أدوار أساسية لقبائل منطقة جيجل في تأسيس الدولة الفاطمية في نهاية القرن الثالث الهجري (12) وذلك بناء على نصوص تاريخية ورد فيها اسما قبيلتين لعبتا دورا أساسيا في احتضان دعوة ابي عبد الله الشيعي بقلعة إيكجان بالسفوح الجنوبية لكتلة بابور الجبلية وهما جيملة ووجانة.

فبالنسبة لجيملة يقول الدكتور موسى لقبال "واسم جيملة موجود حتى الآن بين بلديات ولاية جيجل، والطريق إليها من جيجل عبر قرية تاكسانة على مسافة 50 كلم إلى الجنوب الشرقي. وقد ورد ذكر جيملة بكثرة عند القاضي النعمان في افتتاح الدعوة، كما ورد اسم جيجل في شعر أبي عقب : بعد كمال المائتين في رجب من جيجل ينهض جيش ذو لجب" (13).

وهذا ما يبين بأن مركز الأحداث هو جيجل، لأن جيملة المقصودة هي التي تقع في إطاره وليست جميلة البعيدة عنه. وبلدية جيملة الآن تشتمل على ثلاث وحدات إدارية وقبلية ودواوير هي: وحدة تمزكيدة ووحدة جيملة نفسها، ووحدة بني عافر... ويلاحظ أن جيملة ليست بعيدة عن قلعة إيكجان. كما ان وفد حجاج كتامة في مكة كان من بينه رجال من هذه القبيلة ومن بني سكتان أهم فروعها. لذلك لقي الداعي الشيعي والحركة الشيعية التأييد والحماية.

إن الاحتمال الذي ذهب إليه الدكتور لقبال باعتبار بقايا قبيلة جيملة الواقعة حاليا بمنطقة جيجل هي القبيلة نفسها، التي تحدثت عنها النصوص التاريخية أثناء تأسيس الدولة الفاطمية، وهي كذلك القبيلة التي ذكرها ابن خلدون كبطن من بطون كتامة في عصره (14)، هذا الاحتمال بعيد عن الواقع لعدة أسباب موضوعية منها: الموقع الذي توجد فيه جيملة القريبة من جيجل، فحوالي تسعين في المائة منه جبال وشعاب وغابات وأدغال، ولهذا فلا يمكن أن يكون ذلك الموقع موطنا لقبيلة جيملة المذكورة في النصوص التاريخية، ولهذا فالاحتمال الأرجح هو أن جيملة المعنية بتلك النصوص هي ما تسمى اليوم بجميلة البعيدة عن منطقة جيجل والقريبة من العلمة ومن بني عزيز، حيث توجد قلعة إيكجان، وذلك لعدة دلائل منها: موقعها السهلي ووجود آثار رومانية هائلة بمنطقتها، ومنها المدينة الرومانية المعروفة كويكلوم (Cuiculum)، كما تعد أقرب إلى سطيف وميلة من جيملة (الجيجلية)، ولذلك فالإشكالية تكمن في الفرق بين جميلة (تقديم الميم على الياء) وجيملة (تقديم الياء على الميم). والعكس هو الصحيح، لأن جيملة الحقيقية هي ما تسمى اليوم بجميلة القريبة من العلمة، وليست جيملة القريبة من جيجل .

هذا بالنسبة لقبيلة جيملة، أما دوار وجانة فيقول الدكتور لقبال (15) أن وجانة (أجانة) لا تعرف مواطنها بالتحديد، ولكن يرجح أن بقايا هذه القبيلة توجد على

هوامش الحد الإداري بين مدينتي الميلية والطاهير، وبين جبل سدات والمسيد بقرب أولاد عسكر. وتعرف في هذه الجهة مع التحريف الشعبي يرجانة (إرجانة)، وفي نفس المكان يوجد واد يعرف بوادي يرجانة (إرجانة)، وكانت تنتشر فروع القبيلة على ضفتيه فيما يبدو..الخ. وإلى أرجانة أو يرجانة ينتمي كثير من القادة الذين أسهموا في تأييد الدعوة الشيعية في كتامة وفي أفريقيا، ومن أشهرهم ماكنون بن ضبارة وابن أخيه تمام بن معاك.

إن الاحتمال الذي أورده الدكتور لقبال على أن بقايا قبيلة أجانة المذكورة في النصوص التاريخية هم السكان الحاليون لضفتي وادي يرجانة (إرجانة) الواقع شرق مدينة جيجل ما بين الشقفة وبلدية بلهادف الجبلية بعيد عن الواقع. فلو شاهد الدكتور لقبال ضفتي هذا الوادي الذي سمي باسم غابات أشجار الزان المنتشرة على ضفتيه والذي سمي به وادي الزانة، ومن كثرة الاستعمال حرفت إلى وادي يرجانة. أقول لو شاهد الدكتور ذلك، لما أورد ذلك الاحتمال، إذ لا علاقة لوادي يرجانة بقبيلة أجانة لا من قريب ولا من بعيد. وقد اشتهر وادي يرجانة في بداية الاحتلال الفرنسي بالاستغلال الفاحش لغابات الزان المنتشرة على ضفتيه لاستعمالها أعمدة لخط التلغراف الرابط بين قسنطينة وجيجل، وكذلك في خط السكة الحديدية بين ميناء جيجل ومنجم الحديد الذي كان موجودا بسيدي معروف.

اما السكان الذين وجدهم الفرنسيون قريبين من الوادي فهم عرشا بني فتح وبني عيشة من الناحية الشرقية، وعرشا بني حبيبي وبني يدر من الناحية الغربية.

وقد قسم الفرنسيون هذا العرش الأخير إلى ثلاثة دواوير وأطلقوا على احدهم اسم يرجانة، وهو الممتد من قرية الشقفة إلى وادي يرجانة، والثاني والثالث وادي النيل ووادي بوتناش.

والخلاصة أن تاريخ منطقة جيجل في القرون الأربعة الأولى من العهد الإسلامي ما يزال مجهولا، ولا نعرف منه إلا القليل، سواء الذي يتعلق بالمدينة أو الذي يتعلق بإقليمها الجغرافي. رغم ظهور دولة إسلامية عظمى بالقرب منها، وهي الدولة الفاطمية التي أشرنا إليها سابقا، إلا أن امتداد تلك الدولة اتجه نحو الشرق والجنوب، ولم نعثر على أي نص تاريخي يشير إلى أي عمل عسكري أو إداري أو دعوي وجهته تلك الدولة الشيعية نحو المنطقة الشمالية المتاخمة، حيث تقع مدينة جيجل، ولذلك نستنتج عدة احتمالات منها: أن المنطقة خلال القرون الأربعة الاولى من العهد الاسلامي لا شان لها، لأن مناطقها الجبلية الواسعة ما زالت غير مأهولة بالسكان وأن مركزهم كان بالسفوح الجنوبية المقابلة لسطيف والعلمة وفي حوض فرجيوة. ولا يوجد إلا القليل منهم في السفوح الجبلية الساحلية قرب

مدينة جيجل، بدليل بقاء تبعيتهم الإدارية لمدينة سطيف وميلة مثلما كانوا قبل العهد الإسلامي. وقد استمر هذا الوضع في بداية الدولة الحمادية، وعلى الاخص عندما كانت عاصمتها بالقلعة قرب المسيلة.

ج. الدولة الحمادية: 419. 547 هـ. 1028. 1152م (16)

بعد رحيل الدولة الفاطمية نحو تونس ثم مصر كما هو معروف في الكتب التاريخية، قامت الدولة الحمادية على يد موسسها حماد بن بلكين سنة 419 هـ (1028 م)، وجعل عاصمتها القلعة قرب المسيلة.

ولكن الأمير الخامس لهذه الدولة الناصر بن علناس(17) "علاء الناس" نقل العاصمة من القلعة الى بجاية بعدما تولى الحكم في (481هـ - 1088م). وبذلك أصبحت عاصمة الدولة الحمادية لا تبعد عن جيجل الا بحوالي 90 كلم. ورغم هذا الجوار أو القرب، الا أننا لا نجد الكثير من النصوص التاريخية حول منطقة جيجل الملاصقة لها من الناحية الشرقية. وهذا عكس مدينة بجاية واقليمها الجغرافي المحيط بها. فإننا نجد الكتب التراثية والتاريخية وغيرها مملوءة بتلك النصوص ولكن بالنسبة للجارة الشرقية شحيحة، ولا نجد منها ما نعتمد عليه في استنتاج معلومات تاريخية مترابطة نبني عليها دراسة تاريخ المنطقة لذلك العهد. وتعني شحة النصوص التاريخية أن المنطقة بقيت عديمة الشأن عندما كانت عاصمة الدولة الحمادية في القلعة، وحتى النصوص القليلة التي تكلمت عنها بعدما نقل الحماديون عاصمتهم إلى بجاية، تكلمت على نمو مدينة جيجل فقط. أما إقليمها الجغرافي الذي اعني به القبائل التي استوطنت الكتلة الجبلية الواقعة شرق بجاية، فلم نعثر في الكتب التاريخية الكثيرة القديم منها والجديد، التي استطعنا الاطلاع عليها، على أي اسم من أسماء القبائل التي نجدها في الوثائق الادارية أثناء العهد العثماني والتي وجدها الفرنسيون بعد احتلالهم لمدينة جيجل سنة 1839م، وعلى الأخص القبائل الكبيرة مثل بني فوغال وبني خطاب وبني يدر وأولاد عيدون وبني توفوت، وحتى الواقعة بضواحي بجاية مثل بني ميمون وبني إسماعيل. باستثناء بني الدوبي الواقعة بأعالي جبال بابور شرق مدينة بجاية، فقد ذكرتها النصوص التاريخية أثناء سقوط الدولة الحمادية (547هـ 1152م) في يد الموحدين.

لقد ذكرت تلك النصوص هزيمة جيوش الأمير يحي بن العزيز آخر أمراء تلك الدولة، الذي فرت فلوله برا وبحرا. ونهضت القبائل المجاورة لبجاية ككتامة ولواتة، حيث قادهم أبو قصبة شيخ قبيلة بني الدوبي واعترضوا طريق جيش الموحدين المتجه

الى القلعة في أعالي جبال شرق مدينة بجاية. ولكنهم انهزموا بسرعة أمام جيش الموحدين.

هذا بالنسبة لأرياف منطقة جيجل التي بقيت مجهولة، أما بالنسبة للمدينة، فقد عرفت تطورا ونموا ملحوظا، وعلى الأخص في المرحلة الأخيرة من عهد الدولة الحمادية. فقد ذكرتها النصوص التاريخية كمدينة استعملت في أول الأمر لنفي الأمراء المغضوب عليهم، وبالتالي للنزهة والسياحة، كما كانت هدفا لانتقام المسيحيين الأوربيين من المسلمين أثناء الحروب الصليبية.

ففي أوائل سنة **498** هـ(**1104** م) تولى الإمارة الحمادية باديس بعد موت أبيه المنصور بن الناصر علاء الناس، فبدأ عهده بالإساءة إلى كل ما حوله، ومن جملتهم امه فتوعدها بالقتل، كما عزل أخاه العزيز الذي كان واليا على مدينة الجزائر في عهد أبيهما المنصور، ثم نفاه إلى مدينة جيجل، ولكن هذا النفي لم يطل، لأن باديس قتل بعد ثمانية أشهر فقط من توليته في ظروف غامضة. ويقال إن أمه هي التي دست له السم، وبعد موته تولى أخوه العزيز، المنفي بجيجل، الإمارة. فهذه العلاقة غير المرغوبة بين الأمير الحمادي العزيز ومدينة جيجل، ربما هي التي دفعت ولده يحي لبناء قصر بها للنزهة والسياحة الذي خربه النورمانديون سنة (**537** هـ **1143** م). ولشهرة هذا القصر ذكرته كل أمهات الكتب التاريخية والجغرافية العربية التي تحدثت عن تطور مدينة جيجل في نهاية العهد الحمادي وبداية العهد الموحدي، ومنهم مثلا الجغرافي المعروف بالشريف الإدريسي الذي كتب أهم وصف لها في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) حيث قال: (18) "وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، محيط بها، ولها ربض. ولما ظفر بها أسطول الملك المعظم روجار، صعد أهلها إلى جبل يقع على بعد ميل من المدينة وبنوا مدينة حصينة، فإذا كان زمن الشتاء سكنوا المرسى والساحل ، وإذا كان زمن الصيف ووقت الأسطول نقلوا أمتعتهم وجملة بضائعهم إلى الحصن الأعلى البعيد من البحر. وهي إلى الآن خراب، مهدمة الديار مثلمة الأسوار، ليس بها ساكن، ولا يقر بها قاطن، وهي مدينة حسنة، بها الألبان والسمن والعسل والزرع الكثير، وبها الحوت الكثير العدد المتناهي الطيب..".

ومن مدينة جيجل إلى طرف مزغيطان إلى جزيرة العافية إلى فج الزرزور إلى حصن المنصورية على البحر إلى متوسة، وهي قرية عامرة وبها معادن الجص، ومنها يحمل إلى بجاية، وبينهما اثنا عشر ميلا. وكذلك من جيجل إلى بجاية الناصرية خمسون ميلا، ومدينة جيجل لها مرسيان:

مرسى منهما في جهة جنوبها، وهو مرسى وعر، الدخول إليه صعب، لا يدخل إلا بدليل حاذق.

وأما مرساها من جهة الشمال ويسمى مرسى الشعراء، فهو ساكن الحركة كالحوض، حسن الإرساء، لكنه لا يحتمل الكثير من المراكب لصغره، وهو رمل" (19).

إن نص الإدريسي يعد أهم وثيقة تاريخية معاصرة للأحداث التي عاشتها مدينة جيجل في القرن السادس الهجري، قرن التكالب الصليبي على بلدان المغرب الإسلامي، ونستخلص منه بعض الإشارات الى منتوجات اقليمها الجغرافي، من بينها الألبان والسمن والعسل والزرع الكثير.

هذا بالنسبة للجغرافيين العرب، أما بالنسبة للمؤرخين، فقد ذكرت ذلك التخريب لمدينة جيجل الذي اشار إليه الإدريسي وأمهات الكتب التاريخية التي جاءت بعد القرن السادس الهجري مثل ابن الأثير وابن عذاري وابن خلدون وغيرهم. ومن المهم أن نختار نصا لابن الأثير الذي كتبه بعد قرن من وقوعه حيث يقول" فوصل النورمانديون إلى جيجل، فلما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوها واحرقوها وخربوا القصر الذي بناه يحي بن العزيز الحمادي، ثم عادوا" (20).

وقد علق الدكتور صالح بن قربة على هذا النص بقوله "والمعلومات التي يمكن استخلاصها من هذا النص التاريخي القيم عن مدينة جيجل مهمة، فمثلا عند كلامه "فكلما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال"، يفهم منه أن المدينة كانت مزودة بأبراج للمراقبة، وإلا كيف نفسر هروب أهل المدينة قبل وقوع الخطر؟" (21).

أما الملاحظة الثانية .. فهي أن المدينة كانت تضم أحياء سكنية ومؤسسات دينية وتعليمية ومراكز وورشات للعمل والحرف. فالنص على جانب كبير من الناحية التاريخية، فهو يؤرخ لفترة حاسمة من فترات الصرع بين المسلمين والصليبيين.

والخلاصة التي نستخرجها من جوار العاصمة الحمادية بجاية لمنطقة جيجل هي أن المدينة عرفت تطورا ملحوظا في أواخر عهدهم.

ونعرف ذلك عندما نقارن نصوص جغرافي ومؤرخي القرن الخامس الهجري مثل ابن حوقل والبكري مع نصوص جغرافي ومؤرخي القرن السادس والسابع مثل الإدريسي وابن الأثير، رغم ذلك التطور الملحوظ فإننا نجهل الكثير عن دورها الاقتصادي والإداري أو زعامتها لإقليمها الجغرافي، فقد بقيت تابعة لغيرها، لأن كل الكتب التاريخية التي تمكننا من الاطلاع عليها لم تشر لا من قريب ولا من بعيد لمدينة جيجل كعاصمة لإقليمها أو مقر للوالي ولا نائبه أو لأي ممثل للإمارة الحمادية. فقد كانت في العهود التي سبقت الحماديين تابعة لمدن الجنوب كسطيف وميلة. وبعد نقل الحماديين عاصمتهم إلى بجاية أصبحت تابعة لها. وقد استمرت هذه التبعية طيلة القرون التالية إلى غاية القرن العشرين، يعني طيلة العهد العثماني والفرنسي.

ففي هذا العهد الأخير كانت جيجل تابعة إداريا لبجاية حتى سنة **1962**، كما سنتعرض له لا حقا. ولا نجد تفسيرا لتجاهل منطقة جيجل إداريا وسياسيا، وبالتالي تاريخيا، طيلة العهد الإسلامي الأول سوى أنها كانت غير مأهولة بالسكان باستثناء سهل جيجل الضيق وسفوح الجبال المحيطة به. أما أعماقها الواسعة، فكانت غابات وأدغالا، ولهذا كانت عديمة الشأن.

وفي اعتقادنا، أن تعمير تلك الأعماق بدأ بعد سقوط الدولة الحمادية في القرن الثاني عشر. وحسب الروايات التي كانت متداولة بين سكان المنطقة والتي سجلها الفرنسيون في وثائقهم الإدارية يدعي كل عرش من أعراشها بأن جده الأول جاء من الناحية الغربية من الساقية الحمراء، ومنهم من يدعي أن جده الأول له علاقة بالدولة الحمادية **(22)**.

ونظرا لذلك التجاهل الذي أشرنا إليه سالفا وغموض تاريخ المنطقة خلال تلك القرون. فإننا سنقتصر لا حقا على العموميات التي لها اتصال مباشر بالمنطقة خلال العهدين: الموحدي والحفصي.

د – المنطقة في العهد الموحدي والحفصي(1152 . 1513)

تعد هذه المرحلة التي اصطلح المورخون على تسميتها بمرحلة نهاية القرون الوسطى هي آخر مرحلة بالنسبة للعهد الإسلامي الأول حسب المنهجية التي انتهجناها، لأن العهد العثماني يعد المرحلة الثانية من ذلك العهد.

وتعد تلك المرحلة بالنسبة للمنطقة من أغمض المراحل التاريخية التي نتناولها، لأنها متداخلة بين الحفصيين بتونس والجنوبيين بايطاليا. وعلى الأخص هذا العهد الأخير داخل مدينة جيجل الذي دام أكثر من قرنين ونصف. لأنه لم يخضع للدراسة المعمقة إلى حد اليوم طبقا للمعلومات المتوافرة لدينا.

تشتمل تلك المرحلة التاريخية المتداخلة التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون ونصف على ثلاثة عهود كبرى ومتوسطة وصغرى: أولها عهد الدولة الموحدية الذي استمر حوالي ثمانين سنة (من سنة **1152** إلى سنة **1236** م)، وثانيها العهد الحفصي الذي لم يدم بالنسبة لمدينة جيجل عاصمة الإقليم الذي نخصه بدراستنا إلا حوالي عشرين سنة (من **1236** - **1260** م).

وأخيرا العهد الجنوي الذي استمر في المدينة أكثر من قرنين ونصف (يمتد من **1260** - **1513** م).

وأول هذه العهود هو: العهد الموحدي) (23) الذي بدأ بعد سقوط الدولة الحمادية على يد الموحدين سنة 1152 بقيادة عبد المومن بن علي الذي دخلت جيوشه بجاية حسب التاريخ السالف الذكر (24).

وفي نفس السنة حرر أسطوله مدينة جيجل الذي كان قد احتلها اسطول روجار الثاني ملك صقلية سنة 1143م، كما أشرنا إليه سابقا، وبذلك دخلت المنطقة تحت النفوذ الموحدي، حيث تدار من طرف الوالي الموحدي المقيم ببجاية التابع لعاصمة الدولة بمراكش بالمغرب الأقصى.

أما العهد الحفصي الذي لم يدم بالنسبة لمدينة جيجل إلا حوالي أربعة وعشرين سنة، فقد بدأ بعدما أعلن أبو زكرياء الحفصي انفصاله عن الدولة الموحدية سنة 636 هـ (25)، وفي السنة نفسها احتل الولايتين الشرقيتين للقطر الجزاري: بجاية وقسنطينة، وبذلك أصبحت منطقة جيجل التي كانت تابعة لولاية بجاية تابعة لتونس بعدما كانت تابعة لمراكش، ولكن العهد الحفصي لم يدم طويلا . كما تمت الإشارة إليه سابقا، لاحتلال الجنوبيين لعاصمة الإقليم مدينة جيجل سنة 1260 م.

إن احتلال المدينة سنة 1260، من طرف الجنويين وبقاءهم فيها أكثر من قرنين ونصف وسط ولايتين أو إمارتين حفصيتين (بجاية في الغرب وقسنطينة في الشرق) مدة طويلة يدعو إلى البحث والتقصي في بطون الكتب التاريخية العربية والإيطالية لمعرفة تلك الفترة الطويلة التي تعايشت فيها الإمارتان الحفصيتان مع الاحتلال الجنوي.

فحسب الكتب التاريخية العربية المتوافرة لدينا قديمها وحديثها، وكذا المحاضرات والأبحاث التي قدمها الأساتذة خلال الملتقيات التي كانت تنظمها ولاية جيجل في السنوات الماضية، لم نعثر في أي منها على أية إشارة تشير إلى الظروف والطريقة التي دخل بها الجنويون إلى مدينة جيجل سوى عبارة " احتلها الجنويون سنة كذا"، كما أننا لم نعثر في تلك الكتب على أية إشارة إلى قيام أي من الولايتين (بجاية وقسنطينة) بتحرير المدينة من قبضة الجنويين طيلة تلك المدة التي تبلغ أكثر من قرنين ونصف، باستثناء حسن الوزان الذي ألف كتابه باللغة الإيطالية، ولذلك فالاستنتاج القريب إلى الحقيقة هو: أن ذلك الاحتلال، واستمراره لفترة طويلة كان نتيجة لاتفاقيات بين الطرفين، لأن الفترة التي احتلت فيها المدينة 1260 م كانت فيها الدولة الحفصية قوية، إذ كان على رأسها حينذاك المستنصر بالله (26) الذي يعتبر عهده من أعز عهود الدولة الحفصية حسب ابن خلدون الذي عاصر احتلال مدينة جيجل، حيث يقول عن هذا الأمير الحفصي (27) "في أيامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنيها وتأنق الناس في الملابس والمراكب

والمباني". هذا من جهة. ومن جهة اخرى تحسنت العلاقات بين دويلات جنوب إيطاليا والدولة الحفصية حينذاك، وعلى الأخص في عهد الإمبراطور فريدريك الثاني صاحب صقلية الذي عقد مع المستنصر بالله هدنة، وهذه الهدنة تؤكد ما ذهبنا إليه من ان دخولها او احتلالها كان نتيجة لاتفاقيات سرية بين المستنصر بالله الحفصي وفريدريك الثاني. هذا على الأقل في السنوات الأولى من الدخول أو الاحتلال.

وأول تلك الأحداث التي ذكرتها الكتب التاريخية بنود الهدنتين أو المعاهدتين المهينتين اللتين عقدت الأولى منهما بين المستنصر بالله وفريدريك الثاني ربما قبل احتلال مدينة جيجل، والثانية سنة 1270 بينه وبين شارل دانجو خليفة فريدريك الثاني على صقلية (28).

وأهم بنود المعاهدتين أن يدفع المستنصر بالله غرامة مالية سنوية ضخمة للطرف الآخر(فريدريك الثاني وشارل دانجو على التوالي). وأخطر ما تضمنته بنود المعاهدة الثانية يتمثل في السماح للمسيحيين ببناء الكنائس وإقامة المقابر في جميع تراب الدولة الحفصية، وبإقامة شعائرهم الدينية جهرا. كما تضمنت المعاهدة الثانية بندا لصالح الدولة الحفصية يتمثل في عدم الاعتداء على الاراضي التابعة لها حاضرا ومستقبلا.

وهذا البند يتناقض مع بقاء احتلال الجنويين لمدينة جيجل، لان امير جنوة الذي كان من بين الذين شاركوا في المفاوضات وفي احتلال مدينة جيجل، ظلت قواته تحتل المدينة.

مثل هذه الاحداث التاريخية تدفع إلى الاعتقاد بأن احتلال مدينة جيجل من قبل الجنويين كان نتيجة لاتفاقات سرية بين الطرفين لم تتضمنها بنود المعاهدتين اللتين نشر المورخون بنودها، وهي معروفة في المصادر التاريخية الإيطالية، غير أننا لم نتمكن من الاطلاع عليها.

وما تم ذكره يتعلق بالسنوات الأولى لاحتلال المدينة، أما بالنسبة لما تلاها من احتلال يتجاوز القرن والنصف. فلا نجد له تفسيرا مقبولا سوى عامل الضعف والانحلال الذي دب في الدولة الحفصية بعد وفاة أميرها القوي المستنصر بالله سنة 1277 وانعكاس ذلك على الولايتين قسنطينة وبجاية .

وطبقا لشهادات ابن خلدون الذي عايش فترة مهمة من تلك الحقبة التاريخية (1332 - 1406 م) وشارك في صناعة جزء من أحداثها (29)، فقد عمت الفتن والاضطرابات والفوضى في أركان الدولة الحفصية خلال القرنين الثالث والرابع عشر في الوقت الذي كانت فيه مدينة جيجل تحت الاحتلال الجنوي. لقد أفرد ابن خلدون المجلد السادس من كتابه "العبر ..." تقريبا لوصف تلك الفتن والاضطرابات

أهمها ما وقع في السنوات الست عقب وفاة المستنصر بالله. فبعد موته مباشرة خلفه ابنه يحي ولقب بالواثق بالله.

وقد دشن عهده بقتل عبد الملك الغافقي الذي يعد من كبار الموظفين في عهد أبيه، مما أغضب الكثير من رجالات الدولة، فكان هذا الحادث بداية لسلسلة من الأحداث الدامية التي عرفتها الأسرة الحفصية بصفة خاصة ورجالات الدولة مما كان يسمى حينذاك بمشيخة الموحدين بصفة عامة **(30)**.

ففي سنة **1278** م عاد أبو إسحاق عم السلطان الواثق بالله الذي كان هاربا بالأندلس، ليطالب بحقه في العرش الحفصي. وبمجرد وصوله إلى بجاية قتل الوالي الذي عينه الواثق عليها مع بطانته، وبايعه أهلها، ثم اتجه إلى تونس عبر قسنطينة. وقبل وصوله إلى العاصمة الحفصية وقعت خيانة في جيش الواثق بالله فتنازل لعمه عن العرش الحفصي، ومن ثم دخل أبو إسحاق العاصمة الحفصية (تونس) منتصرا.

وفي سنة **1280** قتل أبو إسحاق ابن أخيه الذي تنازل له عن العرش. كما قتل أبناءه الثلاثة. وفي نفس السنة قتل أيضا والي قسنطينة ابن الوزير وأخاه واتباعهما، كما ظهر في ذات السنة مغامر كبير كان خياطا بمدينة بجاية يدعى ابو عمار في الأرياف متنقلا بين القبائل الهلالية والبربرية، مدعيا أنه من أبناء الواثق الذي قتله عمه واغتصب منه العرش، فصدقه الناس. وخلال سنتين نجح في دعوته ودخل العاصمة تونس منتصرا سنة **1382**، وبدأ عمله بالقتل والتنكيل برجال العهد السابق. ومن جملتهم جد ابن خلدون، ولكن السلطان أبو إسحاق نجا بأعجوبة من المجزرة التي قام بها هذا المغامر، فخرج هاربا وتوجه نحو قسنطينة. وعندما وصلها منعه واليها من الدخول إليها، فواصل هربه نحو بجاية حيث كان ابنه أبو فارس واليا عليها.

لكن ابنه تنكر له ومنعه من الدخول إلى قصر الولاية، وطلب منه أن يعزل نفسه. ففعل ذلك مكرها. وأشهد عليه ابنه شيوخ الموحدين.

وبهذه الطريقة خلف أبو فارس أباه على عرش السنطة الحفصية التي استولى عليها الثائر أبو عمار على النحو الذي أشرنا إليه آنفا.

وأول عمل قام به أبو فارس وضع أبيه تحت الإقامة الجبرية وعين احد اخوته خليفة على الولاية أثناء غيابه، وبدأ يستعد للتوجه إلى تونس لاسترجاع العرش المغتصب من أبيه، فجهز جيشا ضخما من قبائل سدويكش الموزعة ما بين بجاية وقسنطينة وبعض القبائل الهلالية. واتجه بها نحو تونس. وعندما سمع به الثائر ابو عمار جمع جيشه وأنصاره من القبائل البربرية والهلالية الموزعة في الناحية الشرقية. والتقى الجيشان في مرماجنة (على الأرجح ما بين تبسة وخنشلة). وانتهت المعركة

نصائح الثائر. وقتل الامير الحفصي أبو فارس وجميع إخوته الذين رافقوه. ولما وصل خبر الهزيمة الى بجاية ثار أهلها ضد خليفته على الولاية واختاروا رجلا منهم يحكمهم باسم الثائر أبي عمار الذي استولى على العرش الحفصي بتونس.

اما السلطان ابو اسحاق المُوضوع تحت الاقامة الجبرية فقد ضم اليه الثوار ولده الذي عين خليفة للوالي الذي قتل في معركة مرماجنة من قبل أبي عمار الثائر. وفي سنة 1383 م بعث إليهما الثائر ابو عمار من تونس من يقتلهما داخل المعتقل.

وهكذا كانت السنوات الست بمثابة عينة من الفتن والاضطرابات التي سادت التاريخ السياسي للدولة الحفصية التي كانت لها سيادة اسمية على منطقة جيجل طيلة القرون التي كانت مدينتها جيجل تحت الاحتلال الجنوي[1].

وقد أحصينا عدد الحروب الداخلية التي وقعت في أطراف مدينة جيجل خلال العهد الحفصي على الطريق الرابط بين بجاية وقسنطينة فوجدناها تفوق الخمسين. اي بمعدل حرب واحدة في كل ثلاث سنوات.

ونظرا لكون مدينة جيجل خارجة عن مسرح تلك الحروب بسبب خضوعها للاحتلال الجنوي. فقد تجاهلتها النصوص التاريخية فيما يخص تلك المعارك. أما أطراف اقليمها الجغرافي في الجهات الشرقية والغربية والجنوبية (مثل سطيف والعلمة وحوض فرجيوة) فكانت مسرحا لعدد من تلك الحروب خلال القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي. ولذلك تعد تلك الحروب حسب رأينا هي السبب المباشر لتعمير الكتلة الجبلية الممتدة ما بين بجاية وسكيكدة بالسكان، لأن الروايات المتوارثة إلى اليوم بين أعراش وعشائر تلك الكتلة الجبلية الطويلة الواسعة تدعي كلها بأن جدها الأول جاء إلى المنطقة في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر من الساقية الحمراء، أي من جنوب المغرب. فإذا ربطنا بين مضمون تلك الروايات وبين أبطال ومحركي تلك الحروب. وهم بالطبع أمراء الدولة الحفصية في بجاية وقسنطينة بصفة خاصة ومشيخة الموحدين بصفة عامة (حزب السلطة)، تتأكد لنا صحة البعض من تلك الروايات، لأن أغلب رجالات ذلك الحزب من جنوب المغرب، أي من الساقية الحمراء، خاصة أن طبيعة تلك الكتلة الجبلية تعد ملاذا آمنا ومكانا مفضلا لكل هارب من ويلات تلك الحروب، ولكل مطلوب من الأمير الذي نجح في الاستيلاء على السلطة في عاصمة الولاية، سواء أكان ببجاية أو قسنطينة، ولذلك فالطرف الخاسر بالطبع يكون على رأسه شريف من حزب السلطة، فيفر إلى تلك الكتلة الجبلية ويختار المكان الملائم في وسط الغابات الكثيفة للاختباء فيها، فيهيئها ويقيم فيها الأكواخ وغيرها.

امثال هؤلاء الفارين في نظرنا يشكلون النواة الاولى لسكان الكتلة الجبلية الممتدة من بجاية إلى سكيكدة بصفة خاصة، ومجمل الشريط الساحلي الممتد من دلس غربا الى عنابة شرقا بصفة عامة. لأن مضمون كل الروايات المتوارثة تؤيد هذا الراي أو هذا الاستنتاج، خاصة أن جميع القبائل والعشائر تدعي بأن جدها الاول شريف أو مرابط من الساقية الحمراء، وكل قبيلة أو عشيرة تتقن رواية وصول ذلك الشريف أو المرابط إلى المكان الذي استقر فيه. وبعد موته يبنون على قبره مسجدا أو زاوية حسب قيمته وقيمة العشيرة التي ينتسب إليها ويطلقون اسمه عليها. ويصبح ذلك المكان مقدسا لديهم. وقد استمرهذا التقديس بين القبائل والعشائر إلى أن ظهرت الحركة الإصلاحية بزعامة المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس في الثلاثينات من القرن الماضي **(31)**.

هـ . مدينة جيجل في العهد الجنوي

لقد قسمنا المرحلة التاريخية الممتدة من القرن الحادي عشر الميلادي الى نهاية القرن الخامس عشر، وهي آخر مرحلة للعهد الإسلامي الاول. إلى ثلاثة عهود لها اتصال مباشر بمنطقة جيجل. وأشرنا أثناء تناولنا للعهد الحفصي إلى الظروف القاسية التي واكبت احتلال المدينة مدة طويلة، ولكننا لم نتعرض لوضعها الداخلي وعلاقاتها مع المحيط القريب منها، لان المصادر التي استطعنا الاطلاع عليها لم تشر إلى أي دور لعبته المدينة في الصراعات والفتن التي كانت تدور في إقليمها الجغرافي بين الأمراء الحفصيين في بجاية وقسنطينة أو بين الدول الثلاث : المرينية والزيانية والحفصية، كما أننا لم نعثر على أي مصدر أو وثيقة تشير إلى دورها التجاري بين جنوب إيطاليا والولايتين بجاية وقسنطينة.

ونفس الشيء بالنسبة لنظام تسيير المدينة والعلاقة بين سكانها وضواحيها والحامية العسكرية الجنوية ومدى تغلغل النفوذ الجنوي خارج المدينة. فهذه الجوانب تبقى مع الأسف مجهولة. وحتى المؤرخين الفرنسيين الذين ارخوا للمدينة لم يتعرضوا إلى هذه الجوانب.

وأهم نص يتعرض لمدينة جيجل وإقليمها الجغرافي في نهاية العهد الجنوبي وبداية العهد العثماني هو نص حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي **(32)**. وقد كتبه باللغة الإيطالية وها هو نصه "قصر جيجل هو قصر قديم بناه الافارقة على ساحل البحر فوق جرف عال على مسافة ستين ميلا من بجاية... ويضم حوالي خمسمائة أسرة، وبيوته جميلة جدا، ورجاله بواسل كرماء واوفياء. وكلهم فلاحون وأراضيهم وعرة غير صالحة سوى لزراعة الشعير والكتان والقنب

الذي ينمو هناك بكمية كبيرة. ويوجد في هذا القصر كذلك الكثير من شجر الجوز والتين، وتنقل ثمرات هذا الشجر إلى تونس في مراكب صغيرة... وقد حافظ هذا القصر دوما على حريته رغما عن ملوك بجاية وملوك تونس لاستحالة محاصرته، غير أن هؤلاء السكان خضعوا بمحض إرادتهم لبربروس، ولم يفرض عليهم سوى العشور على الحبوب والثمار، وهو أمر كان دائما مشروعا في العادة، ولم يترك ممثلا له في القصر سوى مفوض.

إن هذا النص يمدنا ببعض التفاصيل عن مدينة جيجل في أواخر العهد الجنوي وبداية العهد العثماني. وقبل التطرق إلى تحليل المعلومات التي يمدنا بها كاتب النص، فلا بد من طرح بعض التساؤلات حول الغموض الذي يحيط بالنص منها مثلا: هل النص كتب أثناء احتلال الجنويين للمدينة أم بعد خروجهم منها؟، مع العلم بأن حسن الوزان - كاتب النص كان أستاذا للغة العربية في الجامعة الإيطالية، فهو يعيش في إيطاليا، وجنوة واحدة من الإمارات الإيطالية، كما أن الفترة التي عاشها (1488 - 1532) تعد من أواخر العهد الجنوي.

هذان العاملان يساعدان على الإجابة عن التساؤل الأول، وهو أن كاتب النص زار جيجل وهي ما تزال تحت الاحتلال الجنوي، بالرغم مما ورد في آخر النص، وهو خضوع السكان لبربروس الذي طرد الجنويين سنة (1513 -1514) م. فإذا راعينا السنوات ما بين تحرير المدينة من طرف بربروس ووفاة كاتب النص نجدها 17 سنة. وهذه الفترة المضطربة في حوض البحر الأبيض المتوسط لا تساعد كاتب النص على زيارة جيجل، لأن الصراع على أشده بين الدول المسيحية والإمبراطورية العثمانية، ولهذا لا تكون الزيارة - إذا كانت حقا هناك زيارة قد وقعت - إلا في نهاية الاحتلال الجنوي للمدينة، أما استنادا إلى النص فيمكن أن تكون قد وقعت بعد خروجهم، وهذا هو التفسير المنطقي لمنطوق النص الإيطالي ما دامت النصوص العربية سكتت سكوتا تاما عن العهد الجنوي في مدينة جيجل.

والغريب في هذا النص الذي نقلناه حرفيا من محاضرات الأستاذ صالح بن قربة (33) التي ألقاها في مدينة جيجل بمناسبة انعقاد ملتقى الحضارات، أنه أي النص لا يشير إطلاقا إلى الاحتلال الجنوي، رغم أنه كان معاصرا له، وكأن هذا الاحتلال حسب مضمون النص قد وقع برضا سكان المدينة، أو كانت الحامية العسكرية الجنوية لا تتدخل إطلاقا في الشؤون السياسية والإدارية والدينية والاقتصادية للمدينة، أي أن الحامية رابضة داخل قلعة في جزيرة قرب مدينة جيجل، وكل شيء يأتيها عن طريق البحر من إيطاليا، وهذا يدفعنا إلى التساؤل: كيف تبقى حامية عسكرية ما يزيد عن قرنين ونصف في مدينة معزولة عنها وعن محيطها.؟

ومما يزيد النص غرابة أنه يشير بوضوح إلى مقاومة سكان المدينة لسلاطين الدولة الحفصية بتونس وولاتها ببجاية كلما حاولوا إخضاعها لسلطتهم. وقد سبق ان اشرنا في الفصل السابق إلى خلو النصوص العربية من اية اشارة تشير الى محاولة الدولة الحفصية أو ولاتها ببجاية وقسنطينة تحرير المدينة من الاحتلال الجنوي. اعتمادا على ما توفر لدينا من معلومات في هذا الموضوع.

هذا فيما يتصل بسلاطين تونس وولاة بجاية، أما بالنسبة للحامية العسكرية الجنوية التي تحتل المدينة فلم يشر النص إلى اية مشاكل وقعت بينها وبين سكان المدينة. ومما يدعم هذا الاتجاه الوصف الجميل لمباني المدينة الذي تضمنه النص" وبيوته جميلة" وارتفاع عدد سكانها إلى ما يفوق ثلاثة الف نسمة (ويضم حوالي خمسمائة أسرة)، وكذلك وفرة المنتوجات الفلاحية وجودة نوعيتها رغم قلة الاراضي السهلية"وأراضيهم وعرة غير صالحة للزراعة"، وكذلك النشاط التجاري الخارجي بين مدينة جيجل وتونس.اما رجال قصر جيجل أو مدينة جيجل فهم " بواسل كرماء أوفياء وكلهم فلاحون".

فاذا كان هذا هو النص التاريخي الوحيد الذي استطعنا الاطلاع عليه فيما يخص اوضاع مدينة جيجل أثناء الاحتلال الجنوي لها، فمن المنطقي أن نعتمد عليه في استنتاج بعض الاحتمالات التاريخية، لأنه لا تتوافر لدينا أية معلومات من مصادر أخرى لمقارنته ومعرفة مدى مصداقيته.

ومن تلك الاحتمالات أن المدينة وإقليمها الجغرافي قد عرفا تنمية هائلة حسب ذلك الوقت. وان المدينة كانت تعيش في وئام تام بين قوة عسكرية مسيحية محتلة. وبين مدينة إسلامية. بدليل أن تلك الحامية المسيحية لم يقم سكان المدينة في أي وقت من الاوقات بمحاولة طردها من مدينتهم، وكذا الدولة الحفصية التابعة لها. وقد بقيت محتلة الى ان حررها عروج سنة **1513** أو **1514** م، أي حررتها قوة عسكرية أجنبية. مع العلم أن تلك الحامية لا يتجاوز عدد أفرادها مائة جندي.

فإذا قارنا أوضاعها العامة حسب مضمون النص مع الولايتين المجاورتين اللتين سبق لنا وصف أو ضاعهما الكارثية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. فإننا نخرج بالنتيجة التالية وهي أن مدينة جيجل وإقليمها الجغرافي عاشت في سلم ووئام وتنمية مع محتل أجنبي، وولايتي بجاية وقسنطينة المجاورتين عاشتا في نفس الوقت في حروب وفوضى وبؤس مع امير محلي.

هوامش الفصل الثاني

(1) أرابوق (ARABOUG) أستاذ التاريخ القديم بجامعة الجزائر

(2) لم نعثر على ترجمة لهذا الباحث.

(3) هم أساتذة ما قبل التاريخ بجامعة الجزائر: محمد الصديق، محمد سحنوني، صالح عبد الصادوق، دراجي عبد القادر، عمر قلماوي.

(4) الباحث هو رامندو (L . Ramendo) هو أستاذ ما قبل التاريخ بجامعة الجزائر.

(5) تاريخ مدينة جيجل ص 75.

(6) نوار ساحلي: رئيس الدائرة الأثرية لولايات قسنطينة، ميلة، جيجل.

(7) محاضرة ألقتها الدكتورة خديجة منصوري من جامعة وهران في مدينة جيجل سنة 1998 أثناء انعقاد ملتقى الحضارات تحت عنوان: جيجل في الفترة الرومانية. ومما ورد في المحاضرة :

"لقد عثر أحد الباحثين بحصن سانت فراند على معلم أثري يشير إلى أشراف والي المقاطعة سنة 128م على رسم الحدود الفاصلة بين أراضي المستوطنة وأراضي قبيلة الزيميريس. وأصبحت هذه الأخيرة ابتداء من هذا التاريخ تنتهي بمكان يبعد بخمس مئة قدم (740م) عن صور المستعمرة.

(8) يقول ابن الأثير في كتابه الكامل ص 180 "وبعد احتلال قرطاجنة وبنزرت لجأ الرومان والبربر هاربين إلى مدينة باجة وبونة (عنابة) فاحتمتا بهما ثم عاد حسان بعد ذلك إلى القيروان".

(9) يقول الدكتور لقبال في صفحة 74 من الكتاب المذكور أعلاه " يستثنى من النصوص العربية كتاب فتوح أفريقيا للواقدي ومخطوط لاج السفينة لابن الأنبيري".

وما يشير إليه كتاب الواقدي من حملات عسكرية وجهها المسلمون نحو مدينة قسنطينة وميلة وسطيف، هو مجرد صور قصصية متاخرة وضعت بقصد التسلية، أما مخطوط علاج السفينة فيلاحظ عليه أنه إنتاج العصور المتأخرة .. مما يدل على أن تلك الأخبار مصطنعة. وللمزيد من التفاصيل، انظر المصدر نفسه.

(10) ابن خلدون ج 4 ص 414.

(11) يقول ابن الأثير في الكامل ج 5 ص 60 :

"لما انهزم جيش الخوارج فر عبد الرحمن.. إلى جبال كتامة شمال قسنطينة واعتصم بقلعةصحاب،فاتبعه العلاء بن سعيد المهلبي، ففر عبد الرحمن عبر البحر إلى الأندلس.."

(12) المصدر السابق ص257 وما بعدها.

(13) القاضي النعمان ص 107.
(14) كتاب العبر ، المجلد السادس ص 303
(15) المصدر السابق ص 108
(16) الدولة الحمادية بالجزائر ظهرت ما بين 419 هـ (1028) و547 هـ (1152)، وتنتسب إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري. وهي مستقلة عن الخلافة الفاطمية التي رحلت إلى مصر، وكانت تمتد من جبال الأوراس الى وادي ملوية بالمغرب الأقصى، وقد نقل الناصر بن علناس (علاء الناس)، أحد امرائها. العاصمة من القلعة قرب المسيلة إلى بجاية إثر الزحف الهلالي على بلاد المغرب. وقد عاشت هذه الدولة حوالي 124 سنة وسقطت على يد الموحدين سنة 547 هـ (1152).
(17) ابن علاء الناس حكم الإمارة الحمادية ما بين سنتي (481هـ -1088م)
(18) الإدريسي : هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله إدريس، ينتسب إلى الأدارسة. ويعتبر من المعاصرين لوقائع تخريب المدينة سنة 537 هـ (1143م) من طرف أسطول روجار ملك صقلية، وربما يكون قد شاهد المدينة بعد تخريبها أو سمع ممن شارك في تخريبها، لأنه في تلك الأثناء زار صقلية واتصل بملكها روجارالذي قربه إليه، وألف كتابه المشهور في الجغرافيا "صفة الارض" وأضاف اليه قسم "نزهة المشتاق" وانتهى من تأليفه سنة 548 هـ (1163م).
(19) كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزء التاسع ص 6.
(20) يحي بن العزيز: آخر أمراء الدولة الحمادية، تولى إمارتها ما بين سنتي 515 - 547 هـ (1121 – 1157م).
(21) د . صالح بن قربة: أستاذ بمعهد الآثار بجامعة الجزائر في محاضرة ألقاها بمدينة جيجل سنة 1998 بمناسبة انعقاد ملتقى الحضارات.
(22) إن ادعاء كل سكان منطقة جيجل تقريبا بأن جدهم الأول جاء من الساقية الحمراء جنوب المغرب له ما يبرره تاريخيا وهو: الاضطرابات التي عرفتها المنطقة الممتدة بين الولايتين الحفصيتين بجاية وقسنطينة خلال تلك المرحلة بين أفراد الأسرة الحفصية التي تعود أصول أمرائها وأغلب قادة جيوشها إلى جنوب المغرب، أضف إلى ذلك ما تناقلته الكتب التاريخية من الأعمال الدعوية التي قام بها عبد المومن بن علي المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية أثناء وجوده ببجاية وهي غرس العلماء والمثقفين في أوساط القبائل الأمازيغية لنشر أفكار الدولة الموحدية الدينية والسياسية.
(23) دولة الموحدين تعد الدولة الأولى التي ظهرت في القرون الوسطى والتي وحدت المغرب العربي تحت حكم أبنائه.

وقد بدأت بذورها عندما انتصر ثوار مؤسسها المهدي بن تومرت على جيش دولة المرابطين جنوب المغرب سنة **515** هـ (**1121**م).
لكن التأسيس الحقيقي تم على يد خليفة ابن تومرت عبد المؤمن بن علي عندما نجح في القضاء على دولة المرابطين بعدما فتح جيشه الثائر عاصمتهم مراكش.
وبقيت الدولة الموحدية في الحكم قرنا ونصف تقريبا، إذ سقطت سنة **652** هـ (**1269**م) على يد المرينيين .

(**24**) ولد عبد المؤمن بن علي بناحية ندرومة حوالي سنة **495** هـ بالغرب الجزائري، وبعدما حفظ القرآن رحل إلى بجاية لطلب العلم. وبعد تخرجه اشتغل بالتعليم في قرية ملاله قرب بجاية. وأثناء عودة ابن تومرت رافقه إلى جنوب المغرب ليضع بذور الدولة الموحدية، وبعد وفاة ابن تومرت سنة **524** هـ اتفق شيوخ الموحدين على مبايعة عبد المؤمن، ولذلك يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين حيث فتح عاصمتهم مراكش سنة **541** هـ (**1147**م).

(**25**) العهد الحفصي: بعد سقوط دولة الموحدين قامت على أنقاضها ثلاث دول: الحفصية بتونس والجزائر، والزيانية بتلمسان شاملة القسم الأوسط والغرب الجزائري، والمرينية بفاس شاملة المغرب الأقصى كله.

(**26**) المستنصر بالله الحفصي حكم الدولة الحفصية ما بين سنتي **1249**- **1277**م.

(**27**) كتاب العبر مجلد **6** ص **676**.

(**28**) الظروف التي عقدت فيها المعاهدة الثانية هي: احتلال مدينة قرطاجنة التونسية من طرف لويس التاسع ملك فرنسا سنة **669** هـ (**1270**م)، ولكن الوباء الذي حل بالجيش المحتل مباشرة غير سير الأحداث لأنه مات بسببه لويس التاسع وابنه الأصغر، والبعض من أفراد جيشه وقادتهم. ولولا ذلك لكانت النتيجة القضاء على الدولة الحفصية، ورغم تلك الكارثة التي أضرت بالطرفين الفرنسي والتونسي، إلا أن خليفة لويس التاسع على قيادة الجيش المحتل شارل دانجو وهو شقيق لويس التاسع في نفس الوقت وملك صقلية الذي خلف فريدريك الثاني بعد وفاته سنة **1265**م، لم ينسحب رغم كارثة الوباء إلا بعد ما عقدت المعاهدة الثانية المهينة في السنة نفسها.

(**29**) تعتبر الحياة الخاصة لابن خلدون التي عاشها خلال القرن الرابع عشر صورة حية للصراعات والحروب التي كانت سائدة بين الدول الثلاث: الحفصية بتونس، والزيانية بتلمسان، والمرينية بفاس وانعكاسها على الولايتين الحفصيتين بجاية وقسنطينة. ونظرا لثقافة ابن خلدون الواسعة وطموحاته السياسية فقد طلبه الجميع وتقلد عدة مناصب إدارية وسياسية في الدول الثلاث المشار إليها، كما كان يشارك في بعض المعارك العسكرية التي كثيرا ما كانت تدور بين تلك الأطراف.

(30) مشيخة الموحدين: ورثة العائلات التي أسست دولة الموحدين وبقيت تتوارث المناصب العليا في الإدارة والجيش.

(31) على سبيل المثال خرافة المرابط موسى الذي يوجد مقامه ببني احمد قرب مدينة جيجل وهذا نصها: " المرابط موسى هو الجد الأول لبني احمد، جاء من بلاد العرب. وعمل في قصر ملك المغرب ثم ترك القصر واتجه شرقا ونزل عند قبيلة بني يدر. ونظرا لتقواه وشجاعته ونزاهته أصبح بمثابة الحاكم، فكل النزاعات الشائكة تعود اليه، وكانت أحكامه لا تستأنف. ويعد الضيف الشرفي في جميع المناسبات مثل الأفراح وغيرها. وهو أول من يذوق أطباق الطعام، لكن جاء يوم لم يكن له الشرف بالبدء وقدم غيره عليه فغضب وترك بني يدر، واتجه غربا ، وعند وصوله إلى المكان الذي بني فيه حاليا مسجد المرابط موسى توقف الحصان الذي كان راكبا عليه وأبى التقدم الى الامام فنزل من على ظهره وهجس له هاجس بأنه في هذا المكان سوف يكون له ابن وبنت ويسميان فرج وفريجة وأن الله حافظك، وستكون سيدا في هذه البلدة. وكانت شاغرة من السكان منذ ممات المالك الأول لها الذي يدعى احمد، ولم يترك أي ولد او بنت. ولتخليد ذكراه سميت باسمه.

(32) ليون الإفريقي هو حسن الوزان المغربي الأصل اعتنق الديانة المسيحية، وكان أستاذا للغة العربية بالجامعة الإيطالية، ألف كتاب "وصف إفريقيا" بعد زيارة سواحل الشمال الأفريقي وتوفي سنة 1530م.

(33) لقد بحثت عن الكتاب في المكتبة الوطنية بالحامة وفي مكتبة معهد التاريخ ببوزريعة فقيل لي بأن النسخ التي كانت عندنا لهذا الكتاب قد ضاعت.

الفصل الثالث

منطقة جيجل خلال العهد العثماني

(1830 - 1514)

أ – العوامل الداخلية والخارجية لدخول العثمانيين

تختلف المراجع القديمة والحديثة حول تاريخ دخول العثمانيين إلى مدينة جيجل. فبعضها يحدده بسنة 1513م وبعضها بسنة 1514م والبعض الآخر بسنة 1515م. وسبب الاختلاف يعود في تقديرنا إلى الخلط بين المحاولات الفاشلة لتحرير بجاية، لان الأولى وقعت سنة 1513 وجرح فيها عروج جروحا بليغة، ومن ثم يستحيل الهجوم على جيجل في السنة نفسها، ولهذا فالأرجح أن الهجوم وقع سنة 1514 أو 1515م. على أن تحديد التاريخ بالضبط ليس بالإشكالية، وإنما الإشكالية التي يلاقيها الباحث في التاريخ الجهوي عموما هي قلة المصادر وعلى الأخص المصادر العربية، لأنها لا تهتم بالأحداث الجزئية التي تجري في المناطق التي لا يستقر بها سلطان أو أمير أو حاكم. مثل منطقة جيجل. لهذا ما يزال تاريخ المنطقة في تلك العهود بما فيها العهد العثماني لم يكتب بعد. وليس بالمقدور اعطاء صورة واضحة ومفصلة لتاريخ المنطقة في تلك العهود باستثناء العهد الفرنسي (1830 – 1962)، أما قبل ذلك فالمعلومات المفصلة شحيحة، بما في ذلك العهد العثماني الذي يبدأ من التاريخ المحدد أعلاه. لقد تكلمت المصادر التاريخية كثيرا عن المنطقة عندما حل بها موسسا العهد العثماني عروج وخير الدين. لكنها سكتت عندما رحلا عنها. ولهذا أشرنا في المقدمة بأن تاريخ منطقة جيجل لم يكتب بعد في مختلف العهود والفترات باستثناء العهد الفرنسي وبداية العهد العثماني.

وللكتابة عن تاريخ هذا العهد، من الضروري البدء بالعوامل التي ساعدت على قيامه.

هناك عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت الأخوين بابا عروج وخير الدين على الاستيلاء على مدينة جيجل سنة 1514م، والجزائر العاصمة سنة 1516م. ثم القطر الجزائري بكامله. وقد دام هذا العهد أكثر من ثلاثة قرون.

فالعوامل الداخلية الخاصة بالنصف الشرقي للقطر الجزائري الممتد من دلس إلى الحدود التونسية الحالية سبق لنا تحليلها بالتفصيل. وهي ضعف وانحلال الدولة الحفصية التي كانت تحكم ذلك النصف من الجزائر قبل العهد العثماني.

أما العوامل المتعلقة بالنصف الغربي من دلس إلى الحدود المغربية الحالية والذي كانت تحكمه الدولة الزيانية من تلمسان. فقد وصفها يحي المازوني (1) الذي عايشها بنص، نادرا ما نجد مثله في التراث العربي الاسلامي. لأنه يصف بدقة الحياة اليومية للأغلبية الساحقة من سكان مازونة وما جاورها من المناطق الغربية في كتابه "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، حيث يقول فيه "عمت اللصوصية والظلم والمجاعات

والأوبئة أرغمت الناس على مغادرة منازلهم وأوطانهم من الحروب والغارات لم تسمح للفلاحين بزراعة الأرض وتوفير الإنتاج وانعدام الأمن وتراخي قبضة السلطان:..." (2).

تلك هي العوامل الداخلية بإيجاز في شرق الجزائر وغربها. أما العوامل الخارجية فأولها سقوط الأندلس سنة 1492م وبداية النهضة الأوربية الحديثة في كافة جوانب الحياة العلمية والصناعية والسياسية والإدارية والعسكرية بالإضافة إلى الاكتشافات الجغرافية وما نتج عنها من ثروات خاصة وعامة، وما تبع ذلك من انتقام الدول المسيحية وعلى الأخص الأسبان من المسلمين الذين كانوا سادة على جنوب بلادهم أكثر من ستة قرون. وخوفا من عودتهم مرة أخرى قرروا احتلال المدن الساحلية الإسلامية الواقعة في المنطقة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط بالنسبة إليهم. ففي ظرف خمس سنوات (من سنة 1505إلى سنة 1510) بالنسبة للجزائر فقط احتلوا المرسى الكبير، وهران، وآرزيو، ومستغانم وشرشال، والجزائر، وبجاية، وعنابة، وأصبحوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لبقايا تلك الدول والإمارات. والكتب التاريخية مملوءة بأخبار اتصالات أمرائها بالأسبان لمساعدة طرف على الآخر في جميع المستويات، فمثلا أمير تنس الزياني يتآمر مع الأسبان على أخيه أو ابن عمه أمير مستغانم والعكس صحيح، كما أن أمير بجاية الحفصي يتآمر على الأمير الحفصي بقسنطينة والعكس وقع فعلا. هذا على مستوى الولايات، ونفس الشيء وقع على مستوى العواصم، فالسلطان الحفصي بتونس تآمر مع الأسبان على السلطان الزياني بتلمسان والعكس حدث أيضا.

أما سكان المدن الساحلية المنكوبة بالاحتلال الأسباني فأغلبهم هاجروا واستقروا بالمرتفعات القريبة منها. فبالنسبة لمدينة بجاية، روى المؤرخون، على سبيل المثال، بعض الفظائع التي ارتكبها الأسبان بعد احتلالهم لها سنة 1510م، منها مصرع حوالي 4100 من سكانها البالغ عددهم حوالي 20000 نسمة، أي أنهم قتلوا حوالي ربع السكان، كما استحوذوا على تحفها ونفائسها وجميع ثرواتها، ونقلوها كغنائم حرب الى أسبانيا على متن ثلاثين سفينة، كما خربوا معالم المدينة كقصر الجوهرة والجامع الكبير.

هذه العوامل القاسية الداخلية والخارجية، وهذه الظروف المؤلمة التي عاناها سكان المدن الساحلية من ظلم وخذلان وخيانة الحكام من جهة،والفظائع التي اقترفها الأسبان تجاههم من جهة أخرى جعلتهم يستنجدون بالأخوين بربروس عروج وخير الدين.

1) المحاولة الأولى لتحرير بجاية

طلب أحد أعيان منطقة بجاية يدعى عبد الرحمن سنة 1513م من عروج، الذي اشتهر بالبطولة في حوض البحر الأبيض المتوسط كله، مساعدة أهل بجاية لتحريرها من الأسبان، فلبى عروج طلبه وخرج من تونس بأربعة سفن على ظهرها حوالي مائة مقاتل، ووجد عبد الرحمن في انتظاره بشرق المدينة ومعه حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، فباشروا الهجوم وحاصروا المدينة حوالي ثمانية أيام، وفي اليوم التاسع احتلوا الميناء وكادت القلعة تسقط في أيديهم، ولكن قذيفة سقطت على ذراع عروج الأيسر فجرحته جرحا بليغا، فأسرع رفاقه ونقلوه إلى السفينة وأوقفوا المعركة وانسحبوا إلى تونس. ورغم المداواة والعناية الطبية التي تلقاها عروج بعد رجوعه إلى تونس، فإن جرحه البليغ لم يشف، فاضطر الأطباء إلى قطعها، ولهذا بقي مجمدا في تونس حوالي سنتين في بعض المراجع، وحوالي سنة واحدة في المراجع الأخرى، ولكن أخاه خير الدين واصل النشاط البحري بنجاح، وعلى الأخص في عمليات إنقاذ الأندلسيين الهاربين من محاكم التفتيش الأسبانية. لقد كان النجاح الذي حققه خير الدين وشفاء عروج من جرحه حافزا للأخوين لكي يعيدا الكرة لتحرير بجاية، ولكن المحاولة أجلت، لأن الأمير الحفصي (3) الذي سمح لهما في الأول بالنشاط البحري من ميناء حلق الوادي وجزيرة جربة بتونس خشي من شهرتهما وسمعتهما الطيبة في الأوساط الشعبية بأن ينقلبا عليه بعد طرد الأسبان من المدن الساحلية، فبدأ يضايقهما، ولهذا فكرا في الابتعاد عنه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فكرا في إيجاد نقطة إسناد قريبة من مدينة بجاية التي صمما على طرد الأسبان منها، فوجدا ضالتهما المنشودة في مدينة جيجل الجارة الشرقية لمدينة بجاية.

2) مدينة جيجل النواة الأولى للعهد العثماني

لقد وجد الأخوان عروج وخير الدين العثمانيان ضالتهما المنشودة في مدينة جيجل، فهي محتلة من طرف دولة مسيحية وقريبة من بجاية وصالحة لأن تكون نقطة إسناد عندما يحاولان الهجوم على بجاية للمرة الثانية، ولذلك خططا لنزعها من الجنويين المسيحيين، وقاما باتصالات سرية مكثفة مع رجال مدينة جيجل والقبائل المحيطة بها، وبعد الاستعدادات المحكمة باشر الأخوان الهجوم من كل الجهات، وبعد مقاومة بسيطة استسلم جنود الحامية الجنوية التي قدرتهم المراجع بحوالي مائة جندي، وتم احتلال المدينة التي تعد أول مدينة جزائرية حررها العثمانيون بقيادة الأخوين عروج وخير الدين حيث جعلا منها النواة الأولى للدولة الجزائرية الحالية جغرافيا وسياسيا، لأنهما جمعا بين القسم الشرقي الذي كان تابعا للدولة الحفصية

بتونس والقسم الغربي الذي كان تابعا للدولة الزيانية بتلمسان، كما تعد النواة الأولى للعهد العثماني الذي حكم القطر الجزائري أكثر من ثلاثة قرون.

وفي الوقت الذي تم فيه طرد الجنويين من مدينة جيجل ارتفعت استغاثات الاندلسيين الهاربين من محاكم التفتيش الأسبانية يطلبون الإنقاذ، فبعث عروج أخاه خير الدين على رأس قوة بحرية لينقذ ما يمكن إنقاذه من الرجال والنساء والأطفال من داخل البحر وخارجه.

أما هو فبقي بالمدينة وجمع سكانها وسكان القبائل المحيطة بها وطلب منهم العون والمساندة مستقبلا، فعاهدوه عليها وعلى القتال إلى جانبه، وبايعوه أميرا عليهم. ففرح بهذا التشريف واستقر بينهم، وبدأ يكون منهم نواة الجيش البري المنظم، وأخذ يدربهم على استخدام الأسلحة الحديثة النارية والرمي بها ليحرر بذلك الجيش بقية المدن الساحلية المحتلة من طرف الأسبان. وفي تلك الأثناء رجع أخوه خير الدين من المهمة التي كلفه بها، فأنزل من سفنه الأندلسيين الذين أنقذهم من جحيم الأسبان، وأجرى لهم جرايات شهرية، كما أعطى الفلاحين أراضي البور لاستصلاحها واستغلالها. وبعد ذلك استقر الأخوان بمدينة جيجل طيلة سنة 1514م يستعدان للجولة الثانية للهجوم على بجاية من نقطة قريبة منها، وبعدما اتما استعدادهما بريا وبحريا، انطلقا نحو بجاية.

3) الهجوم على بجاية للمرة الثانية

في ربيع سنة 1515م خرج عروج من مدينة جيجل متجها نحو بجاية للهجوم عليها ثانية، يقود جيشا بريا قدرته المراجع بحوالي عشرين ألف مقاتل، كما أمر أسطوله البحري بالتوجه إليها، والتقى الجيشان البري والبحري شرق المدينة في مصب وادي الصومام، حيث مازالت مياهه صالحة للملاحة، فاقتحمته سفن الأسطول ليتم إحكام حصار المدينة من كل الجهات، وشرع في الهجوم العام الذي استمرت معاركه أربعة وعشرين يوما.

ولطول الحصار وشراسة المعارك نفد البارود لجيش عروج، وكان من قبل قد طلب من سلطان تونس تزويده بالبارود الكافي للحصار الطويل، لكن هذا الأخير تماطل في إرساله، ولذلك أوقف عروج الحصار وفشل تحرير بجاية للمرة الثانية. وكانت نتائج تلك المعارك مؤلمة بالنسبة للطرفين، حيث فقد الأسبان حوالي ألفين بين قتيل وجريح وأسير، كما فقد عروج حوالي ربع قواته البرية والبحرية، كما اضطر إلى حرق سفن الأسطول التي دخل بها إلى وادي الصومام بعد

جفاف مياهه، لأن الفصل هو أواخر الربيع. وعاد مع من بقي من جيشه عن طريق البر إلى مدينة جيجل.

4) امتداد نواة العهد العثماني إلى مدينة الجزائر

بعد فشل عروج في تحرير بجاية للمرة الثانية استقر بمدينة جيجل ينتظر ويستعد للجولة الثالثة. ورغم الفشل والإحباط الذي لقيه في الجولة الثانية. إلا ان شهرته وبطولته انتشرت بصفة عجيبة، ولذلك كثرت الوفود المرسلة إلى مدينة جيجل من جميع أنحاء القطر الجزائري تطلبه لتحريرها من الأسبان ومن الأمراء المحليين المتخاذلين في محاربتهم.

ومن الوفود التي جاءت إلى مدينة جيجل سنة 1516م وفد مدينة الجزائر الذي يضم أعيانها وعلماءها المتذمرين من شيخ مدينتهم سالم التومي (4)، وقد دعمهم أحمد بن القاضي أمير جبل كوكو (5) برسالة يعد فيها عروج بتقديم الدعم المادي والمعنوي لطرد الأسبان من حصن الصخرة (قلعة البنيون) الذي يتحكم في مدخل ومخرج المدينة الذي احتلوه سنة 1510م.

ومن حسن حظهم أنه في الوقت الذي طلبوا فيه النجدة من عروج وصلته إعانات وإمدادات عسكرية ضخمة من السلطان سليم العثماني (6) تتمثل في أربعة عشر سفينة حربية محملة بالمقاتلين وأسلحة وذخائر وتجهيزات حربية متنوعة، ولذلك درس الطلب مع الوفد وقبله. وفي الحين جهز جيشا بريا من القبائل المحيطة بمدينة جيجل ومن الأتراك الذين بعثهم السلطان سليم. وفي الطريق انضم إليهم حوالي 5000 متطوع، كما أمر أخاه خير الدين التوجه بحرا بحوالي ثماني عشرة سفينة محملة بحوالي ألفين وخمس مائة مقاتل. ووصلت القوات البحرية والبرية إلى مدينة الجزائر فاستقبلها سكان المدينة استقبالا حارا، وقرروا إسناد الجهاد إلى عروج، فبعث أولا رسالة إلى قائد الحامية الأسبانية يطلب منه الانسحاب من حصن الصخرة وتسليمه له، فرد عليه قائد الحامية بالنفي، فبدأ عروج يقصفه بالمدافع قصفا مستمرا، لكن تلك المدافع كانت ضعيفة لم تؤثر على جدار الحصن، لأنها كانت لا تصله. لهذا أوقف عروج القصف، فغضب السكان لهذا الفشل، وبدأوا يشكون في مقدرة عروج على طرد الأسبان، فاغتنم شيخ المدينة السابق سالم التومي هذا الغضب وبدأ يتآمر مع الأسبان، فقتله عروج، وبدأ ينشر سلطته على المناطق المحيطة بمدينة الجزائر ورفع الأعلام على قلاع المدينة كلها، كما سك النقود الخاصة وكتب عليها ضرب بالجزائر.

وبعدها اتجه نحو الغرب الجزائري لإخضاعه، ولكنه مات أثناء إحدى المعارك قرب تلمسان. كما قتل أخوه إسحاق في ضواحي حوض الشلف وبقي من الإخوة الثلاثة خير الدين الذي رجع إلى مدينة الجزائر مهموما مغموما لفقدان أخويه، ولينقذ ما يمكن إنقاذه. وفي سنة 1520 ساءت العلاقة بينه وبين حليفهم السابق أحمد بن القاضي أمير جبل كوكو فانقلب عليه هذا الأخير وحاصر مدينة الجزائر فاضطر خير الدين إلى الانسحاب منها والتوجه إلى مدينة جيجل.

5) مدينة جيجل عاصمة للقطر الجزائري (1520 – 1525)

بانتقال خير الدين من مدينة الجزائر إلى مدينة جيجل انتقلت معه النواة الأولى للدولة الجزائرية. وأصبحت جيجل عاصمتها بين سنوات 1520 و 1525، فمنها بدأ خيرالدين يستعد ويخطط للجولات القادمة مع الأسبان ومع الأمراء المحليين المتعاونين معهم. ففي سنة 1521 اتجه نحو الشرق فاحتل القل ثم الإمارتين الحفصيتين: عنابة وقسنطينة، وبذلك تكونت الحدود الشرقية الجزائرية المعروفة إلى اليوم.

وفي سنة 1525م عاد إلى مدينة الجزائر وانتصر على القوة التي انقلبت عليه وقتل ابن القاضي.

وفي سنة 1529م انتصر على الأسبان وطردهم نهائيا من حصن الصخرة (قلعة البنبون)، كما طردهم خلفاؤه من بجاية سنة 1555. وبعد سنة، أي سنة 1556 قضوا على بقايا دولة بني عبد الواد بتلمسان، وبذلك تكونت الحدود الغربية الجزائرية المعروفة إلى اليوم.

وهكذا فمن مدينة جيجل أسس العثمانيون عهدهم الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون (1514 – 1830)، وفي الوقت نفسه كونوا الدولة الجزائرية الحالية جغرافيا وسياسيا.

ب – منطقة جيجل بعد رحيل خير الدين

لقد قامت المنطقة بالدور الرئيسي في تأسيس العهد العثماني، كما أسلفنا القول، كما استقبلت الكثير من العائلات الأندلسية (7) ومنها بلا شك العائلات المثقفة والمؤهلة صناعيا وعمرانيا، فرغم هذا الدور وهذا الاحتكاك الواسع بالأتراك والأندلسيين والجنويين قبلهما الذي كان من المفروض أن ينعكس بالإيجاب سياسيا وثقافيا وعمرانيا على مدينة جيجل بصفة خاصة وعلى منطقتها بصفة عامة، إلا أنه مع الأسف حدث العكس. فعلى سبيل المثال لم نعثر في المراجع التاريخية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر(1525 – 1700) على أي اسم لمع في حكم

مدينة جيجل أو إقليمها الجغرافي في جميع الميادين (لا في القضاء ولا في الإفتاء) طيلة تلك المرحلة. ولا تفسير عندنا لهذا الوضع السلبي بالنسبة للمنطقة ورجالها سوى أنها أصبحت لا شأن لها، لأن قواتها الحية رحلت إلى مدينة الجزائر لتحتل الصف الثالث والرابع في الإدارة والجيش والبحرية، لأن الصف الأول والثاني خاص بالأتراك والكراغلة، ولم يبق بالمنطقة إلا الذين لا شأن لهم. ومما يدعم هذا التفسير المكانة الخاصة لرجال المنطقة في نظر الأخوين عروج وخير الدين عندما كانا بها. فعلى سبيل المثال تذكر النصوص التاريخية إعفاءهم من الضرائب ما عدا العشور على الحبوب الواجبة شرعيا. كما عفا عروج على حاكم مدينة جيجل الذي تآمر ضده مع الأسبان سنة 1517م، وهذا العفو من المستحيل وقوعه في منطقة أخرى. كما فرح برياس البحر الجيجليين عندما استعملوا السفن الثلاث التي تركها في ميناء جيجل سنة 1615م في القرصنة أثناء غيابه، فلم يؤنبهم أو يلومهم على ما فعلوه. بل شكرهم على شجاعتهم. هذه المكانة الممتازة لرجال منطقة جيجل أثناء استقرار الأخوين زالت وأصبحت المنطقة لا شأن لها بعد رحيل رجالها الأقوياء وأعيانها المؤثرين إلى مدينة الجزائر على دفعتين: الأولى مع عروج سنة 1516م. والثانية مع خير الدين سنة 1625. وبعد هذا التاريخ عرفت المنطقة بصفة عامة والمدينة بصفة خاصة تدهورا في كافة الميادين. فلا صناعة اختصت بها المدينة. وحتى دار صناعة السفن التي أنشأها خير الدين عندما كان بجيجل أهملت بعد رحيله. ولا عمران اتسع بها، بدليل النقص المطرد لسكانها، فقد سجل الدكتور ناصر الدين سعيدوني في المجسم الذي ذكرناه سابقا ذلك التدهور الخطير وعلى الأخص في السنوات الأولى من مرحلة 1525 إلى 1770م. ففي سنة 1520م كان يسكن مدينة جيجل حوالي 600 عائلة، أي ما يعادل حوالي 3000 نسمة، وفي سنة 1587، أي بعد حوالي ستين سنة انخفض العدد إلى حوالي 700 نسمة فقط، وفي سنة 1610، أي بعد حوالي ثلاثين سنة ارتفع قليلا إلى حوالي 1000 نسمة. وبعد قرن، أي سنة 1719 انخفض إلى حوالي 300 نسمة فقط. وهذا التدهور المسجل لسكان المدينة يدعم التفسير الذي ذهبت إليه، وهو رحيل القوة الحية للمنطقة. ونتيجة لرحيل تلك القوة لم نعثر في المصادر التي أتيح لنا الاطلاع عليها على أي حدث تاريخي كبير وقع بالمنطقة أو المدينة طيلة القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ولكن في النصف الثاني من القرن السابع عشر وقع بالمدينة حدث كبير وهو تعرضها للانتقام من طرف الأسطول الفرنسي، إذ احتلها يوم 21 جويلية سنة 1664 بعدما تعرضت سفنهم للقرصنة من طرف الأسطول الجزائري.

1) الأحداث التي سبقت الاحتلال الفرنسي لجيجل 1664

لقد كانت مدينة جيجل وغيرها من المدن الساحلية عرضة لانتقام الدول المسيحية الاوربية طيلة القرون الوسطى وبداية العصر الحديث. وقبل التعرض لهذا الانتقام، لا بد من الاشارة الى اهم الأحداث الداخلية والخارجية التي أدت الى هذا الاحتلال.

فعلى الصعيد الداخلي جرت بمدينة الجزائر ما بين سنوات 1659 و 1662 اضطرابات خطيرة في قمة السلطة، إذ عقد في تلك الأثناء ضباط الجيش الانكشاري اجتماعا عاما بحثوا فيه ضعف نظام البشوات المعينين كولاة لإدارة الشؤون الجزائرية من طرف السلطان العثماني باسطمبول، وقرروا القاء القبض على الوالي علي باشا وأتباعه، ووضعوهم في سفينة وأرسلوهم إلى تركيا. وعندما وصلوا إلى هناك اخبروا الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بما وقع لهم في الجزائر، فغضب لذلك، وفي الوقت نفسه أصدر فرمانا (أمرا) إلى ضباط الجيش الانكشاري بالجزائر يعلمهم فيه بأنه بعد اليوم لن يرسل إليهم واليا وأن السلطان ليس بحاجة إليهم، كما ارسل أمرا آخر إلى جميع الممالك العثمانية بمصر والشام والحجاز يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج وعدم بيع السلاح لهم، وعدم السماح لهم بالاقتراب من السواحل العثمانية. ونتيجة لهذا الموقف الصارم ندم ضباط الجيش الانكشاري بالجزائر، وبعثوا وفدا لطلب العفو، لكن الصدر الأعظم رفض استقباله، ولذلك بقي في اسطمبول مدة عام كامل. ومن حسن حظ ذلك الوفد أن الصدر الأعظم "كوبرلو محمد" قد توفي سنة 1660م وخلفه ابنه فاضل أحمد، فاستقبل الوفد وعين لهم واليا جديدا يدعى القابجي بوشناق إسماعيل، فرجعوا به إلى مدينة الجزائر ونصبوه على رأس الإيالة ومنحوه بعض السلطات، لكن السلطة الفعلية بقيت بيد الآغا الذي ينتخب من طرف ضباط الجيش لمدة شهرين فقط لكي لا ينفرد بحكم البلاد ويستبد بالأمر، وبذلك أصبحت القيادة في مدينة الجزائر بيد رجلين: وال معين من اسطمبول انحصرت صلاحياته في التشريفات واستقبال قناصل الدول الأجنبية، وآغا في يده السلطة الفعلية.

ونتيجة لذلك عرفت تلك الفترة اضطرابات خطيرة. ففي ظرف سنتين (1660–1662) قتل أو سجن أربع أغوات بسبب استحالة حكمهم لمدة شهرين (8)، بالإضافة إلى مؤامرات الولي بوشناق إسماعيل (9). ونتيجة لذلك اضطر ضباط الجيش الانكشاري إلى تمديد فترة حكم الآغا شعبان إلى ثلاث سنوات (1662 –1665) ليتمكنوا من الصمود أمام اتحاد الدول المسيحية الأوربية ضد الأسطول الجزائري.

هذه هي أهم الأحداث الداخلية التي سبقت احتلال مدينة جيجل. اما الاحداث الخارجية فهي اجتماع الدول المسيحية الأوربية الاربع وهي: فرنسا وأنغلترا وهولندا والدويلات الإيطالية بعدما تعرضت سفنهم للقرصنة في البحر الأبيض المتوسط. ففي خريف سنة 1661 استولى الأسطول الجزائري المؤلف من حوالي ثلاثين سفينة على اثنتي عشرة سفينة أنغليزية وتسع سفن هولندية واثنتي عشرة سفينة فرنسية وإيطالية. ونتيجة للخسائر الفادحة التي تعرضت لها سفن الدول الأربع، قرروا في الاجتماع الذي أشرنا إليه سابقا القضاء كلية على الأسطول الجزائري وتدمير واحتلال المدن الساحلية، فكلف الأسطول الفرنسي بالناحية الشرقية. وفي الحين شرعوا في التنفيذ، وبدأوا بتقسيم أسطولهم إلى جزأين، إذ قام الجزء الأول بقيادة الكومندور بول بقصف مينائي القالة وعنابة.

أما الجزء الثاني فبقيادة الدوق بوفورت، فقصف ميناء أستورة (قرب سكيكدة). ثم احتلها وفرض على السكان إمداده بالتموين، ثم تابع طريقه نحو الغرب وخرب ميناء دلس، ثم اتجه نحو مدينة الجزائر للالتحاق بالأسطولين الهولندي والإنغليزي لإغراق جميع السفن الراسية في مينائها.

أما الأسطول الإنغليزي الذي يقوده باندو فيس فقد قام بتخريب ميناء بجاية وأسر أربع سفن جزائرية في عرض البحر. واتجه بعدها إلى الجزائر للالتحاق بالآخرين حسب الاتفاق المبرم بينهم والذي أشرنا إليه سابقا.

أما قائد الأسطول الهولندي زويتر المكلف بالتمهيد لمحاصرة مدينة الجزائر. فقد خان الطرفين الفرنسي والإنغليزي وفضل المهادنة وعقد مع رياس البحر الجزائريين، لأن الإنغليز تأكدوا من استحالة القضاء على الأسطول الجزائري، ولذلك فتحوا مع الرياس مفاوضات وتوصلوا إلى عقد معاهدات صلح.

وعندما علم الفرنسيون بخيانة الهولنديين والإنغليز فضلوا العمل وحدهم. واجتمع المجلس الملكي برئاسة الملك لويس الرابع عشر وقرر احتلال مدينة جيجل كقاعدة أولية لاحتلال بقية المدن الساحلية.

2) الفرنسيون يحتلون جيجل سنة 1664

في ربيع سنة 1664 كلف المجلس الملكي الدوق دوفورت (dukde bofor) بإعداد الأسطول لاحتلال مدينة جيجل لتكون قاعدة أساسية لاحتلال بقية المدن الساحلية الجزائرية، ثم القضاء التام على الأسطول الجزائري، كما عين المجلس الكونت دي كادان (k.de godogane) قائدا للإنزال. وفي الحين شرع القائدان في الاستعداد لتنفيذ مهمتهما، فجهزا أسطولا يتألف من تسع وعشرين

ناقلة للمون والأجهزة الخاصة بالإنزال والذخائر، وستة عشرة سفينة كبيرة لنقل الجنود واثنتي عشرة سفينة حربية. وكان عدد الجنود والضباط أكثر من عشرة آلاف. وبعد انتهاء الشحن خرج الأسطول من ميناء طولون في نهاية شهر جوان 1664، وفي 21 جويلية وصل إلى بجاية فاحتلها بدون مقاومة بسبب ضعف حاميتها وترك بها حوالي ألفي جندي. وفي اليوم الموالي احتل الأسطول مدينة جيجل وبوشر فعلا بإنزال الجنود إلى البر. وبعد مقاومة عنيفة تمكن الفرنسيون من احتلال المدينة والهضاب القريبة منها الغربية والجنوبية والشرقية، وبعد يومين بدأ السكان المحليون المقاومة، واستمرت تلك المقاومة يوميا، مما اضطر القيادة الفرنسية إلى سحب جنودها الذين تركتهم في مدينة بجاية خشية إبادتهم من طرف المقاومة المحلية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى وضع في الاعتبار التركيز على مدينة جيجل للبقاء الأبدي فيها حسب التعليمات التي أعطيت لقائد الأسطول الدوق دوفورت. ورغم ذلك لم يستطع هذا القائد السيطرة على أوضاع المدينة وهضابها بسبب شدة المقاومة المحلية والمقاطعة التامة للقوات الغازية، فقد منعوا من التموين، لذلك كثر الخلاف بين قادة الاحتلال في كيفية التصرف، وعلى الأخص بين قائد الأسطول دوفورت وقائد الإنزال الكونت دوكادان، فكان معظم أوقاتهم حسب شارل فيرو(10) تضيع في المناقشات والمنازعات التافهة، لأن القصر الملكي لم يحدد بوضوح صلاحيات ووظيفة قادة الأسطول، لذلك أصبح كل منهم يعتبر نفسه هو الآمر الناهي، فقائد الإنزال كادان يرى بأن حامية بجاية كان من الواجب بقاؤها هناك لتبقى كسند خلفي لمدينة جيجل، والدوق دوفورت يرى عكس ذلك، أما المارشال دوكانال (dokanal) فكان يتصرف وكأنه القائد الوحيد للحملة.

وقد تسببت هذه الخلافات في زيادة الفوضى داخل المدينة المحتلة، وانشغل الجميع عن إقامة التحصينات والاستحكامات، وكان القصر الملكي في فرنسا لا يعرف شيئا عن تلك الأوضاع السيئة التي تسود الجيش المحتل، ولذلك أرسل زوجات القادة وبعض الجنود للتخفيف عنهم. هذا فيما يخص الجانب الفرنسي، أما فيما يخص الجانب الجزائري فقد استمرت المقاومة المحلية بدون هوادة، لكنها فشلت في إخراج الفرنسيين من المدينة، لأنها كانت عفوية وغير منظمة.

وبعد استقرار الأوضاع الداخلية في مدينة الجزائر، التي أشرنا إليها سابقا، تم الشروع في الإعداد لتدعيم المقاومة المحلية بالجيش الرسمي.

3) تحرير مدينة جيجل

لقد قام بتدعيم المقاومة المحلية الآغا شعبان . إذ جهز جيشا بريا بعث به إلى مدينة جيجل في 15 سبتمبر1664، وفي الطريق انضم إليه الكثير من سكان زواوة ومن القبائل الصغرى مثل بني عباس وبني ورتلان وبني يعلى وبني العباس. وقد وصلوا إلى جيجل في 29 من نفس الشهر. فانضم إليهم جميع سكان المناطق المحيطة بجيجل وغيرهم من سكان الشريط الساحلي الشرقي الممتد من مدينة جيجل إلى مدينة القل.

وفي أول يوم من شهر اكتوبر 1664م شرعوا في حصار المدينة والهضاب القريبة منها من جميع الجهات، واستمرت المناوشات أربعة أيام. وفي اليوم الخامس شن الجيش الرسمي والمقاومون هجوما كاسحا فتهدمت المتاريس الفرنسية والمواقع الأمامية التي كانت مقامة على الهضاب المحيطة بالمدينة، وأصبح الجيش الفرنسي داخل المدينة عرضة لنيران الجزائريين. ويقول المورخون الاتراك (11) بأن القائد الفرنسي كليرفال طلب هدنة مقابل انسحاب قواته، لكن الطرف الجزائري رفض طلبه. أما شارل فيرو (12) فيقول عكس ذلك وينسب البطولة إلى الجيش الفرنسي الذي استمر في القتال رغم الصعوبات التي تعرض لها أثناء المعركة التي دامت خمس ساعات، وتكبد الطرفان خسائر فادحة، إذ قدر الفرنسيون قتلى الطرف الجزائري بسبعمائة قتيل وأكثر من ألف جريح، وخسائرهم بأربعمائة قتيل وجريح. وانتهت المعركة بدون حسم. وعندما علمت القيادة الفرنسية بباريس بشراسة المقاومة الجزائرية بعثت بنجدات هامة بقيادة ماركي دومتران، وأعطيت له تعليمات بالقضاء على المقاومة الجزائرية والاستمرار في البقاء بمدينة جيجل. وفعلا وصلت تلك القوات يوم 22 أكتوبر من نفس السنة، وحاولت إعادة التحصينات التي هدمت، لكن الطرف الجزائري لم يسمح لهم بذلك، وشن هجوما كاسحا يوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه، وبعد معارك طاحنة دامت يومين انهارت القوات الفرنسية، ولم تستطع الرد على المهاجمين، فبدأوا في الفرار وهم يصرخون بأصوات واضحة ومفهومة، اتركونا وسندخل في الإسلام (13) تاركين مدافعهم وأدواتهم التقنية والجرحى والمرضى، وكانت خسائرهم ألفا وأربعمائة قتيل وأكثر من ألفي جريح. يقول شارل فيرو (14)عن تلك المعركة التي وقعت قبل وقته بقرنين: كثيرا ما لاحظت أثناء معاركنا مع القبائل ما بين 1840 - 1860 سيوفا طويلة بين أيديهم منقوش عليها حرس ملكي في جميع المناطق، وأن جزءا من مدافع قلعة بني عباس تعود إلى الفرنسيين الذين تركوها بجيجل سنة 1664، وهذا دليل آخر على أن سكان هذه

المنطقة البعيدة قد شاركوا في المعركة. كما عثر الضابط بيان في مسجد سيدي الجودي ببني يعلى على أدوات حربية تعود إلى مخلفات معركة جيجل وأن سكان تلك المنطقة شاركوا فيها. وفي قاعة الغنائم التابعة لفرع قسنطينة تم إيداع الكثير من الأسلحة التي انتزعت من العدو. (ويقصد بها المقاومين للاحتلال الفرنسي ما بين سنوات 1839 - 1860) أثناء حملات جيوشنا تعود إلى مخلفات معركة جيجل سنة 1664.

وقد تركت هذه الهزيمة للأسطول الفرنسي حينذاك جرحا عميقا، لأن خسائرها كانت ثقيلة جدا، وقد تحدث عنها المؤرخون الفرنسيون كثيرا، لأنها خلفت أكثر من ثلاثة آلاف جندي بين قتيل وجريح وأسير، بالإضافة إلى العشرات من المدافع من أرفع طراز. وذخائر حربية لا تحصى؛ ولهذا فإن أول كلمة نطق بها قائد القوات البحرية الذي احتل مدينة جيجل الضابط صالو سنة 1839 قوله:"لقد انتقمنا لك يادوفورت".

فبعد طرد القوات الفرنسية الغازية من مدينة جيجل سنة 1664، تعود المدينة

وإقليمها الجغرافي إلى أهلها، لكن المورخين تجاهلوا ذلك فلا نجد في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر سوى ما سجله كتاب التقارير الرسمية الفرنسية من الروايات الشفاهية المتوارثة التي وجدوها تدور بين أفراد أعراش المنطقة بعد احتلالهم لها سنة 1839م حول المتطوعين من أبنائها الذين أبلوا البلاء الحسن في المعارك التي جرت سنة 1775 في مدينة الجزائر أثناء محاولة الأسطول الأسباني بقيادة أوريلي احتلالها (15). فقد تضمنت تلك التقارير الرسمية الخاصة (16) بكل عرش أو قبيلة التي كانوا ينشرونها في الجريدة الرسمية ابتداء من سنة 1826 بطولة متطوعي منطقة جيجل بقيادة سيدي عبد الله مولا الشقفة شيخ بني يدر وسيدي السعدي شيخ بني عافر، ولذلك بقي اسماهما خالدين في المنطقة (17).

وفي مدينة الجزائر ما يزال إلى اليوم شارع في حي القصبة يسمى باسم سيدي عبد الله (حوانت سيدي عبد الله).

هذا فيما يخص نهاية القرن الثامن عشر، أما بداية القرن التاسع عشر فتعود المنطقة بقوة إلى قلب الأحداث التاريخية الهامة وذلك لقيامها بانتفاضة أو ثورة تعد من أكبر الثورات التي عرفتها أواخر العهد العثماني في الناحية الشرقية، ومن أهم ضحاياها باي قسنطينة.

4) ثورة ابن الاحرش

في بداية القرن التاسع عشر وقبل الغزو الفرنسي بأقل من ثلاثين سنة اندلعت ثورة بأتم معنى الكلمة في منطقة جيجل ضد النظام العثماني، وهي ثورة ابن الاحرش التي بدات بذورها في الأعراش المحيطة بالمدينة مثل بني قايد وبني احمد وبني عمران وأولاد بلعفو، ثم امتدت شرقا وتمركزت في منطقة وادي زهور النائية جنوب الميلية ما بين سنوات (1801 - 1805). وأهم مصدر يمكن الاعتماد عليه في هذا الموضوع هو البحث الذي نشره الدكتورناصر الدين سعيدوني (18) في مجلة الثقافة (19)سنة 1983 الذي لخص فيه أسباب وعوامل تلك الثورة في عاملين أساسيين هما: شخصية ابن الاحرش الجذابة الغامضة التي لعبت دور رئيسيا في تحريك أعراش المنطقة واستعدادهم لذلك، لأنهم يثقون في كل غريب (20) يحط عصا الترحال في وسطهم ويقبلون أفكاره حتى ولو كانت متطرفة. فيندفعون وراءه ويناصرونه دون فحص أو تدقيق فيما يدعيه أو في عواقبها.

أ. شخصية ابن الاحرش

إن شخصية ابن الاحرش تذكرنا بشخصية ابن عبد الله الشيعي الذي استطاع في القرن الثالث الهجري أن يؤسس الدولة الفاطمية جنوب منطقة جيجل بعدما نجح في استقطاب العشائر الكتامية الموزعة في المثلث: سطيف، شلغوم العيد ، جيجل، تحت شعار دعوة دينية من اجل هدف سياسي. وهو نفس ما فعله ابن الاحرش مع القبائل المحيطة بمدينة جيجل والموزعة شرقها، فقد استعمل كل الوسائل لإقناع الناس بالالتفاف حوله، فادعى بأنه الإمام المنتظر وبأنه صاحب الوقت. وقد استعمل بعض الحيل، إذ أوعز في إحدى المرات إلى أحد أتباعه المخلصين أن يمكث في قبر أعده خصيصا لذلك، وأن يخاطب الناس مؤكدا لهم بأن الوقت قد حان للقضاء على حكم الترك. وهذا ما أكده الكتاب المعاصرون له أو القريبون من عصره، منهم على سبيل المثال الزياني، حيث يقول: "إن الناس راوا العجائب من ابن الاحرش، واظهر لهم من الأمور غرائب تقلب العين لا حقيقة لها دون مبين" (21). وكذلك الشيخ أحمد المبارك، إذ يقول: "إنه قد أظهر للقبائل أمورا يزعم أن بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم، وغرهم بمثل هذا الكلام" (22). وهذا ما يصفه به أعداؤه من كتاب المدن (23).

ويظهر من كلامهم بأنهم يعبرون عن رأي السلطة الحاكمة، ولذلك تبقى الحقيقة غامضة مادمنا لا نجد من أنصاره من رجال المنطقة من كتب عنه خيرا أو شرا. وقد استطاع أن يجند قبائل الشمال القسنطيني كلها لمحاربة (حكم الترك)، واشتهر بينهم

بلبودالي نسبة إلى أدبال الصالحين وبالشريف المغربي. ولا يعني قطعا أنه من تلك البلاد، فقد جرت العادة في العهد الإسلامي أن كل غريب يدعي النسب للشرفاء، وغالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء أو ناحية السوس جنوب المغرب (24).

أما السبب الثاني لثورة ابن الاحرش فهو استعداد قبائل منطقة جيجل وتقبلهم لكل غريب، كما تمت الإشارة إليه سابقا، وعلى الأخص في أواخر العهد العثماني، إذ أصبح الفرق واضحا بين سكان المدن وسكان الريف بصفة عامة في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، إذ كان سكان المدن يعتبرون سكان الريف بدويين ومتأخرين حضاريا، ولذلك يتعاملون معهم بترفع.

وكان بايات قسنطينة ينتقمون من القبائل التي ترفض دفع أنواع الضرائب بسجن أو قتل أبناء تلك القبائل الموجودين داخل المدينة، كما كان سكان الريف يعتبرون سكان المدن منحلين أخلاقيا ودينيا، ولذلك يجب تأديبهم (25). بالإضافة إلى التصرفات الجائرة التي كان يقوم بها بايات الشرق والغرب أثناء استخلاص أنواع الضرائب بواسطة الحملات العسكرية لجمعها بالقوة أو لمعاقبة الممتنعين عن دفعها.

ففي الوقت الذي كان فيه ابن الاحرش يقوم بدعوته ويروج لها في أوساط قبائل ناحية جيجل سنة **1802** كان باي قسنطينة الحاج مصطفى أنغليز (26) يقوم بقمع قبائل الحنانشة والنمامشة، ويصادر قطعان ماشيتهم، وكانت تلك الأخبار المتعلقة بعملية القمع تصل بانتظام إلى ابن الاحرش، وكان يستغلها في دعاياته ضد (حكم الترك)، وهو نفس ما وقع سنة **1804**، فعندما قام ابن الاحرش بمهاجمة قسنطينة عاصمة الباي عصمان، كان هذا الأخير في نواحي المسيلة يقوم بحملاته القمعية لجمع الضرائب (27)، بالإضافة إلى معاداة بعض شيوخ الزوايا، لأن دايات أواخر العهد العثماني أصبحوا يتجاهلون المرابطين وشيوخ الزوايا، وأصبحوا يعتمدون أكثر على الأجواد والعائلات الإقطاعية في إدارة القبائل الريفية مثل عائلتي بن عاشور وبن عز الدين جنوب منطقة جيجل، في الوقت الذي جردوا فيه بعض العائلات المرابطية من الامتيازات القديمة، كالإعفاء من دفع الضرائب، وحرموهم من العطايا، وهذا ما فعلوه مع المرابط عبد الله بن محمد الزبوجي مقدم الطريقة الرحمانية برجاص قرب ميلة.

هذه هي أهم الأسباب الداخلية، أما الأسباب الخارجية التي ساعت ابن الاحرش على تنظيم ثورته فأهمها التنافس الشديد الذي كان قائما بين فرنسا وأنغلترا على اكتساب مناطق النفوذ ونيل المزيد من الامتيازات في أراضي الإمبراطورية العثمانية، ومن جملتها الجزائر، لأنه في الوقت الذي حاول فيه الإنغليز محاصرة فرنسا في الحرب النابليوبية، كان دايات الجزائر يمدونها بالحبوب، وكذلك في

الوقت الذي اندلعت فيه الحرب بين انغلترا وفرنسا سنة 1802 عقد الداي مصطفى باشا (28) بالجزائر معاهدة صداقة مع القنصل الفرنسي دوبواتانيل. ولهذا يتهم المورخون الفرنسيون انغلترا بانها هي التي دفعت ابن الاحرش الى الثورة ضد دايات الجزائر مستدلين على ذلك بنقله هو ومن معه من الحجاج الذين قادهم في مساعدة المصريين على اخراج جيوش نابليون من بلادهم. كما نسقوا بينه وبين باي تونس حمودة باشا، إذ أنزلوه في تونس عندما كان عائدا من مصر على ظهور سفنهم. فاستقبله الباي ووعده بتقديم العون له. اذ قام بحركة ضد حكم الترك. وفي هذا الصدد يقول شريف الزهار: "استدعى (اي الباي) ابن الاحرش ووسوس له قائلا: ان رجلا مثلك شجاعا يجب ان يذهب الى ملك الترك بالجزائر وينتزعه من ايديهم. ونحن نمدك بما يخصك. والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الاتراك " ثم عقب الزهار على ذلك بقوله "وكان قصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه"(29).

ب. ابن الاحرش في منطقة جيجل

هذه هي الأسباب الداخلية والظروف الخارجية التي ساعدت ابن الاحرش على انتفاضته او ثورته ضد (حكم الترك) بالجزائر. وهكذا بعد الوعود بالدعم المادي والمعنوي من باي تونس والإنغليز الذين نقلوه على ظهر سفنهم من تونس إلى عنابة وسلحوه ببندقية حديثة الصنع ذات الطلقات الثلاث. وبعد انزاله في عنابة انتقل في ظروف غامضة إلى قسنطينة فبقي هناك يدرس الأوضاع العامة لبايلك الشرق. ثم انتقل إلى مدينة جيجل. وللاسف لم يذكر احد من المورخين لماذا اختار منطقة جيجل لنشر دعوته الثورية السرية ثم العلنية، ولكن حسب تسلسل الاحداث ونفسية رجال المنطقة المثالية التي ترفض كل انحراف له علاقة بالسلطة سواء اكانت أجنبية مستعمرة أو وطنية مستبدة، نرجح أن يكون ابن الاحرش قد عرف هذه الميزة من حجاج المنطقة الذين رافقوه أثناء إمارته على قافلة الحج التي انطلقت من المغرب اواخر سنة 1800م، ولا شك أنهم تطوعوا الى جانبه في قتال الجيش الفرنسي بمصر. وانهم هم الذين شجعوا ابن الاحرش على الاتجاه إلى منطقتهم. لانه لا يمكن لغريب ان يتجه إلى منطقة معروفة بتعقيد تضاريسها إلا إذا كان مرفوقا بأبنائها الذين يعرفون مسالكها الوعرة.

وهكذا، ففي سنة 1802 وصل ابن الاحرش إلى مدينة جيجل وبدأ في نشر دعوته السرية بين القبائل المحيطة بمدينة جيجل مثل بني قايد وبني احمد وبني عمران وأولاد بلعفو والعوانة.. الخ.

وخوفا من رجال السلطة في مدينة جيجل خرج إلى زاوية ابن الزيتوني (30)، وشرع في توعية الناس بأسلوب جديد وبفصاحة غير معهودة، مبرزا مظالم الحكام الأتراك وخلفائهم في الأرياف الذين جعلوا هدفهم الأساسي جمع الضرائب بطرق وحشية ضاربا لهم أمثلة بما يجري في النمامشة والحنانشة بشرق البلاد. ومما زاده شهرة سعة أفقه وشجاعته وقدرته على الإقناع، كما عرف هو نفسية البسطاء من سكان الريف بصفة عامة ونفسية سكان منطقة جيجل بصفة خاصة، فاستطاع توجيههم لخدمة اهدافه واكتسب بذلك أتباعا مخلصين داخل المدينة وخارجها. وبعدما نجح في تهيئتهم للثورة قادهم لاحتلال مدينة جيجل، وقبل وصولهم إلى ثكنة الحامية التركية التي لا يتجاوز عدد أفرادها ثمانين جنديا انسحبت الحامية بدون قتال عن طريق البحر وأصبحت المدينة والقبائل المحيطة بها في أيدي أنصار ابن الاحرش اواخر سنة 1802.

ومما زاده قوة فرار ضابط مدفعية ممتاز من خدمة الداي بمدينة الجزائر يدعى بن دونالي وانضمامه إلى أنصاره. وبعد هذا النجاح عين ابن الاحرش حاكما يدعى ابن حمدوش (31) على المدينة والمنطقة المحيطة بها من بني قايد، وأمره بجمع الضرائب. وبعدما استتبت له الأمور في مدينة جيجل وضواحيها انتقل في ظروف غامضة إلى ما كان يعرف بالجراح (32) قرب وادي زهورفي وسط قبيلة بني فرقان،

وبنى هناك قرية للاستقرار فيها هو وأقرب المخلصين له، كما بنى معهدا لتعليم الصبيان. وبسرعة انتشرت أخباره وانضمت إليه كل القبائل الواقعة شرق مدينة جيجل مثل بني حبيبي وبني بلعيد وبني مسلم وأولاد عواط وأولاد عيدون وبني خطاب، بالإضافة إلى القبائل الأخرى مثل بني معزوز وبني عيشة وبني فتح وأولاد عطية وبني توفوت.

ونتيجة لهذا الامتداد الثوري انسحبت الحاميات التركية من الساحل الشرقي كله الممتد من جيجل إلى عنابة. ومما زاد قوة ونفوذ ابن الاحرش استيلاؤه سنة 1803م على السفن الفرنسية العاملة في صيد المرجان التابعة لشركة القالة التي تحتكر صيده في المنطقة البحرية الممتدة من القالة على بجاية.

ويقول أحد المؤرخين الفرنسيين (33) بأنه استولى على سفن، ونهب كل ما تحمله من مرجان ومؤن وأسلحة وغيرها، كما أسر اكثر من أربعين من بحارتها، وهنا تدخل الداي وأمر الرئيس حميدو بالتوجه إلى جيجل لإلقاء القبض على ابن الاحرش ومعاقبة مناصريه.

وقد توجه فعلا هذا الأخير يقود أربعة سفن حربية. وعندما وصل إلى ميناء جيجل طلب من سكانها تسليم ابن الاحرش وضابط المدفعية بن دونالي وإلا قنبل مدينتهم. فردوا عليه باطلاق المدافع على سفنه. فرد عليهم بدوره ببعض القنابل. ثم انسحب بعدما عرف استحالة إلقاء القبض على ابن الاحرش، وهذا مازاد ابن الاحرش وأنصاره تصميما على مواصلة الثورة والاستعداد لما هو أكبر. وهو الهجوم على مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق.

جـ. هجومه على مدينة قسنطينة

بعد نجاح ابن الاحرش في اخضاع الساحل الشرقي كله الممتد من جيجل إلى عنابة امر أتباعه بالتوجه للاستيلاء على قسنطينة عاصمة الباي. ففي حوالي 10 جوان 1804م بدأ رجال القبائل في التجمع في نواحي القرارم استجابة لدعوة ابن الاحرش. وتختلف المصادر التاريخية في عددهم. فالعنتري (34) يقدرهم بعشرة آلاف مقاتل، ولكنه يصفهم بالجراد المنتشر. والمورخ الفرنسي فايسات "faysette" يقدرهم بستين الفا (35). ويعلق الدكتور ناصر الدين سعيدوني على هذا التضارب في تحديد عدد المقاتلين بقوله "وإن كنا نرى في هذا القول مبالغة. نظرا للاوضاع الديمغرافية بتلك الجهة" (36)، ولذلك فعددهم المعقول هو ما بين خمسة عشر ألفا وعشرين ألفا. وفي 19 جويلية تم جمعهم في المكان المحدد لهم سابقا وألقى عليهم ابن الاحرش خطابا حماسيا وامرهم بالسير نحو قسنطينة. وفي اليوم الموالي وصلت طلائعهم الى الضاحية الغربية للمدينة بالمكان المعروف بسيدي أحمد الغراب. فتصدى لهم قائد الدار الحاج أحمد بن الابيض. خليفة الباي على رأس مجموعة من فرسان المدينة. فوقعت مناوشات حادة بالمدينة والواد المالح. وعندما ازداد ضغط المهاجمين لكثرة عددهم (37) تراجع ابن الابيض وفرسانه. ليحتموا بأسوار المدينة. فواصل المهاجمون زحفهم واحتلوا اطراف المدينة مثل الكدية وباردو. وكادوا يقتحمون المدينة لولا حدوث الفوضى والاضطراب في أوساطهم لانشغالهم بسلب اصطبلات الباي والفنادق ومنازل العمال.

وفي هذه الظروف نظم سكان المدينة المقاومة بقيادة بن الفقون وقصفوا المهاجمين بالمدافع فتراجع الكثير منهم، وهذا ما سمح لابن الابيض قائد الدار أن يخرج لمقاتلتهم. وفي نفس الوقت وصل شيخ فرجيوة مصطفى بن عاشور على رأس فرسانه لتدعيم أهل المدينة. وقد تمكنت هاتان القوتان من إرغام رجال ابن الاحرش على التقهقر بعدما تكبدوا خسائر كبيرة، لكن ابن الاحرش لم ييأس من هذه النتيجة السيئة، بل أمر أنصاره في الغد من العودة إلى مهاجمة المدينة. وحاول أن يتسلل مع

بعض أتباعه إلى داخلها، لكنه اصيب بجروح خطيرة في رجله، فحمله أنصاره بسرعة وسارعوا به إلى بني فرقان للمعالجة، وحينذاك تراجع المهاجمون بعد سماعهم بجروح زعيمهم وعودته إلى وادي زهور. ويصادف ذلك التقهقر عودة الباي عصمان من نواحي المسيلة بعدما كان يجمع الضرائب، وتمكن فرسانه من اللحاق بالمتقهقرين في مكان يعرف ببوقصيبة على وادي القطن بشمال غرب ميلة، فقتلوا منهم حوالي سبعين رجلا وثلاثة نصارى من الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في يد ابن الاحرش أثناء استيلائه على سفن صيد المرجان. وبهذه الهزيمة ينتهي الفصل الأول من ثورة ابن الاحرش ضد (حكم الترك).

اما الفصل الثاني فكانت نتائجه قاسية بالنسبة لبايلك الشرق، إذ قتل فيه الباي عصمان بأولاد عواط قرب الميلية.

د. مقتل الباي عصمان على أيدي أنصار ابن الاحرش

لقد أشرت سابقا إلى عودة الباي عصمان وحملته الفصلية التي كان يجمع بها الضرائب بعدما سمع بهجوم ابن الاحرش على عاصمته، وبعد استراحة قصيرة بدأ يستعد لملاحقته في معقله بوادي زهور، وعلى الأخص بعد وصول أمرية داي الجزائر شديدة اللهجة (رأسك أو رأس ابن الاحرش) يحثه فيها على معاقبة الثائرين وبالقضاء على ابن الاحرش.

وفي بداية شهر أوت 1804م خرج من مدينة قسنطينة متوجها ناحية وادي زهور على رأس قوة عسكرية هامة، واتخذ الطريق الذي يوازي من الناحية الشرقية طريق اليوم الرابط بين قسنطينة والميلية. وقد قسمت حملة الباي(القافلة) المرحلة بين قسنطينة ووادي زهور إلى أربع محطات. ففي اليوم الأول عسكرت بعرش معاوية قرب تاديست شرق القرارم، وفي اليوم الثاني ببني صبيح شمال غربها، وفي اليوم الثالث بعرش العشايش شرق الميلية، وفي اليوم الرابع اخترقوا عرش أولاد عيدون. وقام الباي
بتحركات عسكرية قصد تخويف السكان وإشعارهم بقوة وهيبة البايلك. وهناك تختلف الروايات حول الكيفية التي قتل فيها الباي (38)، وكذلك المكان الذي قتل فيه، لأنها متضاربة، ولكن عند مقارنتها يستطيع الباحث أن يخرج بخلاصة ربما تكون قريبة من الحقيقة، وهي صعوبة المنطقة، لأنها غابية جبلية ذات شعاب عميقة، فهي غير صالحة لسير الحملات العسكرية، ولذلك سهل على القبائل التي مازالت تناصر ابن الاحرش رغم النكسات التي حلت بها أثناء مهاجمة مدينة قسنطينة، إذ استعملت الكمائن المحكمة، وربما استعملت بعض الحيل لجر الباي عصمان ومحلته إليها فقضت عليه

وعلى أغلب عناصر محلته. وحسب الروايات المتضاربة كذلك حول المكان الذي سقط فيه الباي عصمان، فقد يكون وسط عرش أولاد عواط، لأنه يقع بين الميلية ووادي زهور، بالإضافة إلى عثور الفرنسيين على قبره سنة 1853م بالعرابة، وهي عشيرة من عشائر أولاد عواط الواقعة على الطريق الرابط بين الميلية وجيجل، شرق العنصر التي تبعد عنه بحوالي ثلاثة كلم.

هـ. المرحلة الأخيرة من ثورة ابن الاحرش

بعد هذه الأحداث التي انتهت بالقضاء على الباي عصمان، تبدأ المرحلة الاخيرة من ثورة ابن الاحرش وأعراش منطقة جيجل. فعلى الرغم من النجاح الظاهر لهذه الثورة، إلا أن تصميم السلطة المركزية في الجزائر، التي كان على رأسها الرجل القوي مصطفى باشا، قلب الأوضاع رأسا على عقب. وقد تجلى هذا التصميم منذ البداية في إسراع الداي مصطفى باشا بتعيين باي جديد على قسنطينة وهو عبد الله بن إسماعيل (39) قائد وطن الخشنة (40) خلفا للباي المقتول، وأمده بجيش مدرب تدريبا عاليا في قتال القبائل الثائرة، وأمره بملاحقة ابن الاحرش أينما كان.

وبسرعة وصل إلى قسنطينة وبدأ ملاحقته بحادثة طريفة رواها شارل فيرو (41) وهي إرساله هدية ملغمة، ولكنها لم تصل إليه. وبعد فشل تلك المحاولة بقي يترصده بواسطة جواسيسه.

وفي أواخر أكتوبر سنة 1804 وصلته معلومات بوجود ابن الاحرش جنوب غرب ميلة رفقة مرابط رجاص الزبوشي الذي شجعه سابقا على مهاجمة قسنطينة، فخرج إليهما.

وقد تمكن من هزيمتهما وتبديد أنصارهما، فزالت هيبة ابن الاحرش من أعين الناس وأعيدت الروح المعنوية للعائلات التقليدية حليفة البايات مثل ابن عاشور في فرجيوة وبن عز الدين في زواغة والمقراني في مدينة جيجل التي كان بعضها قد التزم الصمت خوفا من تيار ابن الاحرش الجارف، وبعضها انغمس معه مثل مولا الشقفة، ولكن بعد تلك الهزيمة اتضحت لهم الرؤى وتأكدوا من نهاية ابن الاحرش، ولذلك سارعوا إلى الانضمام إلى جانب الباي عبد الله لمطاردة ابن الاحرشن ولكنه لم يترك لهم الفرصة، لأنه عرف بدهائه بأنه انتهى دوره في منطقة جيجل الشرقية، ولذلك اختفى نهائيا.

وهناك تضارب في روايات المؤرخين عن مصيره (42)، وهذا لا يهمنا لأنه خارج عن نطاق بحثنا، اما الذي يهمنا فهي الآثار السلبية التي انعكست على المنطقة بعد فشل انتفاضته، لأن الوعود التي وعد بها أعراش المنطقة لم يتحقق منها شيء، بل عادت

عليهم عكس ذلك، إذ عم البؤس والشقاء والمجاعة (43)، بسبب أن الحروب والفوضى منعت الناس من الحرث، بالإضافة إلى إيمانهم القوي بالغيبيات، فقد اعتقدوا بأن الله عاقبهم على عصيانهم، ولذلك بدأوا يشكون في قداسة ابن الاحرش، فأدرك هو ذلك واختفى من منطقتهم. وربما هذا ما دفع أعيان مدينة جيجل وضواحيها إلى الاجتماع وقرروا فيه بعث وفد إلى مدينة الجزائر ليطلبوا من الداي أحمد باشا (44) العفو والغفران على ما قاموا به من عصيان (45)، وتوجه الوفد فعلا في نهاية سنة 1805م إلى مدينة الجزائر برئاسة الشاب سيدي محمد أمقران (46)،

فاستقبل الداي الوفد بحفاوة بالغة ومكث أعضاؤه أياما في ضيافته، ثم أمر الرئيس حميدو (47) بإعادتهم إلى مدينتهم عن طريق البحر، كما عين فرقة عسكرية متكونة من أربعين جنديا لمرافقتهم إلى جيجل، لتخلف الحامية التي انسحبت سنة 1803م أثناء ثورة ابن الاحرش، وبذلك عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي وساد الهدوء جميع أنحاء المنطقة.

و. ظهور ابن أخ ابن الاحرش

بعد ثلاث سنوات من الأمن والاستقرار الذي عم المنطقة كلها، ظهرت شائعة في الأعراش المحيطة بمدينة جيجل بأن شخصا غريبا، يدعى ابن أخ ابن الاحرش، قد ظهر أولا في عرش بني عمران شرق المدينة، وهكذا فرغم البؤس والشقاء والمجاعة التي عمت المنطقة مدة أربع سنوات، إلا أن بعض أعراش المنطقة لم تتعظ بما حل بها، فما تزال تؤمن بكرامات ابن الاحرش الذي اختفى عن المنطقة، ولذلك سارعت إلى رؤيته. وللتأكد من صحة ما يدعيه، طلبت منه الذهاب معها إلى المرابط مولا الشقفة شيخ عرش بني يدر للتأكد من صحة ما يدعيه. ويبدو ان شيخ بني يدر زكاه بعد مساءلته، وفي الحين طلبت منه تلك العشائر احتلال المدينة مثلما فعل عمه سنة 1803م إن كان حقا عمه، ولكنه رفض بحجة أن الأمور الكبيرة لم يحن وقتها بعد، ونتيجة لذلك بدأت الشكوك تدور حول مصداقيته ومهمته المقدسة. وبدأت تدور عليه الدائرة، إذ اقترحت قبيلة أولاد بلعفو على العشائر التي مازالت مترددة في شانه تسليمه إلى الحامية العسكرية بجيجل، وعندما سمع بما يدور في الأعراش والعشائر القريبة من مدينة جيجل وأنهم يتشاورون في أمر تسليمه إلى الحامية التركية فر إلى غابات بني عيشة جنوب العنصر، واختفى في غار لا يمكن النزول إليه إلا بسلم (48)، وبعدما تناسى الناس أمره خرج من مخبئه داعيا الأعراش الجبلية مثل ابني عيشة وبني فتح وأولاد عسكر وبني عافر إلى الجهاد، وبدأ البعض يستمعون إليه، ولكن بحذر. ونظرا لخوف أعيان المنطقة من تكرار تجربة ابن الاحرش الأولى، تطوع

بعضهم وذهب إلى الجزائر وأخبر الداي بما يجري في أعراش المنطقة. ولهذا سارع هذا الأخير وكتب لهم رسالة (49) يحثهم فيها على القضاء على هذا الداعية الجديد.

والرسالة تتضمن معلومات تاريخية هامة (انظر نص الرسالة في الهامش رقم 49)، أولها أنها تشير إلى الاتصالات التي أعيدت بين أعيان المنطقة وقمة السلطة في الجزائر، كما تشير إلى مخلفات ثورة ابن الاحرش سنة 1803م في المنطقة، وقد طلب الاعيان من الداي العفو على ضابط المدفعية دونالي الذي فر من الجزائر وقدم خدمات هامة لابن الاحرش، كما نلاحظ أن رسالة الأعيان لم تشر إلى قضية الذي يدعي بأنه ابن أخ ابن الاحرش والذي يتجول بين أعراش وعشائر الناحية. ولذلك فالسؤال المطروح هو كيف وصلت أخباره إلى الداي وطلب منهم استعمال الحيلة للقبض عليه. ويبدو من هذا الغموض أن أعراش المنطقة مختلفة حوله بين مويد ومعارض، ولهذا لم يتعرضوا لقضيته أثناء مكاتبتهم الداي. وكذلك طلب هذا الأخير من الاعيان استعمال حيلة للقبض عليه. ويعد هذا الاستنتاج بمثابة الاجابة على السؤال الذي طرحناه سابقا. وتعد رسالة الداي الذي خص فيها بالاسم سي محمد أمقران تدعيما له، لأنه من الذين يريدون القضاء على من يدعي بأنه ابن اخ ابن الاحرش، ولذلك بعث بسرعة بمجموعة من الفرسان وفي أيديهم رسالة الداي لتترصد تحركاته داخل العشائر التي تأويه فقتلوه. وبعد التخلص منه عاد الهدوء إلى المنطقة واستمر حتى دخول الفرنسيين إلى جيجل سنة 1839م.

هذا ما يتعلق بالثورة الوحيدة في المنطقة خلال العهد العثماني، أما قبلها فتعد المنطقة النواة الأولى للعهد العثماني، فكانوا يشاركون بحماس في الدفاع عنها كلما تعرضت حدودها البحرية أو البرية للغزو الخارجي حسب ما تعرضنا له سابقا. وأكبر دليل على ذلك المقاومة الشديدة ضد الغزو الفرنسي سنة 1664.

جـ - الحياة الاقتصادية للمنطقة في نهاية العهد العثماني

1) الفلاحة

إن اقتصاد الريف الجزائري بصفة عامة خلال العهد العثماني كان يعتمد على الفلاحة.

فهذا القطاع وعلى الأخص الجانب الزراعي منه محدود جدا في منطقة جيجل لأن حوالي 90 % من أراضيه جبلية مكسوة بالغابات. وهذا ما جعل سكانها يتأقلمون ويقومون بالزراعة المعاشية في قطع صغيرة وسط الغابات والأحراش.

وقبل التطرق إلى منتوجات السكان الزراعية، لا بد من التعرض إلى الوضع العام الذي كانت عليه تلك الأراضي في نهاية العهد العثماني، فعلى الرغم من

انعدام المصادر المكتوبة المحلية لهذه الأراضي قبل الغزو الفرنسي للمنطقة سنة 1839. الا اننا استطعنا أن نكون صورة عامة من خلال الوثائق الفرنسية التي تشير إلى أن السلطات الفرنسية صادرت جميع الأراضي السهلية سنة 1871 بعد فشل ثورة المقراني. فوزعتها على المعمرين كما سنتعرض له لاحقا. فهذه الأراضي الزراعية رغم ضآلتها يمكن ان نحددها في ثلاثة أنواع:

1- الأراضي السهلية:

واهمها سهل جيجل الواقع شرق المدينة الذي يبلغ طوله حوالي عشرين كلم، وعرضه ما بين كيلومترا واحدا و15 كلم، بالإضافة إلى سهول صغيرة تكونت في مصاب الوديان مثل سهل وادي زهور والوادي الكبير.

لكن سهل جيجل الأهم تتكون أراضيه الزراعية من هضبات قليلة الارتفاع مثل هضبات قاوس والأمير عبد القادر والطاهير والشقفة وغيرها.

2- ضفاف الوديان:

النوع الثاني من الأراضي الزراعية تتمثل في ضفاف الوديان، وهي واسعة في بعض الأماكن أثناء اختراقها للسهول مثل ضفاف وادي جنجن والنيل والشقفة، فكانت هذه الضفاف الخصبة غير مستغلة زراعيا خلال العهد العثماني حسب ما يدعيه الفرنسيون (50)، وهذا عكس ضفاف الوديان الجبلية التي كانت تستغل في زراعة الخضر والبقول رغم ضيقها، كما كانت مياهها تستغل في طحن الحبوب وفي السقي.

3- الأراضي الجبلية:

النوع الثالث يتكون من الأراضي الجبلية الوعرة التي تكثر فيها الشعاب والوديان، والممتدة من قمم تابابورت إلى رأس بوقرعون قرب القل والتي تتوزع فيها أعراش المنطقة سالفة الذكر، إذ كانوا عبر القرون يزيلون الغابة ويستغلونها زراعيا. وعلى مدى الأيام أصبحت قطع الأراضي الزراعية الجبلية لاتحصى بسبب كثرتها وتنوعها وتداول الأجيال عليها.

أما من حيث الملكية حينذاك، فقد كانت أغلب الأراضي السهلية أملاكا عروشية، والقليل منها كان ملكا للزوايا التي كانت تمنحها لهم السلطات العثمانية. وهكذا كانت أراضي السهل موزعة. فالقسم الشرقي منه ابتداء من مصب وادي جنجن إلى سفوح الجبال الشرقية كان تابعا لأعراش بني سيار وأولاد بلعفو وبني يدر وبني معمر، والقسم الغربي الواقع بين مدينة جيجل ووادي جنجن كان تابعا

لبني احمد وبني عمران وبني خطاب الغرابة، وغرب المدينة كان تابعا لبني قايد والعوانة.

أما الآلاف من قطع الأراضي الجبلية الزراعية فهي الوحيدة التي كانت تباع وتشترى، لأنها أملاك خاصة، وتبقى الغابات والأحراش، التي كانت تغطي حوالي 90 % من أراضي المنطقة، مشاعة بين الأعراش.

أما منتوجاتهم الزراعية فأهمها الشعير في المناطق الجبلية، والقمح والذرة في هضاب السهل، وزيت الزيتون والخضر والبقول والفواكه في بطون الأودية الجبلية. وكلها معاشية، أي للاستهلاك العائلي، لأن المساحات المزروعة عبارة عن قطع صغيرة متناثرة هنا وهناك، ماعدا زيت الزيتون، فبعض العائلات يكون لها الفائض منه، فتبيعه أو تقايضه بالحبوب، وكذلك بعض الفواكه في فصل الخريف كالرمان. وكانت وسائل الإنتاج بدائية، كالمحراث الخشبي والفأس والمنجل. كما بقيت طريقة السقي بدائية، رغم وفرة مياه الينابيع والوديان.

2) الرعي وتربية الماشية

وإلى جانب الزراعة المحدودة، كانوا يقومون بتربية الحيوانات ويهتمون بها أكثر من الزراعة، لأنها تعد رأسمالهم، وكانوا يطلقون على قطعان الماشية كلمة المال (الأموال)، وقد كانت أكثر قطعانهم من الماعز. لأنه أكثر ملاءمة للمراعي الغابية ذات الأطراف الواسعة.

وحسب الإحصاءات التي سجلها الفرنسيون في بداية احتلالهم. نجد مثلا عدد سكان عرش بين خطاب الشرقي 5700 نسمة، وعدد رأس الماعز 9390 رأسا، وعدد سكان أولاد عواط 2753 نسمة، وعدد رأس الماعز 4873 رأسا.

كما يملكون الكثير من الحيوانات الأخرى كالخيول والبغال والحمير والبقر والغنم (51)، بالإضافة إلى خلايا النحل.

3) الصناعة

وكانت الصناعة مثل الزراعة بدائية. ولم تشتهر منطقة جيجل خلال العهد العثماني بأية صناعة يدوية، فقد اقتصرت على الحاجيات الضرورية للسكان. وكانت تتوارث تلك الصناعات البسيطة بعض الأعراش أو العشائر. وقد استمر ذلك التوارث في أغلبه إلى بداية الحرب العالمية الثانية سنة 1939. ومنها صناعة الخشب والفحم والقرميد والحدادة والصابون والحصائر والقفف والحبال والبرادع والسروج وما يتبعها (52).

وقد اختصت بعض الأعراش وبعض العشائر بصناعة معينة مرتبطة بوجود المادة الأولية في محيطها، فمثلا اختص بني فوغال في قطع الأخشاب وما يتبعها من صناعة الألواح الخشبية وغيرها، وبني مسلم اختصوا بصناعة قرميد عرب، بسبب توفر مادة الطين الخاص بصناعة هذه المادة، وكذا توفر المياه على ضفاف وادي الكبير ما بين العنصر والميلية، وبني قايد اهتموا بصناعة الفحم لقربهم من مدينة جيجل (53)، وصناعة القفف وحصائر الصلاة اختص بهما عرش بني صالح، لوجود النبات الخاص بتلك الصناعة في محيطهم. وصناعة الحبال اختصت بها عشيرة حبيلي، لوجود مادة الديس في محيطها.

أما الحدادة فكان لكل عرش حداده الخاص به، لأن هذه الصناعة مرتبطة بوسائل الزراعة كالفأس والمنجل وسكة المحراث الخشبي. وهذه الصناعات كلها للاستهلاك المحلي، ما عدا الفحم والخشب فهما يسوقان خارج المنطقة.

هذا ما يخص صناعات أرياف مدينة جيجل، أما المدينة فلم تشتهر هي كذلك بأية صناعة مثل أريافها، وأغلب نشاط سكانها بحري أو تجاري، ولذلك قد تكون هناك ورشات لصناعة السفن أو ترميمها، لكن لا توجد لدينا أية معلومات عنها، باستثناء ما يقوله المؤرخون بأن خير الدين عندما كان بجيجل خلال سنوات 1520 - 1525 أنشأ دارا لصناعة السفن، وقد انقطعت أخبارها بعد رحيله.

4) طرق المواصلات والتجارة

بقي لنا الجانب التجاري، ففيما يخص الحياة الاقتصادية لمنطقة جيجل، وقبل التطرق إلى هذا الجانب، لا بد من معرفة الطرق التي كانت تربط المنطقة بالمناطق الأخرى، وكان يطلق عليها حينذاك طرق البايلك، وما يزال هذا الاسم يطلق على الطرق العامة إلى يومنا هذا.

وحسب الجرائد التي كانت تصدر في بداية الاحتلال الفرنسي (54)، فإن تلك الطرق هي التي كانت تنتقل عليها القوافل العسكرية الاستعمارية ما بين قسنطينة وجيجل أو سطيف وجيجل، ولم تغيرها إلا سنة 1880.

فالطريق الرئيسي الذي كان يربط قسنطينة وجيجل هو المار اليوم على شحنة بني عافر - أولاد عسكر - باينام - ميلة، والذي بين جيجل وسطيف هو المار على العوانة - إراقن - بابور- سطيف، وبين بجاية وجيجل يفترق مع طريق سطيف في إراقن، ويمر بتابابورت - سوق الاثنين - بجاية. وقد بقيت هذه الطرق، التي ربما يعود شقها إلى العهد الروماني، للبغال والراجلين كما كانت في العهد العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945 (55)، لأنها كانت خاصة بالجزائريين، ولا حاجة

للمعمرين بها إلا لنقل قشر أشجار البلوط على ظهر البغال من الغابات الجبلية إلى سهل جيجل، ثم ينقل بالعربات أو السيارات إلى مدينة جيجل. وكانت صيانتها مرتبطة بتقشير أشجار البلوط.

هذه هي أهم الطرق البرية التي كانت تلعب دورا رئيسيا في تجارة القوافل بين شمال المنطقة وجنوبها، وعلى الأخص تجارة الحبوب، لأنها الغذاء الرئيسي لسكان المنطقة.

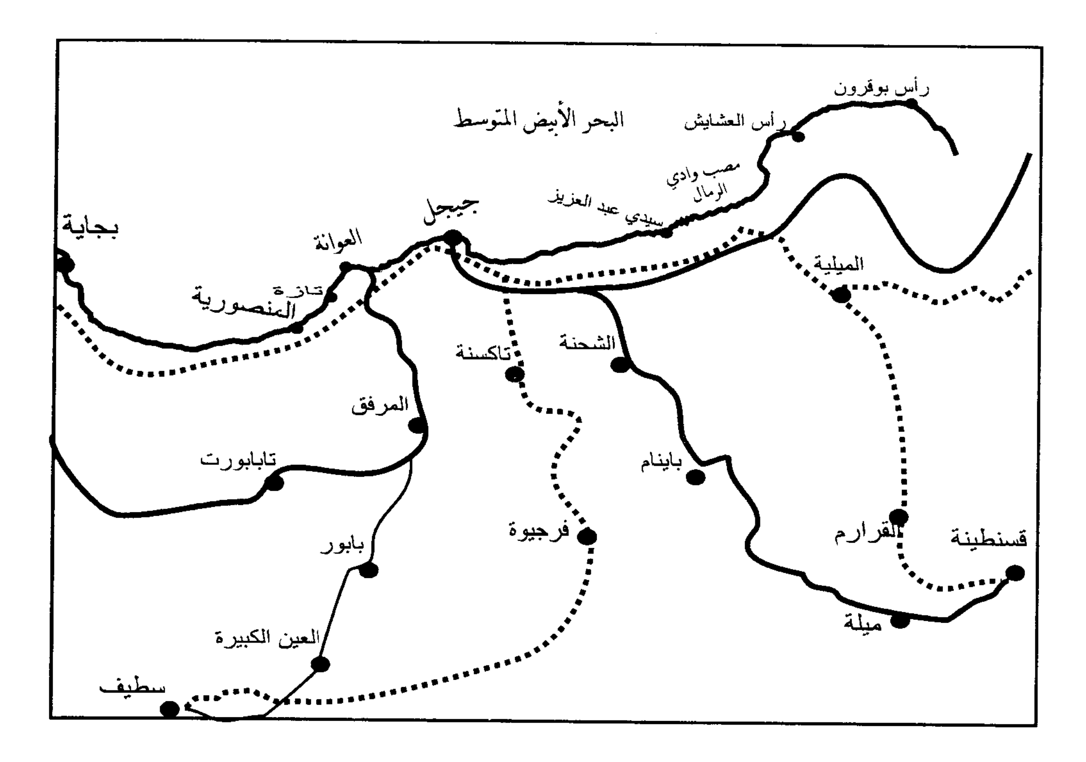
أما طرق السيارات المعروفة اليوم بالطرق الوطنية، كطريق جيجل قسنطينة المار على الميلية - سيدي معروف ، أو الطريق الرابط بين بجاية وجيجل المار على شاطئ البحر، فلم يبدأ الفرنسيون في استعمالهما إلا بعد سنة 1880، أي بعد الاحتلال بخمسين سنة.

أما المواصلات البحرية خلال العهد العثماني فكانت تتم عبر ميناء جيجل الوحيد بالمنطقة، وكان هذا النشاط كغيره غير موثق. فلم نعثر على أي سجل أو وثيقة تتحدث بطريقة مباشرة عن النشاط التجاري أو النقل البحري من تلك الميناء. رغم ان شركة بكري بوجناح اليهودية كان لها نشاط تجاري واسع في مدينتي جيجل والقل ما بين سنوات 1806 – 1824، أي قبل الغزو الفرنسي بـ 13 سنة فقط. وكان وكلاء تلك الشركة في الموانى الأوربية مثل مرسيليا وموانى جنوب إيطاليا يسجلون كل ما يستوردونه أو يصدرونه من وإلى الموانى الجزائرية، ولكن وكلاءها في جيجل أو في الجزائر أو في غيرهما لا يسجلون شيئا لا من الصادرات ولا من الواردات تهربا من دفع الضرائب، ولهذا حرمنا من الإحصائيات والوثائق التي تساعد الباحث في الجانب التجاري للمدينة وإقليمها الجغرافي، وكدنا لا نعرف شيئا عن هذا الميدان، لولا بعض المعطيات التي نستنتجها من المصادر الفرنسية التي ذكرت المخازن التجارية التي وجدها الجيش الفرنسي بمدينة جيجل يوم احتلالها سنة 1839، وكذلك مجموعة من السفن راسية بمينائها (56)، بالإضافة إلى نشر تلك المصادر مراسلات هامة جرت ما بين وكيل الحرج سيدي إبراهيم (57) والحاكم المدني لمدينة جيجل سيدي محمد أمقران تتحدث عن المنتوجات (58) التي كانت تخرج من ميناء جيجل، فهذه المراسلات التي وضعت خلاصة اثنان منها في الهامش تمدنا بمعلومات قيمة عن النشاط التجاري الواسع الذي كان يجري بالميناء وبالجهات التي كانت تتجه إليها منتوجات المنطقة الغابية والفلاحية داخل الجزائر وخارجها مثل عنابة وتونس.

وقد اقتصرت معطيات المراسلات على المنتوجات التي تخرج من ميناء جيجل، ولم تتعرض للواردات. وأعتقد أنها كانت ضئيلة جدا وعلى الأخص المصنوعات الأوربية

الكمالية، لان 97 % من سكان المنطقة حينذاك كانوا ريفيين لا تحتاج حياتهم لتلك الكماليات، وكانوا يكتفون بالضروري الذي يصنع محليا.

وحسب الرسالتين فان مبيعات مدينة جيجل هي المنتوجات الغابية، كخشب الكراستة الموجود بكثرة في غابات بني فوغال الخاص بصناعة السفن (59) التي احتكرت استغلاله الشركة اليهودية سالفة الذكر، وكذا الشمع والجلود وزيت الزيتون.



الطرق الرئيسية خلال العهد العثماني والفرنسي.

_____ العهد العثماني.

.... العهد الفرنسي.

وقد كانت هذه المنتوجات مثل الجلود والشمع تذهب إلى الأسواق الخارجية، إما مباشرة أو عبر مواني عنابة والجزائر.

أما المشتريات أو الواردات فأهمها حسب تصورنا - لأننا لم نعثر على أية وثيقة أو مصدر يتكلم على واردات ميناء جيجل - فهي الأقمشة القطنية أوالحريرية والقهوة والسكر والخردوات والعطريات وبعض المواد الأولية للصناعات المحلية كالحديد وبعض الخيوط. أما النشاط التجاري داخل المنطقة فيجري داخل الأسواق الأسبوعية،

وأغلبها ما يزال إلى يومنا هذا. وكان لكل عرش تقريبا سوقه، فمثلا سوق الخميس بالشقفة لبني يدر، وسوق الجمعة لبني حبيبي، وسوق السبت لبني فتح وبني عيشة، وسوق الثلاثاء بالميلية لأولاد عيدون، وسوق الاثنين بالطاهير لبني سيار، وسوق الثلاثاء بأعالي الجبال الشرقية لأولاد عسكر، وسوق مدينة جيجل لبني قايد. ونفس الشيء بالنسبة لبقية الأعراش.

وفي هذه الأسواق الأسبوعية تقع المبادلات التجارية. إذ تباع فيها العديد من المصنوعات اليدوية - سالفة الذكر - والحيوانات والفائض من المنتوجات الزراعية مثل زيت الزيتون والخضر والفواكه وأنواع الحبوب التي تأتي بها القوافل (من القبلة)، أي من الجنوب الشرقي الذي يسمى أيضا السرا، كما تباع فيها المواد المستوردة كالأقمشة القطنية والحريرية والقهوة والسكر التي يأتي بها تجار مدينة جيجل إلى جميع الأسواق الأسبوعية.

د – الحياة الفكرية والاجتماعية والحضارية

من خلال الشيوخ الذين عايشنا أواخر حياتهم في النصف الاول من القرن العشرين الذين عاشوا هم بدورهم النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان بينهم من شاهد ثورة المقراني سنة 1871 في منطقة جيجل، كنا نسمع حكايات من أفواههم عن تلك الفترة التي عاشوها بعد ثورة المقراني، في بداية استقرار الأمور للعهد الفرنسي، لأنها تعتبر آخر ثورة مسلحة كبيرة.

فمن تلك الحكايات سلوكاتهم اليومية وممارستهم للشعائر الدينية صرنا نعرف المستوى الفكري الذي كان يسود المنطقة في نهاية العهد العثماني فيما يخص الفكر الديني، فإننا نجده فكرا خرافيا يسيط عليه رجال الطرق الصوفية. ولذلك نجده يؤمن بكل شيء، فحتى قمم جبال المنطقة تعتبر مقدسة.

فأعراش بني يدر وبني معمر وبني صالح وبني حبيبي يقدسون قمة جبل سدات ويسمونها "لالا سدات" (60)، وأعراش بني عافر وجيملة وبني عمران وبني خطاب يقدسون قمة "سيدي وشاك" الجبلية (61)، وكانت تلك القمم تنظم لها الزيارات سنويا وتذبح لها الذبائح، وتقام فيها الزردات، كما كان لشيوخ الطرق الصوفية المعروفة في
المنطقة شأن خاص فيستغيث الناس بأسمائهم في الأوقات الحرجة بدلا من اسم الله. فمثلا يقولون: ياسيدي عبد القادر الجيلاني (62) استرني أو ياسيدي عبد الرحمن انقذني (63)، كما تكثر في المنطقة المزارات، فكل عشيرة أو دشرة لها مكان تسميه الصالحين تزوره وتذبح له الذبائح ويطلق عليه اسم سيدي إذا كان ذلك الصالح ذكرا،

وإذا كانت امرأة صالحة يطلق عليها اسم لالا، مثل "لالا تاورارت" أو "لالا سدات" أو "سيدي
"سيدي مسعود" أو" سيدي عبد العزيز" ..الخ.

وإذا سألت أي واحد منهم عن الخلفيات التاريخية لهؤلاء الأولياء الصالحين اجابوك بأنهم وجدوا آباءهم هكذا يفعلون. كما كانوا يؤمنون برجل الوقت الذي يظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا.

والخلاصة أن فكرهم الديني أو عقيدتهم تمثل خنيطا من الرواسب التي كان يبثها في أوساطهم دعاة الدول التي قامت بالقرب من المنطقة، كالدونة الفاطمية الشيعية والدولة الحمادية الشيعية ثم السنية، والدولة الموحدية السنية. ونجد في فكرهم العقائدي بعض الرواسب مما كانوا يعتقدون قبل اعتناقهم الإسلام. من وثنية ويهودية ومسيحية، بدليل تقديسهم لقمم الجبال وذبح الذبائح (64).

وقد استمر بقايا هذا الخليط الفكري إلى بداية ثورة نوفمبر1954. وعلى الرغم من المجهودات التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين في توعية الناس ومحاربة الفكر الخرافي، إلا أن رواسب هذا الفكر ما تزال إلى اليوم في المنطقة وفي جميع أنحاء الوطن.

هذا فيما يخص الفكر الديني الذي كان يسود منطقة جيجل في أواخر العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي. أما الفكر الدنيوي أو الإبداعي فلم نعثر على شيء مكتوب خاص بمفكري مدينة جيجل أو إقليمها الجغرافي في أي مجال من مجالات المعرفة الإنسانية سواء أكانت دينية أو أدبية أوتاريخية، وحتى في مجال الشعر الملحون الذي تشتهر به الأرياف الجزائرية، فلم نعثر على أي أثر لشاعر نبغ في المنطقة وردد الناس أشعاره. ولهذا لا نجد في معاجم الأعلام لذلك العهد من تاريخ الجزائر أي شيء عن أي عالم ينسب إلى مدينة جيجل، وهذا على عكس القلاع أو الثغور الساحلية الأخرى التي تشبهها. فنجد على سبيل المثال من ينسب إلى القالة وإلى تنس، وحتى القل نجد أحد بايات قسنطينة ينسب إليها، وهو أحمد القلي الذي عمل بايا على قسنطينة بين سنوات 1756 - 1771م.

أما الجارة الغربية لجيجل، بجاية، فنجد العشرات من العلماء الذين ينتسبون إليها. ونفس الشيء بالنسبة لإقليم جيجل الجغرافي، فلا نجد أي اسم ينسب إلى مناطقها أو إلى قبائلها. وهذا أيضا عكس منطقة القبائل الصغرى أو الكبرى المجاورة لها من الناحية الغربية، إذ نجد فيها الورتلاني الغبريني وغيره، وحتى الأماكن المعزولة النائية نجد من نسب إليها مثل المشدالي نسبة إلى مشدالة التي تقع قرب مدينة البويرة.

والتفسير المنطقي لهذا الفراغ الفكري أثناء العهد العثماني او قبله لمنطقة جيجل، ربما يعود إلى الهجرات المتتالية للفئات الحية الواعية من رجالاتها. وأول هجرة جماعية لعناصر هذه الفئات كانت نحو المشرق بعد قيام الدولة الفاطمية في القرن العاشر الميلادي (65) التي بنت حينذاك مدينة القاهرة والجامع الأزهر بمصر. أما الهجرة الثانية فكانت نحو الجزائر العاصمة في القرن السادس عشر التي أسس بها خير الدين العهد العثماني (66)، كما يعود سبب الفراغ الفكري إلى موقع المنطقة الجبلي الذي يعتبر في مفهوم الجغرافيين طاردا للسكان، ولهذا يهجرها الرجال الطامحون إلى المجالات الأوسع. وقد ذكر الفرنسيون في تقريرهم الخاص بقبيلة بني يدر(67) بأنهم يهاجرون كثيرا إلى قسنطينة وغيرها.

هذا فيما يخص انعدام الإنتاج الفكري المكتوب، سواء أكان متعلقا بعلوم دينية أو لغوية أو أدبية او تاريخية أو غيرها. والمنتوج الوحيد الذي كان شايعا بالمنطقة هو الشعر الملحون الذي يتغنون به في أفراحهم وأحزانهم وحروبهم. فهو متوارث بينهم يتناقلونه شفاهيا، ولا أحد يعرف قائله، ويتناول جميع الاغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي مثل المدح والهجاء والغزل والرثاء والنواح على الأموات والحماسة وغيرها. ونجد بعض المقاطع منه معروفة على المستوى الوطني مثل المادئح الدينية، كما نجد البعض منه معروفا على مستوى الشرق الجزائر، ولكن أغلبه محلي؛ لأنه يستعمل في أدائه اللهجة المحلية، وبقاياه ما تزال إلى يومنا هذا في كلماته وألحانه. وقد سجل البعض منه شارل فيرو في بحث نشره سنة 1863 في المجلة الأفريقية تحت عنوان "غناء قبائل ناحية جيجل" (68). وقد نشر منه أكثر من مائتي مقطع منها مثلا الخاص بمدح أهل العروس أثناء أخذها من بيت أبيها:

أشعلوا المصباح والزيت من البطة   أحباب لا لا لابسين الفضة (69)
اشعلوا المصباح نشوف الحالة   احباب لا لا ذ الذهب شعالة
سلامنا على باب الحوش   أحباب لا لا رافدين الكابوس
سلامنا على الوثول   أحباب لا لا كلهم فحول (70)

كما نشر أكثر من خمسين مقطعا خاصا بالمعارك الحربية، وتظهر فيها اسماء بعض الاعراش والعشائر، كما تظهر فيها أسماء بعض القياد المعروفين بقتالهم للفرنسيين بعد احتلالهم للمنطقة مثل بورنان بن عز الدين ومنها مثلا:

داك اليوم مشهود في بوالزان   تخلطت العساكر دي محمد بورنان (71)
الحملة مشت كالوديان   أولاد عيدون يضربو كيف العقبان (72)
البارود دا العجاجة والطايحين كيف الريش   اللي خواف يارجالة من الدار ما يجيش

أما الخاصة بالأموات فهي كذلك نشر منها اكثر من أربعين مقطعا، ومنها:

قلـبـي ورم قـد الـطـوبـــــة   غبني على فلان خلا المرة مخطوبة
النمرة تزهر وتكسر في عوادها   غبني على فلان اللي ما عاش يصطادها
البقرة ترعى في اعواد الدار   غبني على فلان خرجوه كالباي من الدار

فيما يخص هذه المقاطع من الشعر الملحون التي أوردها شارل فيرو والتي تشير إلى بعض الوقائع التاريخية مثل : داك اليوم مشهود في بوالزان، تخلطت العساكر على محمد وبورنان، يمكن إيراد ملاحظتين: الملاحظة الأولى هي أن بعض المقاطع تشير إلى معركة مجهولة الزمان والمكان، ولكن المشاركين فيها معروفون.

وبرجوعنا إلى جريدة المبشر الصادرة يوم 15 ماي سنة 1853 نعرف مكانها على ضوء هذا الخبر المنشور حينذاك، وهذا نصه: "هجم بورنان بن عز الدين قائد أولاد عيدون على شيخ بني توفوت، لأنه أخفى عندو رجلين قتلا شيخا.

اما الملاحظة الثانية فتتعلق ببقاء بعض مقاطع الأفراح إلى بداية الثورة سنة 1954، وربما ما تزال إلى يومنا هذا عند عجائز المنطقة، وعلى الأخص المقاطع الخاصة بمدح أحباب العروسة. فقد كانت تؤدى بالطريقة التي كانت تؤدى بها في العهد العثماني، وكان أهالي المنطقة يطلقون على ذلك الغناء بـ (غناء الوزنات)، أي الغناء المصاحب لموكب العرائس، لأن السير في موكب العرائس في الأرياف الجزائرية قبل الثورة كان يتم على الأقدام ، والعرائس تحمل على البغال، وليس بالسيارات كما هو اليوم. وكانت المواكب في أغلب الأفراح تنطلق ليلا من دشرة العروس إلى دشرة العريس، ويشارك فيها تقريبا جميع رجال ونساء الدشرة، وعندما يقترب الموكب من منزل العروسة تتغنى بذلك الغناء القديم أربع نسوة: اثنتان اثنتان مع رقصة خاصة بذلك الغناء في رحبة المنزل أو بداخله. وهاهي المقاطع التي تغنيها النسوة، وهي تشبه مقاطع العهد العثماني:

اشعلوا المصباح ونا عييت عييت   أحباب لالآ ضربو الضيا في البيت
اشعلوا المصباح والزيت على راسي   أحباب لالآ ذا الترك خلاصي

أما الجانب الاجتماعي والحضاري فقد بقي سكان المنطقة على النمط الذي وصفهم به ابن خلدون في القرن الخامس عشر الميلادي بقوله فهم " مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو من الشجر أو الطين والحجر" (73)، وقد استمر هذا النمط في المسكن والملبس إلى بداية الحرب العالمية الثانية في أغلب سكان المنطقة بدون إبداع أو اقتباس أو تقليد، وكان أغلبهم فقراء، يتكون مجتمعهم من طبقتين فقط:عامة الناس، والمرابطون. وأغلبهم شيوخ أعراش وعشائر، وكانت الطريقة الرحمانية سالفة الذكر تتحكم في سلوكاتهم اليومية، وكانت المرأة تعمل إلى جانب الرجل في جميع النشاطات الفلاحية.

أما مدينة جيجل فهي الوحيدة بالمنطقة خلال العهد العثماني التي كانت حسب الرسامين الفرنسيين الذين رسموها بعد احتلالهم لها سنة 1839 عبارة عن لسان صخري يمتد داخل البحر الذي يحيط بها من الجهات الثلاث: من الشمال والغرب والشرق، ولا تتجاوز مساحة المدينة هكتارين. وقد بقيت طيلة تاريخها الطويل عبارة عن قلعة عسكرية.

وكان عدد السكان الذين وجدهم الفرنسيون لا يتجاوز ألفي نسمة. وتعود أغلبية أصولهم إلى الأمم التي تبادلت احتلال المدينة منذ العهد الفينيقي حتى العهد العثماني. وكانوا حسب السياق التاريخي يتأقلمون مع كل محتل، لأنهم كانوا دائما قليلين. وكل المقاومات التي كانت تظهر لتحريرها تأتي من خارج المدينة.

وكان الطابع العام الذي ميز سكان المدينة في أواخر العهد العثماني بصفة عامة هو الطابع الأندلسي التركي (74). ويظهر هذا واضحا في لهجتهم وملبسهم. وكانوا منغلقين على أنفسهم ويطلقون على السكان المحيطين بالمدينة الكبايل (أي القبائل)، وكانت العلاقة الوحيدة بينهما تقتصر على المعاملات التجارية داخل الأسواق الأسبوعية التي تقام داخل المدينة أو خارجها.

أما العمران الذي يقاس بآثاره التطور الحضاري للأمم والشعوب أو المناطق الجهوية التي تخضع للدراسة التاريخية، فإن المنطقة التي نقوم بالبحث في تاريخها لم يبق من عمرانها شيء يذكر، سواء أكانت مؤسسات عسكرية مثل القلاع والحصون التي عادة ما تبقى في المواقع التي تشبه جيجل أو مؤسسات دينية مثل المساجد والزوايا، فلم نعثر على شيء لا داخل المدينة ولا خارجها، فهي المنطقة على مستوى الشمال الجزائري كله التي لم يبق فيها أي معلم أثري يعود إلى العهد العثماني، حسب ما توافر لدينا من معلومات.

ففيما يخص عمران المدينة وقلاعها العسكرية، يدعي الفرنسيون بأن زلزال سنة 1856 قد هدم أغلب منازلها، وما بقي منها أزالوه وبنو مدينة جديدة خارج الصخرة. وقد وصفوا المنازل التي كانت موجودة في المدينة قبل وقوع الزلزال بأنها كانت بسيطة، وأهمها المسجد الوحيد الذي كان يقع بداخل المدينة (75)، بالإضافة إلى ست زوايا (76).

اما المؤسسات الدينية التي كانت خارج المدينة، مثل الزوايا التي كان بعضها عبارة عن مؤسسات تعليمية، مثل زاوية مولا الشقفة، فقد محاها الفرنسيون من الوجود سنة 1871، وسوف نتعرض لهذا الحدث لاحقا.

وهكذا، فبسبب الزلزال والفرنسيين أصبحت المدينة وإقليمها الجغرافي بدون معالم أثرية في المجال العمراني.

والخلاصة التي انتهينا إليها بعد الجهود الشاقة التي بذلناها في البحث عن المصادر المكتوبة والتراث الشفاهي المتداول وخرائب مدينة جيجل هي، ان الإنتاج الفكري والحضاري محدود جدا في منطقة جيجل، ولا يجد الباحث ما يقوله سوى وصف الواقع كما هو. والعزاء الوحيد هو أن المنطقة في الميدانين الفكري والحضاري لا تختلف عن أغلب المناطق الريفية للشمال الإفريقي كله.

هـ - إدارة منطقة جيجل خلال العهد العثماني

لم نعثر في المصادر الفرنسية أو العربية التي استطعنا الاطلاع عليها على الطريقة المفصلة التي أدارت بها السلطة العثمانية إقليم جيجل قبل القرن الثامن عشر سوى بعض الملامح العامة التي عرف بها النظام العثماني لإدارة الأرياف الجزائرية بصفة عامة وهو: إسناد سلطة الأمن المحلي وحراسة طرقات القوافل التجارية والمسافرين

وجمع الزكاة وأنواع الضرائب إلى رؤساء القبائل أو المرابطين.

ونتيجة لذلك تكونت على مر الزمن شبه إمارات محلية ريفية تتوارث الحكم مثل إمارة المقراني بمجانة وبن عاشور في فرجيوة، وبن عز الدين في زواغة وغيرها. أما المدن وعلى الأخص المدن الساحلية فقد كان العثمانيون يضعون بها حاميات عسكرية لفرض هيمنة الدولة في المدينة وفي إقليمها الريفي. وقد كانت حامية جيجل ضئيلة لا يتعدى عدد جنودها المائة.

هذا قبل القرن الثامن عشر بالنسبة لمنطقة جيجل الغربية، ولكن خلال هذا القرن ظهرت الأهمية الاقتصادية لغاباتها وعلى الأخص شجر البلوط والزان الذي يشبه في قوته وصلابته الحديد في غابات بني فوغال بجبال بابور، وعلى الأخص لصناعة السفن وبناء المنازل (77)، بالإضافة إلى استغلال بقية الأشجار للقوقود وأغراض أخرى. وللتحكم في هذه الثروة الطبيعية الهامة بطريقة سليمة ومباشرة عين الداي علي باشا (78) في أواسط شوال (1168) الموافق لجويلية (1755م) الحاج أحمد المكي أمقران حاكما على مدينة جيجل، لأن هذه الشخصية تنتسب إلى عائلة عريقة ومعروفة بتأثيرها الديني والسياسي الواسع جنوب وشرق مدينة بجاية. وكان يمتد ذلك التأثير إلى الإقليم الشرقي لمدينة جيجل.

ونظرا لاتساع وأهمية المنطقة الغابية التي تغطي هضاب وسفوح الجبال الممتدة من بجاية إلى القل، فقد عينت السلطات العثمانية بالجزائر بعض الشخصيات الثانوية إلى جانب عائلة المقراني، وأسندت إليهم مهمة تقطيع الأخشاب

ونقلها إلى الشاطئ. فعينت بن فرحات على عرش بني ميمون وبن حبيلس على عرش بني فوغال. وبن عرعور على أعالي جبال بابور.

وهذه هي العائلات الأربعة التي ذكرتها المصادر الفرنسية التي اعتمدت عليها السلطات العثمانية بالجزائر لإدارة مدينة جيجل وإقليمها الجغرافي الغربي الممتد من وادي أغريون الى مدينة جيجل من سنة 1775م الى بداية الاحتلال الفرنسي لمدينة جيجل سنة 1839. وقد بقيت تلك العائلات تتوارث الحكم واستغلال الغابات (79) طيلة أواخر العهد العثماني، واستمر بعضها في توارث منصب قائد الدوار أثناء العهد الفرنسي إلى سنة 1954، مثل عائلتي المقراني وبن حبيلس. فبالنسبة للأولى، وجد الفرنسيون سنة 1839 بعد احتلالهم لمدينة جيجل سي الطاهر المقراني كحاكم ومرابط لمدينة جيجل، وهو من سلالة أحمد المكي المقراني. أما بالنسبة للثانية، فقد وجد الفرنسيون سنة 1830 في مدينة الجزائر بعد احتلالها عمر بن حبيلس على رأس وفد هام من سكان سواحل خليج بجاية وجبال بابور ليشتكي من بكري اليهودي الذي تماطل في دفع مستحقات الأخشاب التي أخذها من السواحل. لانه احتكر في السنوات الأخيرة من العهد العثماني هذه التجارة.

هذا فيما يخص رجال إدارة مدينة جيجل وإقليمها الغربي، أما إقليمها الشرقي فقد تعامل الفرنسيون كذلك مع الرجال الذين وجدوهم يحكمون المنطقة في أواخر العهد العثماني وهم على درجتين فمن حكام الدرجة الأولى: المرابط مولا الشقفة الذي كان يشرف على عدة أعراش في ناحية الشقفة (80). وبن عاشور في فرجيوة الذي تمتد قيادته إلى أعالي جبال مدينة جيجل (81). وبن عزالدين في زواغة (82)الذي يمتد نفوذه شمالا إلى أولاد عيدون بالميلية .

أما رجال الدرجة الثانية الذين تعاملت معهم الإدارة الفرنسية فمنهم : بن شاطر (83) وبن منيع في تاكسنة (84) وبودور في بني حبيبي والشيخ طوبال في اولاد عواط. أما غيرهم مثل: بني بلعيد وبني فرقان وأولاد عطية وبني توفوت. فكانت المصادر الفرنسية التي اهتمت بمنطقتهم في بداية الاحتلال (1839 – 1860) مباشرة لا تذكرهم إلا بشراسة مقاومتهم للمحتل بقيادة المرابطين الذين لم يشتهر أي واحد منهم، فكانت تذكرهم باسمهم الصغير أو بصفة (البوهالي) أي الدرويش. ولهذا لا نعرف العائلات التي ينتسبون إليها، وكانت تلك المصادر تتهمهم بالتعصب والعصيان وباستقلالهم عن السلطة العثمانية، ولذلك لم تخضع لهم منطقة الميلية إلا بعد سنة 1860 أي بعد احتلال مدينة جيجل بواحد وعشرين سنة. بعدما شيدوا مركزا عسكريا ثابتا يعد النواة الأولى لمدينة الميلية الحالية. وبعد تمركزهم، استعانوا بقياد

عائلة بن نيني الذين يحكمون اغلب اعراشها. وسنعود إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصول القادمة.

هذه هي الخلاصة العامة للرجال الذين كانوا على راس الادارة المحلية لمدينة جيجل وإقليمها الجغرافي. وقد ركزنا فيه على الجانب البشري. اما كيفية التسيير الاداري. فقد تعايشنا مع بقاياه الى سنة 1962، لأن الاستعمار حافظ على كل سلبياته الى غاية رحيله. مثل اختزال واجبات الدولة في جمع الضرائب والمحافظة على امنها. وتوارث المناصب القاعدية كالقياد على الدواوير والوقافين على المداشر، كما سنتعرض له لاحقا.

اما علاقة السلطة العثمانية بالجزائر أو سلطة الباي بقسنطينة بأولئك الحكام فلم نعثر في سياق بحثنا على اية وثيقة إدارية مكتوبة تشير إلى نوعية تلك العلاقة، مثل تعيين خلفاء للباي أو تعيين قياد الدواوير أو شيوخ الأعراش أو القضاة أو المفتيين، وهذا على عكس مدينة جيجل وإقليمها الغربي سالف الذكر، ولهذا كان الفرنسيون يوكدون استقلالهم التام عن بايات قسنطينة ودايات الجزائر. ولكن الحقيقة التاريخية المستنتجة من مواقف هؤلاء السكان أن هذا الاستقلال يعد نسبيا، لأنه يقتصر على رفضهم دفع أنواع الضرائب، لأن منطقتهم جبلية وفقيرة. أما بقية السكان. فكانوا يعترفون بالسيادة العثمانية، لأنهم يشاركون بحماس في الدفاع عنها عندما تتعرض للغزو الخارجي. وأكبر دليل على ذلك الدفاع هو مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة سنة 1839.

هوامش: الفصل الثالث

(1) يحي المازوني نسبة إلى مدينة مازونة في جبال الضهرة شمال غرب مدينة الشلف. وكتابه يسمى "الدرر المكنونة في نوازل مازونة".

(2) نفس المرجع ص 31 عن كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي"ج1 للدكتور أبو القاسم سعد الله.

(3) هو السلطان أبو عبد الله الحفصي الذي حكم تونس ما بين سنوات 1495 – 1526، وكانت الدولة الحفصية في أواخر تفككها وانحلالها بسبب الفوضى الداخلية واحتلال الأسبان لمرافئها الساحلية.

(4) كانت الجزائر حينذاك مقسمة من شرقها إلى غربها إلى إمارات صغيرة أو إقطاعيات تتوارث فيها الحكم العائلة الأقوى، فكانت مدينة الجزائر حينذاك تحكمها أسرة التومي.

(5) أبن القاضي. حاكم إمارة جبل كوكو الواقع جنوب برج منايل.

(6) السلطان سليم: هو سليم الأول الملقب بياوز سلطان، حكم الإمبراطورية العثمانية بين سنوات 1512 – 1520م.
ويعد من السلاطين الأقوياء، ففي عهده ضمت مصر وبلاد فارس إلى الإمبراطورية العثمانية.
وهو أبو السلطان سليمان القانوني.

(7) في سنة 1521م سمح خير الدين لخمس سفن مملوءة بالمهاجرين الأندلسيين بالانزال في مدينة جيجل بعدما منعها ابن القاضي حاكم مدينة الجزائر بالإنزال هناك، وأجرى لهم جرايات شهرية، كما أعطى أراضي البور للفلاحين لاستصلاحها.

(8) عرفت هذه الفترة في المصادر التاريخية بعهد الأغوات الذي لم يدم طويلا (من 1660 – 1671)، فخلال تلك الفترة القصيرة شغل منصب الأغوية خمس أغوات وهم: خليل أغا - إبراهيم أغا - رمضان آغا - شعبان آغا وعلي آغا، والأربعة الأوائل هم الذين قتلوا أو سجنوا.

(9) توجد رسالة في أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس بعثها إسماعيل باشا إلى لويس الرابع عشر تؤكد التآمر.

(10) المصدر سالف الذكر ص 168.

(11) من هولاء المورخين عزيز سامح البتر في كتابه " العثمانيون بالجزائر" ص 394، ترجمة علي عامر.

(12) المصدر السابق ص 168.

(13) الاتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية . المرجع السالف الذكر ص 395.

(14) المصدر السالف الذكر ص 159 وما بعدها.

(15) تقرير نشر في شهر جويلية 1835 ، عدد 1399.

(16) تقرير نشر يوم 25 أكتوبر 1891 عدد 1032

(17) سيدي عبد الله وسيدي السعدي كانا معروفين في اعراشهما بني يدر وبني عافر. إذ كان الناس يحلفون برأسيهما فيقولون: "وراس سيدي فلان إلا كذا وكذا".

(18) الدكتور سعيدوني أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الجزائر.

(19) مجلة الثقافة / وزارة الثقافة عدد 78 نوفمبر - ديسمبر 1983.

(20) بقي سكان منطقة جيجل يثقون في كل غريب يحط بينهم ويدعي الكرامات ولو كان مختلا عقليا إلى بداية الثورة سنة 1954، وربما هي باقية إلى اليوم، فما زلت اتذكر عندما حط غريب في وسطهم حوالي سنة 1939 قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، إذ نصب خيمته على ضفاف وادي الشقفة بجانب السوق الأسبوعي الذي يلتئم يوم الخميس من كل أسبوع. وادعى بأنه طبيب مغربي يشفي جميع الأمراض. وبسرعة البرق تناقلت اخباره اعراش المنطقة وأصبحوا يتوافدون عليه من كل جهة وعلى الأخص يوم السوق، وصار الناس لا حديث لهم

في تلك الأيام إلا الدعايات المجانية لبراعته في مداواة الناس وشفاء كل من لمسه بيده، وبعد شهر اختفى وكأن الارض ابتلعته، لان حيله بدأت تظهر. وبعد اختفائه صار كل واحد منهم يحكي كيف احتال عليه، ورغم ذلك فهم لا يتفطنون.

(21) الزياني : محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران: تقديم وتعليق الشيخ المهدي البوعبدلي ، الجزائر سنة 1979 ص 207.

(22) الشيخ المبارك: تاريخ حاضرة قسنطينة ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، الجزائر 1952 ، ص 13.

(23) لقد حاول بعض المؤرخين الفرنسيين بعد احتلالهم للمنطقة سنة 1839 إحياء موضوع ثورة ابن الاحرش وذلك بأسئلة شيوخ المنطقة من الأعيان الذين عاشوا أحداث تلك الثورة، واهمهم شارل فيرو صاحب كتاب تاريخ مدينة جيجل الذي يقول في صفحة 186: "لقد عثرنا على حقيقة ابن الاحرش في الوثائق التي تملكها عائلة امقران الجيجلية وهي: أن الحاج محمد بن الاحرش من أشراف المغرب عينه السلطان في بداية القرن التاسع عشر (1801م)اميرا على قافلة الحج التي تنظم سنويا بالمغرب الاقصى وينضم اليها الحجاج الجزائريون والتونسيون والليبيون عند مرورها ببلدانهم، وعندما وصلت قافلة تلك السنة إلى مصر وجدت امامها الشعب المصري يقاوم الغزو الفرنسي لبلدهم بقيادة نابليون بونابرت، فنظم ابن الاحرش حجاج قافلته وانضم إلى المقاومة المصرية، وامتاز بالشجاعة وحسن التنظيم فعرفه الانجليز عندما كان يساعد المصريين في

إخراج الفرنسيين من بلدهم. وبعد نجاحهم في طرد الفرنسيين من مصر انتقل إلى تونس، ومن هناك تبدا مغامرات ابن الاحرش.

(24) لقد سبق لنا الحديث عن هذا الموضوع في فصل السكان وهو أدعاء اغلبية القبائل الجزائرية عامة وقبائل الشمال القسنطيني خاصة بان جدها الأول من أشراف المغرب أو حل في وسطهم شريف من أشراف المغرب.

(25) نقل صالح العنتري في كتابه "فريدة منسية" ص 70 الألفاظ التي تم تبادلها بين البلدية وأهل الريف اثناء الهجوم على مدينة قسنطينة سنة 1804م هكذا: حتى وصلوا أبواب المدينة وهم يصيحون الجهاد الجهاد آه يالبلدية. فأجابوهم ناس البلاد قائلين: يا معشر القبائل المغترين .

(26) مصطفى أنغليز: عمل بايا على قسنطينة ما بين سنتي 1798- 1803م، وكان سبب تسمينه بأنقليز وقوعه في أسر الإنغليز مدة عشر سنوات، بعد عزله وتحديد إقامته استطاع الفرار الى تونس .

(27) الباي عصمان عمل بايا سنة واحدة (1803 - 1804) وهو ابن محمد الكبير باي وهران، وقد مات مقتولا في نواحي الميلية

(28) مصطفى باشا: عمل دايا على الجزائر ما بين سنتي 1798 - 1505م، وكان يميل الى الفرنسيين اثناء الصراع الفرنسي الإنغليزي رغم ضغوطات الدولة العثمانية التي كانت تفرض عليه معادات الفرنسيين، ولذلك اعتذر للقنصل الفرنسي على ما يقوم به ضدهم وطلب منه سرية ذلك، وأن هذا العداء لن يطول.

(29) إن حساسيات رجال منطقة جيجل المفرطة تجعلهم يرون بان النفاق والتملق من خصائص رجال السلطة في جميع الأحوال، ولذلك نجدهم في مجالسهم الخاصة لا حديث يطيب لهم سوى عيوب وسلوكات رجال السلطة، وما زلت أتذكر أيام الاستعمار كرههم المطلق لمسلك القياد وبطانتهم، ولهذا شاركوا جميعا في ثورة 1954 - 1962 رغم الإبادات الجماعية التي تعرضوا لها، بالإضافة إلى حرق وتدمير كل مداشرهم، وكان الكثير من العمليات الثورية الاولى التي وقعت في منطقتهم ما بين سنتي 1954- 1956 ضد فئة القياد ومحيطهم، ونفس الشيء في عهد الاستقلال، فلا حديث لهم بعد سنة 1972 سوى تصيد عيوب رجال السلطة واندفاعهم وراء كل معارض لها ولرجالها.

(30) زاوية ابن الزيتوني: ربما كانت توجد ببني عمران السفلية في ناحية الامير عبد القادر.

(31) شارل فيرو: تاريخ مدينة الجزائر ص 195.

(32) شارل فيرو: المصدر السابق ص 196.

(33) المجلة الإفريقية لسنة 1859 ص 209.

(34) محمد الصالح العنتري: مجاعات قسنطينة ص 29.

(35) فايسات (Fayssette) المجلة الإفريقية 1858 ص 211.

(36) ناصر الدين سعيدوني: مجلة الثقافة المصدر السابق.

(37) يصف ابن العنتري في كتابه "فريدة منسية في دخول الترك قسنطينة" ... مراجعة وتقديم الدكتور يحي بوعزيز ص 70 بقوله: " في زمان ولاية عصمان ظهر الشريف بواد زهور وجاء معه كل القبائل كالجراد المنتشر من كون الشريف طمعهم بكلامه قائلا لهم: امشوا معي إلى قسنطينة ... حتى وصلوا إلى أبواب البلاد وهم يصيحون: الجهاد الجهاد، فانضرمت نار الحرب وصار النهار كالليل، وتراكمت الأحزان والوبلات ...وتمادى القتال بين الجانبين يوما وليلة، ثم فتح الله بالنصر القوي، وانهزم أصحاب الفتنة والبغي وولوا هاربين .."

(38) من المؤرخين الجزائريين العنتري والشريف الزهار، ومن الفرنسيين شارل فيرو وبربر قير وغيرهما، وخلاصة تلك الروايات هي:

1- اعتراف الباي بنصيحة مرابط بن بغريش شيخ بني صبيح وخلاصتها كره القبائل لابن الاحرش، وفي مقدور الباي إلقاء القبض عليه ببعض الفرسان فقط.

2- دهاء ومكر ابن الاحرش، اذ بعث للباي عندما كان يخترق عرش اولاد عبدون ببعض انصاره ليوهموه بانهم سيساعدونه لالقاء القبض على ابن الاحرش بسهولة، ثم قادوه إلى الكمين الذي اعد له مسبقا.

3- كبو حصان الباي في مستنقع. فاغتنم الفرصة المرابط الزبوشي وقتله بسيفه.

(39) عبد الله بن اسماعيل: عمل بايا على قسنطينة ما بين سنتي 1804 - 1806 ومات مشنوقا. ويختلف المورخون في سبب شنقه. فالبعض يقول بأن سبب قتله شنقا رفضه إعطاء المراكز التجارية الفرنسية بالقالة لانغلترا، كما امره داي الجزائر. والبعض الآخر يقول بأن سبب شنقه تدخل زوجته في إدارة البايلك.

(40) وطن الخشنة: منطقة شرق متيجة هي اليوم بودواو ومفتاح وخميس الخشنة.

(41) أنقل هذه الرواية حرفيا عن شارل فيرو بتحفظ عن كتاب تاريخ مدينة جيجل ص 208، عبا الباي عبد الله صندوقا بالمتفجرات وبعثه كهدية ثمينة الى ابن الاحرش مع سي الحسين شيخ عرش بني تليلان. ولكن هذا الأخير ظنه اموالا ففتحه فانفجر فيه فمات هو وأولاده.

(42) تضاربت أراء المورخين حول مصير ابن الاحرش بعد اختفائه من منطقة جيجل كما تكررت اخبار وفاته.

فقد اشيع اولا بانه قتل جنوب ميلة في خريف 1804 حيث شتت الباي عبد الله انصاره. ولكن في ربيع 1805م يظهر في بجاية على رأس حوالي ثلاثة ألاف مقاتل، محاولا احتلالها. ولكن وقوف عائلة المقراني إلى جانب الحامية التركية افشلت خطته. وبعدها أشيع بانه قتل قرب سطيف.

ولكن بعد شهور اخرى يظهر يقاتل إلى جانب ثوار الزاوية الدرقاوية بناحية وهران. وهنا قتل فعلا.

(43) يصف محمد الصالح بن العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة (ص 33) البوس والشقاء الذي عم المنطقة. فمن كثرة الهول واضطراب الرعية وموت الباي عصمان في وادي زهور، نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب، فإن أهل الأعراش قاموا على بعضهم البعض بالنهب والفساد، ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة وفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول وعز إخراجها وقل من ياتي بها الى الأسواق مخافة الضربات وقتئذ.

(44) الداي احمد باشا: عمل دايا على الجزائر ما بين سنوات 1805 – 1808م، وقد انتخبه الجيش الانكشاري يوم 30 مارس 1805م بعد اغتيال سلفه مصطفى باشا. ويمتاز بالحزم وسعة افقه وبغية القضاء على الفساد اعدم قائد الجيش الانكشاري سنة 1806م.

(45) شارل فيرو المصدر السابق ص 223.

(46) محمد أمقران: هو حفيد الحاج أحمد أمقران سالف الذكر.

(47) الرئيس حميدو: من رياس البحر الممتازين الذين اشتهروا في نهاية العهد العثماني. وكان جميع الدايات الذين حكموا الجزائر ما بين سنوات 1800- 1815م يحترمونه رغم المؤامرات والاغتيالات التي كانت تجري في قمة السلطة إلا ان الرئيس حميدو كان يخرج منها سالما وقد مات في معركة بحرية مع الأسطول الامريكي سنة 1815م.
وكان عدد البايات الذين عمل معهم خمسة (مصطفى باشا والداي احمد وعلي خوجة الغسال وحجي علي والداي عمر).

(48) شارل فيرو المصدر السابق ص 233.

(49) هذا نص رسالة الداي الى أعيان وشيوخ ومرابطي جيجل. سيدي محمد امقران هداه الله: لقد استلمنا رسالتكم وفهمنا مرادكم فيما يخص دونالي الذي فر اليكم واحتمى بكم. طلبتم منا العفو عنه وتركه يتمتع بالأمان، اعلموا بما أنه التجأ اليكم وصار تحت حمايتكم، فقد صار آمنا، فقد منحته الأمان ... ومن جهتكم هناك حاجة يجب ان تقضوها لنا لتكونوا عند حسن ظننا، وإن كنتم طائعين لنا هاهي الحاجة. المدعي بأنه ابن أخ ابن الاحرش الكائن حاليا في أعراش ناحية جيجل ، أنه كذاب وينشر الضلال ويودي بناس الأعراش الى الفوضى والضياع، فحاولوا قدر المستطاع أن تجدوا حيلة تساعدكم على القبض عليه.

الداي الحاج علي بن خليل 1809م

(50) في هذا الصدد يدعي الفرنسيون بأن الاراضي الخصبة التي كانت على ضفاف اودية سهل جيجل كانت غير مستغلة زراعيا أثناء العهد العثماني. حيث كانت عبارة عن مستنقعات مغطاة بالشجيرات والنباتات المائية، لأنهم لم يكتشفوا أهميتها الزراعية، وكانوا يعتقدون بصفة عامة بأن السكن في السهل غير صحي باستثناء القبيلة الصغيرة أولاد بلعفو.
أما الأعراش الأخرى فلا ينزلون من جبالهم إلى السهل إلا أثناء الحرث في الخريف أو أثناء الحصاد في الصيف مع قطعانهم من المواشي، وقد كانوا يسمون قراهم في الجبال مشاتي (جمع مشتاة) أي المكان الذي يقضون فيه فصل الشتاء. وقد بقيت بعض الاماكن في سهل جيجل تسمى بالمصيف أي المكان الذي يقضون فيه فصل الصيف، ولهذا يزعم الفرنسيون بأن السهل أثناء تعميره بالمستعمرات كان فارغا.

(51) للمزيد من المعلومات حول ما يملكه أعراش جيجل من حيوانات. يمكن العودة إلى فصل أعراش المنطقة من هذا الكتاب.

(52) من خلال الألقاب التي يحملها بعض الجزائريين اليوم، نستطيع أن نعرف المهنة او الصناعة التي كان يشتغل بها أجدادهم. وفي منطقة جيجل تكثر الألقاب التي تبدأ بـ "بو"، مثل بولقفف نسبة إلى صناعة القفف..الخ...

(53) ما يزال إلى اليوم في الناحية الغربية من ميناء مدينة جيجل خليج صغير يطلقون عليه اسم مرسى الفحم، لأنه كان يصدر من هناك.

(54) نشرت جريدة المبشر هذا الخبر في عددها 410 الصادر في يوم 12 جانفي 1864. كانت قافلة من الجنود متوجهة من قسنطينة الى جيجل في اوائل شهر ديسمبر 1863. ولما وصلت الى اولاد عسكر سقطت الامطار عليها ففاضت الوديان. فبادر السكان الى معاونة العسكر في قطع الوديان واوصلوهم الى برج الشحنة. فوجدوا هناك مؤونة ونارا واكلا ووقاية.

(55) كان طريق الشحنة هو الطريق السلطاني بين مدينة جيجل وقسنطينة. وهو مقسم الى ثلاث مراحل: شحنة بني عافر - بابنام - ميلة. وكان يوجد بكل محطة برج بمثابة فنادق اليوم واسطبلات للخيول والبغال. وكل احتياجات المسافر. وقد بقي كما كان عليه في العهد العثماني الى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وبسبب أحداث 8 ماي 1945 والصعوبات التي لا قاها جنود الاستعمار الفرنسي اثناء تنقلهم بين الدواوير الجبلية الثائرة لقمعها. قامت السلطات بتوسيعها لتصبح صالحة لسير الشاحنات العسكرية.

(56) لقد وجد الجيش الفرنسي يوم احتلاله لمدينة جيجل عدة مخازن تجارية استغلها كثكنات للجنود ومخازن للعتاد والتموين. كما عثر على 24 سفينة صغيرة راسية بمينائها صالحة كلها للملاحة: شارل فيرو. المصدر السابق ص 250.

(57) وكيل الحرج سيدي ابراهيم: هو القائد العام للقوات البحرية في عهد الداي حسين اخر دايات الجزائر (1818 - 1830م). وكان الهدف من تلك الرسائل الضغط على تجار مدينة جيجل وعلى سفن النقل بأن لا يبيعوا منتوجات المنطقة الغابية ومنتوجاتها الزراعية إلى تجار عنابة او تونس. بل يوجهونها الى الجزائر والا استعملت القوة ضدهم.

(58) لقد نشر شارل فيرو في كتابه سالف الذكر في صفحات 220، 221، 222، 224 نصوصا لاربع رسائل مترجمة إلى اللغة الفرنسية. وكانت في الاصل باللغة العربية. بعثها وكيل الحرج الى سي محمد امقران ما بين سنوات 1824 - 1828 ادعى الكاتب انه عثر عليها لدى عائلة المرابط أمقران. وهذه خلاصة اثنان منها":

الرسالة الاولى ... الى سيدي محمد أمقران مرابط مدينة جيجل. وبعد:

اعلمكم بأن رسالتكم وصلت وفهمنا ما فيها. تقولون لنا ان ملاك الشمع والجنود لا يسمعون لكم وينوون بيعها في عنابة... أخبرهم باننا كلفنا سفينة حربية تجوب سواحل جيجل وعنابة. فمن توجه إلينا بسلعه فله الأمان. اما من وجدناه متوجها بها إلى عنابة. فإن السفينة الحربية ستحجز سلعه ويعاقب بالأشغال الشاقة. كما تطلب من الفحامين جمع كمية كبيرة. واطلب من اصحاب السفن نقلها. وسندفع لهم ثمن نقلها. وسنشتري منهم القفة بعشرة موزونة.

كتبه سيدي ابراهيم وكيل الحرج سنة 1824م.

الرسالة الثانية: أرسلوا إلينا جملة سفنكم ولا تذهب اي واحدة إلى تونس. ومن يذهب بالشمع والجلود إلى تونس ما يلوم إلا نفسه. عجلوا بإنتاج الفحم وابعثوه إلينا مع ارباب السفن .

وكيل الحرج سيدي إبراهيم 1828.

(59) نشرت جريدة المبشر في العدد 17، ليوم 15 ماي 1848م هذا الخبر: قبائل بني فوغال وبني سكفال من جيجل أتوا بالأخشاب التي تصنع منها السفن.

الشاهد في الخبر المنشور ان بني فوغال مازالوا متمسكين ببيع الاخشاب. وإن تغيرت الأوضاع. ولكن الخبر بالنسبة للاستعمار هو تشجيع بقية الأعراش على الاتصال بهم. لأن المقاطعة مازالت مستمرة، وبقيت القوات المحتلة معزولة داخل تلك الثكنات مدة سبع سنوات (1839 - 1848).

(60) جبل سدات" يقع شرق مدينة جيجل ضمن السلسلة الجبلية الشرقية التي تحيط بسهلها، وهو أعلاها، إذ يبلغ ارتفاعه حوالي 1600 متر، ويشاهد من مدينة جيجل ومن جميع الاماكن الواقعة شرق الجبل مثل: بني حبيبي وبني عيشة . وقد نشرت جريدة المبشر في عددها 417 الصادر يوم 02 مارس 1863 خبر حريق وقع بالجامع الموجود في قمة جبل سدات جاء فيه: "اشتعلت النار بجامع لالا سدات في عرش بني يدر بجيجل. وقد كان الناس مجتمعين فيه بقصد الزردة، فأحرقت النار ثلاثة وعشرين شخصا مات ثمانية منهم. والباقي في حالة خطيرة".

(61) جبل سيدي وشاك: يقع ضمن السلسلة الجنوبية التي تحيط بسهل جيجل. وهو كذلك أعلاها، ويشاهد من كل مكان وارتفاعه حوالي 1800متر.

(62) سيدي عبد القادر الجيلاني: رغم أن ضريحه موجود ببغداد، إلا أن طريقته الصوفية كانت منتشرة في منطقة جيجل في العهد العثماني والعهد الفرنسي.

(63) سيدي عبد الرحمن: هو محمد بن عبد الرحمن الجرجري الزواوي. وقد لعبت هذه الطريقة دورا بارزا أثناء ثورة المقراني سنة 1871، وكان مقرها الرئيسي حينذاك بصدوق جنوب غرب بجاية. وكان لها فروع في جميع أنحاء منطقة جيجل، فكان لكل عرش زاويته الخاصة به، وهي تشبه الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والجمعيات الخيرية اليوم. فهي التي تؤطر السكان في خلايا محلية يطلق عليها اسم الخوان (أي الإخوان)، ولهم رتب مثل الشاوش، المقدم..الخ. ويستطيع هذا الأخير أن يؤسس زاوية في عرشه أو عشيرته أو دشرته. وأهم الزوايا التي وجدها الفرنسيون بالمنطقة هي: زاوية بن عرعور في جبال بابور. وبن شاطر في تاكسانة، وزاوية المقراني داخل مدينة جيجل. ومولا الشقفة في بني يدر. وبن فيالا في بني حبيبي، ومغريش في بني صبيح، وبن الزبوجي في نواحي بني خطاب الشرقية؛ وهذه الزوايا كلها اختفت من الوجود بعد ثورة المقراني ونسي الناس أسماءها.

(64) لقد كان امراء وحكام العهد الإسلامي وحتى دايات العهد العثماني يغرسون الدعاة في اوساط الاعراش الريفية لتعليمهم الدين الصحيح. ولكن هدفهم الحقيقي سياسي. وهو كسب الأنصار والمويدين لذلك الأمير او السلطان أو الداي. ولما كانت تلك الأعراش ما تزال افكارها بدائية، فقد كانت تتقبل كل ما يقوله لهم أولئك الدعاة الذين يجمعون بين الثقافة الشعبية والسيف والدهاء السياسي. وبعد موتهم تصبح قبورهم مقدسة، وتتوارث عائلته الدعوة الدينية والحكم؛ ولهذا كانت افكار عامة الناس متناقضة وخرافية وخليطا من الاعتقادات الدينية والمذهبية.

(65) يقول بن خلدون في كتابه العبر ج 4 ص 32: "رحلت الدولة الفاطمية إلى المشرق ومعها القوة الحية من سكان المنطقة الكتاميين".

(66) يقول عزيز سامح في كتابه "الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية" ص84: "خلال السنوات الخمس (1520 - 1525) التي قضاها خير الدين بجيجل استعاد قوته القديمة، إذ تمكن من تأ سيس قوة عسكرية جيدة من المتطوعين المحليين. وبها دخل مدينة الجزائر معززا مكرما".

(67) الجريدة الرسمية العدد 1399 شهر جويلية 1895، وقد ورد في التقرير ما يلي: رجال عرش بني يدر يهاجرون إلى قسنطينة منذ العهد التركي ويشتغلون في المخابز والمطاعم.

(68) المجلة الأفريقية العدد 6 جانفي 1863.

(69) البطة: الجرة

(70) الوثول غير معروف وربما ذكر هنا لمجرد الوزن

(71) بورنان: كان قاندا على عرش زواغة جنوب ميلة أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة سنة 1837.

(72) أولاد عيدون: من أعراش الميلية.

(73) مقدمة ابن خلدون، الباب الثاني الفصل الأول صفحة 121.

(74) أثناء استقرار خير الدين في جيجل ما بين سنوات 1520 - 1525 سمح بانزال سفن محملة بالمهاجرين الأندلسيين الفارين من جحيم الأسبان، كما التقطت سفنه المتجولة في غرب البحر الأبيض المتوسط الكثير منهم وانزلهم في المدينة، وقد خصص لهم جرايات شهرية، وبعضهم منحهم الأراضي لفلاحتها خارج المدينة.

(75) المسجد الوحيد بالمدينة حوله الفرنسيون خلال احتلالهم لها إلى مستشفى ميداني، حيث أقاموا فيه أكثر من مائة سرير.

(76) اسماء زوايا مدينة جيجل: سيدي ابراهيم بن حسن، سيدي علي المظلوم، سيدي عزوز، سيدي عقبة، سيدي النبي، سيدي ريحان.

(77) ما يزال الزائر لحي القصبة بالعاصمة الى اليوم يشاهد تلك الاخشاب في البناءات المنهارة او التي ما تزال قائمة، وهي باقية على حالها رغم القرون التي مرت عليها.

(78) علي باشا: هو الداي المعروف ببابا علي، عمل دايا على الجزائر ما بين (1754 – 1766). ويتضمن مرسوم التعيين ما يلي:

الحمد لله وحده، ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الحوال خصوصا قرية جيجل.

اما بعد: فإن حامله المعظم الأجل السيد الحاج أحمد المكي نجل القطب سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته آمين، أنعمنا عليه وقدمناه مرابطا بقرية جيجل. ولا يتعدى عليه احد من أهل النوبة ولا من يكسر عليه حرمة منا. ولوقوفه مع النوبة في اتيان الارزاق ولوجه جده المذكور ولطعمه الفقراء والمساكين (المصدر: المجلة الإفريقية العدد 70 سنة 1867 بقلم شارل فيرو). وللمزيد ، انظر كتابنا: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري.

(79) لقد اورد شارل فيرو في بحثه المشار إليه آنفا الطريقة التي كانت تقتسم عشائر بني فوغال والاعراش المجاورة لها استغلال الغابات. فكان اولاد خالد يقومون بقطع الاشجار وتهيئتها. ثم تقوم عشائر أولاد خزار وأولاد قاسم واولاد وارث وبني عيسى وبني معد بنقلها الى شواطئ تازة والمنصورية ورأس أوقاس.

(80) الاعراش هي: بني يدر، بني حبيبي، بني معمر، بني معزوز، بني صالح، الجناح، اولاد بالعفو، بني سيار،بني عافر.

(81) بني يجيس، جيملة، أولاد عسكر، أراس.

(82) بني خطاب وبني قايد الشرقيتان، وبني فتح وبني عيشة.

(83) بني قايد ، بني احمد.

(84) بني عمران ، بني خطاب الغربية.

الفصل الرابع

العهد الفرنسي 1839 – 1900

يعد العهد الفرنسي بالنسبة لمنطقة جيجل أغنى العهود السابقة من حيث المراجع والمصادر التي اهتمت بتاريخ منطقة جيجل خارج التاريخ الوطني. فقد الف الفرنسيون عدة كتب تاريخية خاصة بها.

ويعد شارل فيرو سالف الذكر المؤسس الحقيقي للكتابة عن تاريخ منطقة جيجل في العهود السابقة وعن تاريخ المرحلة الأولى من العهد الفرنسي الذي عايشها خلال السنوات (1839– 1870)، وعليه تناول من جاء بعده من المورخين الفرنسيين مثل (Retout) تاريخ جيجل الذي نشره حوالي سنة 1927 وكذا (Granger) التاريخ الجيجلي وغيرهما مثل (Marçais) الذي اهتم باللهجة الجيجلية.

هذه هي الكتب التي تعد المصدر الوحيد لمنطقة جيجل، و ساعتمد عليها فيما يخص بداية العهد الفرنسي والمقاومة الشرسة التي واجهته في العشر سنوات الأولى من احتلال المدينة رغم أنها بعيدة عن الموضوعية فيما يخص روايتها أو تحليلها للأحداث التاريخية سواء القديمة منها، وعلى الأخص العهد الإسلامي بما فيه العهد العثماني، أو الجديدة التي تخص بداية العهد الفرنسي. فمثلا تتفق تلك المصادر على وصف الذين قاوموا احتلال مدينة جيجل بالقبائل المتوحشة الذين يرفضون الحضارة الفرنسية ، وبالأعداء وبالمتعصبين، والموالين للاحتلال من الأهالي بالشرفاء المتحضرين. هذا فيما يخص المصادر الاستعمارية، أما فيما يخص أهالي المنطقة في هذا الميدان فليست لدينا أية معلومات تاريخية مكتوبة او موروثة، رغم الجهد الذي بذلناه مع ورثة بعض العائلات التي لعب فيها أجدادها دورا ما في بداية العهد الفرنسي، سواء بالموالاة مع الإدارة الاستعمارية الجديدة أو الذين قاوموها. ولهذا سنستعمل تلك المصادر الفرنسية بحذر شديد، لأنها في بداية تأسيس عهد استعماري جديد، فتلجأ إلى الكذب والتضليل وتزييف الحقائق. وقد قسمت عهدهم إلى ثلاثة مراحل رئيسية هي:

أ- المرحلة الأولى من العهد الفرنسي (1839 – 1851)

لقد سقطت الجزائر العاصمة يوم 5 جويلية 1830 بسهولة في ايدي القوات الاستعمارية الفرنسية كما هو معلوم، وتلتها مدن وأقاليم أخرى تتساقط كأوراق الخريف، وظهر للعيان هشاشة النظام العثماني الذي حكم الجزائر أكثر من ثلاثة قرون .

وقد بقيت مدينة جيجل تسع سنوات أخرى دون حكم مركزي. فقد انسحبت حاميتها العثمانية منها، ولا تذكر الكتب التاريخية التي اطلعنا عليها متى انسحبت والى أين اتجهت؟. وعلى الأرجح أنها انسحبت بعد احتلال العاصمة مباشرة. لأنها كانت تابعة لها.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت المدينة دون حماية عسكرية نظامية، وتركت أمرها وما يحيط بها من السكان في يد سي الطاهر أمقران مرابطها. وشيوخ الاعراش والعشائر لضبط الأمن والنظام الداخلي بقوة التاثير الديني وتجلة الشيوخ، ولكن هذا لا يكفي لزجر الأفراد وكبح جماح العشائر والأعراش لتضارب المصالح، ولهذا عرفت المنطقة بعض الأعمال الفوضوية لخلوها من قوة نظامية تستند الى الشرعية. ولتدارك هذا الامر عين احمد باي سي المكي أمقران (1) كحاكم مطلق لمنطقة بجاية وجيجل، ولكن بعد شهر أو شهرين من هذا التعيين سقطت قسنطينة عاصمة الولاية. وفر أحمد باي إلى الجنوب، ولذلك عادت المنطقة إلى الفراغ الذي كانت عليه. ورغم ذلك فإن شبانها كانوا ينظمون أنفسهم ويذهبون إلى قتال الفرنسيين أينما وجدوا، فقد شاركوا في معركة العاصمة سنة **1830**، كما قتل الكثير منهم في سنتي **1836** و **1837** في معارك قسنطينة قبل سقوطها، كما شاركوا سكان منطقة سكيكدة سنة **1838** بعد ما قرر الفرنسيون الاستقرار بها. ولكن بعد سنة من احتلال سكيكدة قرر الجيش الاستعماري احتلال مدينة جيجل ومواجهة الرجال الذين كانوا يذهبون لقتاله خارج منطقتهم.

1- احتلال مدينة جيجل سنة 1839

كانت للفرنسيين احقاد تاريخية على سكان منطقة جيجل تعود إلى كارثة الأسطول الفرنسي في مدينة جيجل بقيادة (d. De beaufort) سنة **1664** سالفة الذكر بدليل ان أول كلمة نطق بها قائد القوات الغازية النقيب (de salles) التي احتلت جيجل سنة **1839** هي: (لقد انتقمنا لك يابلوفورت) كما اطلقوا اسم دوكان- وهو من الضباط الذين شاركوا في تلك الحملة – على احدى المواقع الاستراتيجية التي استولوا عليها في ميناء جيجل في اليوم الأول، وهذه القلعة ما تزال إلى اليوم معروفة بهذا الاسم، وهي تابعة للقطاع العسكري. وتقع قرب فندق "كتامة" بجانب ميناء الصيد الجديد. كما أطلقوا اسمه على أول قرية استعمارية شيدت بمنطقة جيجل (قاوس الحالية). هذا فيما يتعلق بالاحقاد التاريخية القديمة، أما الأحقاد الجديدة. ففي شهر جانفي **1839** أي قبل احتلال المدينة باربعة اشهر جنحت سفينة فرنسية كانت تنقل التموين للقوات الاستعمارية الغازية لمدينتي سكيكدة وعنابة الى شاطى البحر قرب ميناء جنجن الحالية في أراضي قبيلة أولاد بلعفو الذين احتجزوا بحارتها كرهائن. وطلبوا فدية مقابل إطلاق سراحهم. وهذا ما جعل القائد العام للقوات الفرنسية لإقليم قسنطينة الجنرال ڤالبوا(Galboi) يكتب للمرابط مولاالشقفة التدخل لاطلاق سراح الاسرى. كما تدخل الأخوان عيسى ومسعود بوربون الرئيسان البحريان حينذاك للتوسط بين الطرفين.

وقد نجحا في تخفيض الفدية من ستة آلاف فرنك الى اربعة آلاف فرنك. واطلق سراح البحارة الفرنسيين. ورغم ان الحادثة مرت بسلام. الا أن القوات الاستعمارية الغازية جعلت منها سببا مباشرا للإسراع في احتلال المدينة. فبعد ذلك باربعة اشهر أمر القائد العام الجنرال ڤالبوا قائد منطقة سكيكدة باحتلال جيجل. وكانت الخطة التي وضعها مهاجمة المدينة في يوم واحد من الناحيتين البحرية والبرية. وكان من المقرر ان يجهز هو جيشا بريا يقطع به الجبال الواقعة ما بين قسنطينة وجيجل. حيث يصلها في الوقت الذي تبدأ فيه القوات البحرية التي تنطلق من مدينة سكيكدة في الانزال على شواطئ المدينة. وبناء على هذه الخطة خرجت يوم 12 ماي 1839 عدة سفن عسكرية ومدنية من ميناء مدينة سكيكدة تحمل على ظهرها اكثر من سبعمائة جندي وضابط بقيادة النقيب دو لاصال (DE SALLES). ومن بين ضباطه الصغار حينذاك سانت آرنو (2). وفي صبيحة يوم 13 ماي وصلت تلك القوات البحرية الى ميناء جيجل وشرعت في الإنزال، دون أن تنتظر القوات البرية التي كانت من المفروض ان تصل هي كذلك، وقد تم الإنزال واحتلال المدينة في ظرف اربع ساعات فقط دون مقاومة. لان سكان المدينة فوجئوا ولم يكونوا مستعدين للمقاومة في ذلك اليوم. ولذلك فضلوا الفرار وترك المدينة، ولم يبق فيها الا العجزة. ومن بين الذين تركوها سيد علي بن عبد الرحمن قاضيها وسي الطاهر أمقران مرابطها وحاكمها.

وكانت نقطة الإنزال شرق الميناء القديم في قلعة دوكان . وبعد الانزال شرع الفرنسيون في احتلال المواقع المرتفعة خارج أسوار المدينة، واطلقوا عليها في ذلك اليوم أسماء استعمارية مثل سان فردناند، والسانتوجان ودوكان وڤالبوا. وهذه المواقع الأربعة تقع في الوجهة البحرية الممتدة من صخرة المقبرة غربا إلى الملعب البلدي شرقا.

هذا فيما يخص القوات البحرية التي احتلت المدينة، أما القوات البرية التي يقودها الجنرال ڤالبوا التي كانت عازمة على اختراق الجبال والوصول الى جيجل في الوقت الذي يبدأ فيه الإنزال على شاطئ المدينة، فقد غيرت اتجاهها عندما وصلت الى ميلة. لان الجواسيس أخبروها باستحالة قطع الجبال في الوقت الراهن. لان سكانها كانوا عازمين على التصدي لها. ونتيجة لذلك تركت القوات البحرية الغازية القليلة العدد نسبيا لمصيرها، والاعتماد على نفسها في مواجهة المقاومة الشرسة التي ستتعرض لها.

2 – مقاومة الاحتلال

يعترف الغزاة الفرنسيون بشراسة المقاومة التي وجدوها بعد احتلالهم لمدينة جيجل منذ اليوم الأول، وعلى الأخص الفترة الأولى (1839- 1851) التي بقوا فيها محاصرين داخل أسوارها لا يخرجون منها إلا بقوات ضخمة للانتقام من السكان المحيطين بالمدينة مثل: بني قايد وبني احمد وبني عمران فيحرقون قراهم ويقتلون الرجال الذين يجدونهم أمامهم ثم يعودون إلى ثكناتهم داخل المدينة، ولذلك يحتار الباحث عندما يتابع يوميات الهجومات التي كانت تقوم بها أعراش منطقة جيجل لطرد الجيش الغازي منها، رغم الخسائر الفادحة في الأرواح التي كانت تتعرض لها تلك الأعراش في كل هجوم تشنه على المدينة وفي كل معركة تجري خارجها، نتيجة لاستعمال الجيش الغازي للأسلحة الحديثة من مدافع بعيدة المدى وسريعة الطلقات والبنادق من طراز 1839 التي يصل رصاصها إلى أكثر من 800 متر، بينما البنادق التي في أيدي رجال الأعراش التي تعمر من الأمام لا يتعدى رصاصها بضعة أمتار، ومع ذلك التفوق الواسع في مجال الأسلحة، استمرت المقاومة الدائمة في عنفها وشراستها مدة عشر سنوات كاملة. أما المقاومة المتفرقة فقد استمرت حتى ثورة المقراني سنة 1871، ورغم هذا كله، لم تتطرق الكتب الوطنية إليها أثناء تناولها لمقاومة المنطقة، مثل مقاومة أحمد باي التي تعد تاريخيا جزءا منها، لأن محركيها من وراء حجاب كانوا كلهم من المحسوبين على أحمد باي، مثل مولا الشقفة وبن عاشور في فرجيوة وبن عز الدين في زواغة، كما أنها لم تذكر في المقاومة غير المنظمة، ولذلك بقيت تلك المعارك والملاحم مجهولة إلى يومنا هذا في الكتب العربية. وقد ضاع حق أصحابها التاريخي، وهي ليست عفوية كما يتبادر إلى الذهن، فقد كان يخططها وينفذها رجال لا نعرف عنهم اليوم شيئا سوى ما يقوله عنهم أعداؤهم الذين قتلوهم، لأن أهدافهم ومطامحهم وغيرتهم على الدين والوطن دفنت معهم، كما لا نعرف وجهة نظرهم، ولماذا كانوا يضحون بأنفسهم في معركة غير متكافئة، وعلى دولة خذلتهم وسقطت بسهولة سنة 1830 دون مقاومة رسمية تذكر. ضحايا تلك المقاومة يفوق العشرين ألفا من الذين سقطوا في أطراف المدينة القديمة خلال الأربع سنوات الأولى من الاحتلال (1839- 1842)، ولذلك وجب علينا تتبع يومياتها من المصادر الاستعمارية المشوهة والمضللة.

لقد كان جيش الاحتلال يعتقد أنه لن يجد مقاومة، لأنه احتل المدينة بسهولة، وفر أغلب سكانها، لأنهم لا طاقة لهم على مقاومة جيش منظم ومجهز بأحدث الأسلحة، ولكنهم أخطأوا التقدير، فبعد الإنزال مباشرة بدأ السكان المحيطون بالمدينة بهجومات

يومية غير متقطعة على المواقع الفرنسية. وأحسن وصف لما عاناه الجيش المحتل من أموات ومشاق جسام في الأيام الأولى هو ما تضمنته رسائل المارشال سانت آرنو التي بعثها إلى أخيه يومي 14 و 18 ماي 1839، وكان حينذاك يقود فرقة صغيرة من اللفيف الأجنبي التي شاركت في احتلال جيجل. وهذا نص الرسالتين مع تصرف طفيف.

الرسالة الأولى: جيجل 14 ماي 1839

أخي ... دخلنا جيجل بسهولة دون طلقة رصاص، وبعد نزول غير موفق، لأننا لو وجدنا مقاومة لهلكنا. وسائل الإنزال تضررت وأصبحت غير صالحة للإنزال ... ألقيت بنفسي أنا وفرقتي في البحر، فوصلنا المدينة ... حاولنا أخذ مواقع على التلال المطلة على المدينة، ولكن تعرضنا لرصاص كثيف، مما أدى إلى قتل بعض جنودنا، لكننا احتمينا بالحجر والتراب ... لقد أطلقنا القذائف بالمدافع والرصاص بالبنادق طول النهار ... وظهرت لنا القبائل في حوالي 500 إلى 600 رجل. أما في الليل فقد تركونا في هدوء.

وفي الوقت الذي أكتب فيه (الساعة التاسعة صباحا) انحدرت الينا من الجبل صفوف كثيرة وقعت بيننا وبينها حرب طاحنة.

الرسالة الثانية:

من المركز المتقدم امام جيجل

18 ماي 1839

"آه .. يا اخي، منذ 13 ماي وأنا هنا ... أحداث وآلام موجعة، في كل الايام بدون استثناء. خمس وست ساعات متتابعة من المعارك الجبارة بيننا وبين أربعة آلاف رجل. هوجمنا من جميع الجهات وعلى كامل الخط الواسع، لقد أجبرنا على التسلح بالحراب التي استعملناها بحماس، وقمنا بأعمال مدهشة، وهذا فخر لنا.

فرقتي أزالت مواقع مغطاة بالقبائل التي كانت تصارع الموت جسديا تعض الارض وهي تموت وتضرب حتى جعلت فرقتي لا تتحكم في المعركة.

في يومي 15 و 17 ماي فقدت في المعارك 20 جنديا جوالا، ومساعدي الملازم الأول قد أصيب بجراحات.

هؤلاء القبائل هم الجنود الأكثر شجاعة في أفريقيا، ومنهم من جاء إلى مواقعنا فقتل على بعد 10 أقدام. جثة الأب سقطت وولداه قتلا فوق الجثة. باستثناء اقتحام قسنطينة، فإنني لم أر معارك أشد ضراوة من هذه التي قمنا بها. ومنذ 13 ماي لم أرقد ولم أنزع حذائي العسكري ولم أفك أزرار معطفي".

أول ملاحظة على رسائل سانت آرنو أنها كانت من الأسرار العسكرية التي لم يسمح بنشرها إلا بعد مرور عشرين سنة، أي بعد ما استقرت الأوضاع الاستعمارية نهائيا بالجزائر.

اما من حيث أهميتها التاريخية فهي غنية بالمعلومات الدقيقة الخاصة بالجانب الفرنسي. وأولها الاعتراف بالأخطاء التي ارتكبت في تنصيب وسائل الإنزال، وانه لو كانت المدينة مستعدة للمقاومة لهلك الجيش المحتل.

ولكن خروجهم من المدينة واحتلالهم لمواقع خارجها لم يكن سهلا مثل الانزال على شواطئها. فقد قوبلوا برصاص طيلة عشية 13 ماي.

كثرة المعارك وشراستها وارتفاع عدد الضحايا من الطرفين. ارتفاع عدد المهاجمين من يوم الى اخر. مما يعني أن مقاتلي الاعراش البعيدة بداوا يلتحقون باخوانهم القريبين من المدينة.

ذكر الخسائر التي تكبدها الجانب الفرنسي. والاعتراف بشجاعة مقاتلي الاعراش وتضحياتهم الجسيمة واندفاعهم نحو الموت.

ولكن الرسالتين لا تخلوان من المغالطة والتضليل والتعتيم فيما يخص الطرف الجزائري. فالمعلومات لا تعد الضحايا الذين حصدتهم المدفعية البعيدة المدى. والرشاشات والبنادق التي يصل رصاصها إلى 800 متر خلال الايام الخمسة الاولى من احتلال المدينة، وتجعل بدلا من ذلك كفاءة وشجاعة وبسالة الجندي الفرنسي هي التي حسمت الموقف وأبعدت المهاجمين عن المدينة. كما لا تذكر الاسلحة البدائية التي كان يستعملها الطرف الجزائري والمتمثلة في البنادق البدائية. فمن بين سطور الرسالتين نجد قول سانت آرنو "فرقتي ازالت مواقع مغطاة بالقبائل" وكذا قوله "جثة الاب سقطت وولداه قتلا فوق جثته".

وكذا استعمل الجيش الفرنسي اسلحة متطورة جدا بالنسبة لذلك الوقت. وربما رجال القبائل ما زالوا يجهلون مفعولها القوي. وعلى الأخص في تلك المعارك الأولية. بالإضافة إلى بساطة أسلحتهم واندفاعهم في صفوف أمام المدافع البعيدة المدى. فمن هذه المعطيات نستنتج الخسائر الفادحة في الأرواح التي تكبدها رجال الأعراش. فهي تفوق الألف وخمسمائة رجل في الايام الاربعة الأولى من احتلال المدينة. ورغم تلك الخسائر. فقد استمرت الهجومات على مواقع جيش الاحتلال ليل نهار طيلة العشرية الأخيرة من شهر ماي والعشرية الاولى من شهر جوان 1839. ونتيجة لتلك المعارك الشرسة ارتفعت خسائر الطرفين.

فالجيش الفرنسي المحتل ارتفعت خسائره إلى ما يفوق المائتين بين قتيل وجريح. ومن بين القتلى قائد فيلق المشاة هوران (Horain). أما رجال الاعراش فقد فاقت خسائرهم على الأرجح أربعة آلاف رجل.

ونتيجة لاشتداد المقاومة طلب قائد القوات الاستعمارية دو لاصال النجدة من القائد العام لاقليم قسنطينة ومن الحاكم العام بالجزائر. فارسل له الاول كتيبتين من ميناء

سكيكدة، كما أرسل له الثاني كتيبة من الفرسان وابراجا مصفحة خاصة بتحصين المواقع.

أما بالنسبة للجانب الجزائري فقد انضمت إلى الاعراش القريبة من المدينة جميع أعراش المنطقة الشرقية بمن فيهم أعراش الميلية مثل أولاد عيدون وأولاد عواط وغيرهما. ومن الوسط الشرقي مثل بن حبيبي وأولاد عسكر وبني يدر. ومن غرب المدينة بني فوغال والمنصورية وغيرهما. ولذلك اشتد الحصار على القوات الغازية رغم النجدات التي وصلتها، فقد كان المقاتلون يصلون إلى المواقع الاستعمارية الأمامية زحفا على بطونهم ويلحقون بهم خسائر حسب اعترافهم (3). ونتيجة لهذه الضغوط على الجانب الغازي قرر القائد العام لمنطقة جيجل لاصال يوم 8 جوان 1839، أي بعد الاحتلال بأقل من شهر، التخلي عن المواقع العسكرية الموجودة خارج أسوار المدينة وإدخال الجنود والأسلحة الثقيلة إلى داخلها للاحتماء بسورها بعد ترميمه وتحصينه، لأن الخطة الاستعمارية حينذاك تكمن في المحافظة على المدن الساحلية المحتلة بأي ثمن كان، لأنه لا يمكن للمقاومة حصارها من جميع الجهات، لأن البحر يحميها من الناحية الشمالية (4). ورغم الانسحاب من المواقع التي كانت خارج المدينة، إلا أن الهجومات الليلية استمرت ولم يصدهم عنها لا السور المحصن ولا المدافع البعيدة. بل كانت تزداد ضراوة كل يوم (5)، وهذا ما اضطر قائد القوات الغازية إلى التخلي عن العمل العسكري والبحث عن طرق أخرى تؤدي إلى الهدف نفسه، وهو تثبيت الاحتلال للمنطقة، لأن العمل العسكري لم يحن وقته بعد.

3 – العمل السياسي لاحتواء المقاومة:

بعدما فشل قائد القوات الفرنسية المحتلة في إخضاع السكان بالقمع العسكري التجأ بعد تحصنه داخل المدينة إلى العمل السياسي والحيل والخداع والتآمر وخلق الفتن بين العشائر، فأعطى أولا ضمانات لسكان المدينة بحماية أملاكهم واحترام دينهم، وذلك لترغيب الأعيان الفارين منها بالعودة إليها، كما طلب من رجال إدارة العهد العثماني السابق العودة إلى مناصبهم وعلى رأسهم القاضي سي علي بن عبد الرحمن، ولكنه رفض فعينوا مكانه سي الطاهر الفرڤاني (6) أما خارج المدينة فقد حاول مفاوضة شيوخ العشائر الصغيرة المحيطة بالمدينة مثل عشائر بني قايد وبني حساين على تموين الجيش المحتل بالثيران وبعض المنتوجات الفلاحية، فنجح مع شيخ عشيرة بني حساين سي عمار بن جمام الواقعة شرق مدينة جيجل، وفشل مع شيوخ بني قائد وبني احمد، كما حاول مفاوضة شيخ بني عمران بن منيع ومولا الشقفة شيخ بني يدر. ورفضا التوجه إلى جيجل كما طلب منهما (7).

وكان هدف القائد العسكري من كل تلك المحاولات خلق الفتن بين شيوخ الاعراش والعشائر، لأنه كان يعلم بان العرش أو العشيرة التي تقبل التعامل معه ستكون هدفا لجميع الأعراش. وهذا ما وقع فعلا لشيخ بني حساين سي عمار بن جمام في الشهرين الأولين من الاحتلال عندما كان يزود جيش الاحتلال بالثيران، فقد قامت ضده جميع الاعراش مثل بني احمد وبني عمران وبني قايد، ولكنه فر الى جيجل ليحتمي بالجيش المحتل، وكل هذه الإجراءات السياسية والعسكرية لم تكن كافية لصد الهجومات على المدينة، فقد استمرت طيلة العشريتين الأخيرتين من شهر جوان واكتفى الجانب الفرنسي بالدفاع فقط بواسطة قذائف المدافع التي تطلقها السفن الراسية قرب الشواطئ الشرقية، ومن المواقع العسكرية داخل المدينة. وكانت الخسائر مرتفعة وعلى الأخص في الجانب الجزائري بسبب تجمع واندفاع المقاومين والاقتراب من أسلحة العدو الحديثة التي كانت تحصدهم.

اما الجانب الاستعماري فقد ارتفعت خسائره أيضا بسبب الامراض الفتاكة التي أصابت جنوده، حيث قتلت اكثر من ربعهم خلال صيف 1839. ومن حسن حظهم ان المقاومين خففوا الهجومات النهارية لانشغالهم بالحصاد والدرس. ولكن بعد نهاية الصيف عادوا إلى الضغط على القوات الغازية.

4 – عودة المقاومة بأساليب جديدة

بعد انتهاء الصيف عاد المقاومون لمحاولة طرد المحتل من المدينة مع تغيير أسلوب القتال، إذ تخلوا عن قتال الصفوف. لان المدفعية كانت تلحق بهم خسائر فادحة. والتجأوا هم كذلك إلى الحيل والخداع ونصب الكمائن على اطراف المدينة للقوات الغازية، والدخول إليها كمتسللين . وبعد الخروج منها يقتلون حراس المداخل ويستولون على أسلحتهم. وقد تكررت هذه الاعمال الفدائية عدة مرات. وعجز القائد العسكري لاصال عن إيقافها.

5 – الانتقام من السكان

بعد ما فشل القائد العسكري لاصال في التغلب على المقاومة. تم تعويضه بالنقيب بيكولو (Picouleau). واول عمل قام به هذا الضابط هو الانتقام من السكان القريبين من المدينة، فخرج بقوة عسكرية كبيرة واحرق قرى بني احمد كلها وصادر جميع حيواناتها، كما قتل كل من وجده أمامه من رجالها. ورغم هذا الانتقام الوحشي من تلك القرى وتلك الخسائر الفادحة في الأرواح خلال السنتين الاوليتين من الاحتلال. الا ان

المقاومة الفردية استمرت تقريبا يوميا، كما استمرت معها مقاطعة المحتل اقتصاديا من أغلب سكان المنطقة. وبعد 1841استأنف المقاومون الهجومات الكبرى.

6 – معركة صخرة الجزيرة (8).

في يوم 4 أفريل سنة 1841 اجتمع رجال الأعراش الشرقية والغربية في أعالي العوانة بعيدين عن جواسيس العدو، وقرروا تحرير المدينة مهما كلفهم ذلك من ثمن. وفي تلك الليلة شنوا هجوما عليها من كل الجهات. ويقدر شارل فيرو عددهم بثمانية آلاف مقاتل. ويدعي بأن قائد المدينة تركهم عمدا يقتربون منها والتحصن في صخرة الجزيرة ليقتربوا من أسلحته، وحينذاك أعطى الأمر لجنوده بإطلاق النار عليهم بالمدافع والبنادق السريعة الطلقات. واستمرت المعركة من التاسعة ليلا إلى الرابعة صباحا، وكانت نتائجها حسب ادعاءات المصدر السابق القضاء على أكثر من مائتين من المقاومين وانسحاب الآخرين. أما خسائرهم فلا تتعدى العشرين جنديا ما بين قتيل وجريح. ومع الأسف ليست لدينا أية معلومات محايدة عن مجريات حقيقة المعركة سوى ما يدعيه مؤرخو العدو.

وبعد هذه المعركة بعدة أشهر نظم السعيد بن غزالة (9) يوم 17 سبتمبر 1841 هجوما آخر على المدينة وحاصرها من كل الجهات، واستمرت المعركة الأولى من الحادية عشرة صباحا إلى الرابعة مساء، ولكن كثافة قنابل المدفعية من البر والبحر أجبرت المهاجمين على الانسحاب.

وبعد يومين تجمع حوالي 6000 مقاتل في الضاحية الشرقية للمدينة، وعندما شاهدهم العدو قصفهم بالمدافع، ومع ذلك استطاع بعضهم الزحف تحت نيران المدافع والبنادق ووصلوا إلى أسوار المدينة، وهناك وقعت ملحمة بين الطرفين دامت أكثر من ثلاث ساعات تصفها المصادر الاستعمارية بالشراسة، ولكن نتائجها دائما لصالحهم. ويدعون بأن أسباب انتصاراتهم على المقاومة تعود إلى شجاعة وبسالة وتضحية الجندي الفرنسي، وليس إلى تطور الأسلحة التي يستعملها. وهذا هو التضليل بعينه. لأن المصادر نفسها تعترف باندفاع المجاهدين وتضحياتهم وتسابقهم لنيل الشهادة. وهذا مما سهل المهمة على قذائف المدفعية لتقتل منهم عددا أكبر. ولذلك فالتفوق الملحوظ ذو طابع حضاري وصناعي. ورغم هذا التفوق الحضاري والخسائر الفادحة في الأرواح التي تعقب كل هجوم كبير، فإن المقاومة الفردية لم تتوقف حتى سنة 1843.

7 - آخر المعارك الكبرى ضد احتلال المدينة

يدعي شارل فيرو (10) أن سي لخضر مولا انشقفة هو الذي أعد رجلا جاء به من ناحية القل ليقوم بدور ابن أخ بن الاحرش الذي ظهر في بداية القرن الذي سبق لنا التعرض لثورته في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ويدعي بأنه مبعوث من عند الله لطرد المسيحيين من جيجل، وبسرعة التف حوله ثمانية آلاف مقاتل من جميع أعراش المنطقة حسب المصدر سالف الذكر (11) وفي بداية مارس سنة 1843، حيث وصلوا مدينة جيجل وهاجموها من جميع الجهات. وكالعادة انتهى الهجوم باستشهاد أكثر من مائتي مقاوم حسب المصدر السابق.

ويعد هذا الهجوم آخر هجوم كبير تنظمه الأعراش المحلية لتحرير المنطقة من المحتل، لأنهم خسروا فيها عددا كبيرا من رجالهم، وإذا أضفنا هذا العدد الأخير إلى الخسائر السابقة في الأرواح، فسيصبح العدد يفوق العشرين ألفا سقطوا كلهم على أطراف المدينة القديمة، أي المكان الذي بنى فيه الاستعمار المدينة الجديدة، ولذلك فكل منزل من منازلها بني على أكثر من عشرة من جثث الشهداء الذين حاولوا تحريرها خلال سنوات (1839- 1843).

ونتيجة لهذه الخسائر في الأرواح التي تكبدها رجال المنطقة استغل المحتل هذه الظروف السيئة بالنسبة لجميع سكان المنطقة. وتابع مخططي ومنفذي الهجوم الأخير، فقتل وسجن بعضهم، ونفى أخرين مثل سي لخضر مولا الشقفة الذي نفاه إلى فرنسا، كما ابعد بعض عشائر بني احمد وبني قايد وغيرهم إلى مناطق أخرى مثل قالمة وبرج بوعريرج وغيرهما، كما فرض على شيوخ الأعراش الكبرى وبعض الأعيان الإقامة في جيجل مثل بن حبيلص من أعيان بني فوغال وبن منيع شيخ بني عمران وسي احمد بن الشريف شيخ بني يدر لكي لا يقوم رجالهم بمهاجمة المدينة، كما أنشأ بعض المزارع في الضاحية الشرقية وعلى ضفاف وادي جنجن، وغرس بهما المعمرين الأوائل، كما فرض على الأهالي حراسة تلك المزارع مقابل فرنك واحد للفرد. ورغم هذا كله فقد استمر الحصار على المدينة وعلى مزارع المعمرين، كما استمرت الأعمال الفدائية بين الحين والآخر.

8 - رجال بومعزة يحاصرون منطقة جيجل (12).

في 3 أكتوبر وصل الشريف مولاي محمد أحد رفقاء بومعزة إلى جيجل على رأس جيش قوامه 1500 مقاتل وحاصروا (13) المدينة من جميع الجهات، ولكن قذائف المدفعية أبعدتهم بعدما تكبدوا خسائر تدعي المصادر الاستعمارية بأنها تفوق المائة قتيل.

وبعد شهرين من هذا الهجوم نصبت مجموعة من المقاومين كمينا محكما للعمال الأوربيين الذين يحفرون قناة المياه ما بين وادي كسير والمدينة بالقرب من المكان المعروف اليوم بأولاد بوالنار، ولكن الضابط المكلف بحراستهم شاهد من بعيد أحد المقاومين قبل أن يقعوا في وسط الكمين، فرجعوا إلى المدينة وأخبروا قائدها فقصف المكان بالمدفعية فانسحب المقاومون.

تأتي هذه الأحداث المثبطة للعزائم مع استسلام الأمير عبد القادر يوم 27 ديسمبر 1847 وتلاه أحمد باي يوم 5 جوان 1848، وبذلك فقدت المقاومة المحلية رؤساءها الشرفيين، وتبعا لذلك شددت القوات المحتلة الخناق على سكان المنطقة، وعلى الأخص المحيطين بالمدينة، بهدف خلق الشقاق بينهم وبين إخوانهم البعيدين عنها. ومع ذلك، فقد استمرت الهجمات الجماعية والفردية على المدينة وعلى المزارع الاستعمارية، بدليل ما كانت تنشره جريدة المبشر التي بدأت في الصدور سنة 1847 من هجومات، وكذلك المناوشات التي كانت تقع بين السكان (14) بهدف إذكاء نار الفتنة بينهم، كما كانت تزود الموالين لها بالأموال والأسلحة. وقد استمر هذا الوضع المقلق بالنسبة للسكان والقوات الغازية إلى سنة 1851، بدليل استمرار جريدة المبشر في نشر الفتن التي كانت تخلقها تلك القوات بين سكان المنطقة، وعلى الأخص بين عرش بني يدر والأعراش الصغيرة التي كانت تابعة له أثناء العهد العثماني. فقد نشرت المبشر يوم 31 أكتوبر 1850،هذا الخبر "لازالت الفتنة بين قبائل ناحية الشقفة بين بني يدر وبني معمر، ومات من العرش الأخير 3 أشخاص".

والخلاصة: لقد عرفت الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي لمدينة جيجل (1839-1851) مقاومة شرسة، وقد استعمل المحتل كل الوسائل للقضاء عليها وفك الحصار على المدينة الذي استمر 11 سنة ولكنه فشل، ولذلك قرر اختراق الجبال المحيطة بها، وبصفة أوسع جبال المستطيل- بجاية، سكيكدة، سطيف، قسنطينة – وهذا ما سنتابعه في الفترة الثانية من عهد الاحتلال(1851- 1871).

ب – المرحلة الثانية من العهد الفرنسي
(1851 –1871)

1 – حملة سانت آرنو على منطقة جيجل سنة 1851(15)

تعتبر حملة سانت أرنو التي دامت أكثر من شهرين التي بدأها يوم 9 ماي 1851 باختراق الجبال الواقعة ما بين ميلة وجيجل من الحملات التي أثارت جدلا كبيرا بين المورخين الفرنسيين. لأنها نظمت لاهداف معلنة وأخرى غير معلنة. فالأهداف غير المعلنة كانت تتوخى تحضير الجنرال سانت آرنو لمهمة تندرج في إطار الصراع على السلطة على أعلى المستويات في فرنسا. وفي هذا الصدد اورد فرنسوا مسبيرو مذكرات الرائد فلوري امين سر نابليون الثالث، وهذه خلاصتها (16) "لقد قلت له: انني أشاطركم الراي بتمديد عهدة ولايتكم الثانية بصفة شرعية ....ولكن معارضة مجلس النواب المدعومة بالجنرالات: شناغارني وشاراس وكافيناك وبودو ولاموريسيار لا يسمحون لكم بذلك، ولهذا ألتمس منكم إيجاد قائد عسكري للاستغناء عن هولاء الجنرالات. والقائد المعني موجود بحوزتي، إنه الجنرال دوسانت آرنو، وهو الآن في قسنطينة على مشارف بلاد القبائل الصغرى التي لم يتم إخضاعها بعد ... عليك باصدار الأمر للقيام بهذه الحملة ... وتأكد يامولاي بأنه سوف يتميز بكيفية تجعلكم تقدمون على ترقيته إلى رتبة جنرال من الدرجة الثالثة وتستدعونه إلى باريس ليكون رهن إشارتكم، ثم تكلفونه بوزارة الدفاع عندما يحين موعد الانقلاب". ولإتمام الخطة على أحسن وجه عين الرائد فلوري أمين سر نابليون الثالث مستشارا لسانت أرنو أثناء قيامه بالحملة المقررة. وهكذا فالأهداف غير المعلنة تقبع وراء عملية مفبركة تمكن نابليون الثالث من تعيين الجنرال سانت آرنو على وزارة الدفاع لتحقيق هذه الأهداف. أما الأهداف المعلنة فتتمثل في السعي إلى إخضاع المنطقة الممتدة من ميلة إلى بجاية، وهي تندرج في إطار الحملات العسكرية التي كان يقوم بها جيش الاحتلال في الجزائر، ويتنافس على القيام بها الضباط الكبار لنيل المجد والترقية والشهرة، وكانت تسميها الوثائق الرسمية، والكتب التاريخية بالمسيرات أو المحلات مثلما كانت تسمى في العهد العثماني، وهي قافلات عسكرية تخرج للأرياف الجزائرية التي صمدت فيها المقاومة لتسلط قمعها وانتقامها ضد السكان بدون تمييز. وأغلب ضحايا تلك الحملات النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، لأن المقاومين في أغلب الأحيان يفلتون من أمامها، فتصب غضبها على من تجده من العجزة والنساء والأطفال، بالإضافة إلى حرق القرى وإتلاف المزروعات وقتل ومصادرة الحيوانات. وهذه الحقائق لا تنكرها الكتب التاريخية الاستعمارية، ولكنها تعد القتلى من النساء والأطفال

مقاتلين قتلتهم اثناء المعارك. وهذا ما نلمسه عندما نتابع يوميات حملة سانتارنو على منطقة جيجل سنة **1851**.

وقبل التعرض ليوميات تلك الحملة، من الاحسن ان نبدا بما تقوله التقارير الرسمية الاستعمارية وكتبها التاريخية عن تلك الحملة.

وأولها التقرير الرسمي الذي قدمه الجنرال راندون وزير الحربية إلى رئيس الجمهورية الأمير لويس نابليون **(17)**.

"منذ مدة طويلة وأنظار الحكومة مصوبة إلى الجبال التي تحد الساحل بين دلس وسكيكدة، فقد بقي هذا الجزء من البلاد خارج سلطتنا، في حين ان الجزائر كلها من حدود تونس إلى حدود المغرب، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الحدود الجنوبية للصحراء الجزائرية، قد اعترفت بهيمنتنا مجموعة الجبال المعروفة. باسم بلاد القبائل التي يسكنها رجال شرسون مسلحون ومنظمون للمقاومة بشكل أفضل من العرب".

اما شارل فيرو **(18)** فيقول عن الحملة "لم تكن حملة سانت آرنو العسكرية عادية بمعاركها الصغيرة. بل كانت حربا حقيقية على عكس ما كان مخططا لها وهو: قطع الجبال بسرعة وشق ممر لإتمام القبضة على القبائل من الجهتين".

فمن خلال التقرير الرسمي وكتاب شارل فيرو نعرف الأهداف العامة والخاصة للحملة، فالأهداف العامة تتوخى السيطرة على كل أجزاء الجزائر، والاهداف الخاصة ترمي إلى تشديد الخناق على المقاومة الشرسة التي لا قاها الجيش المحتل في منطقة جيجل، وفك الحصار المضروب على مدينتها مدة **11** سنة. ولتحقيق هذين الهدفين نظمت حملة سانت آرنو وأعدت لها العدة في مدينة ميلة. إذ شارك فيها **9500** جندي وثلاثة جنرالات و**1450** بغلا وحصانا للفرسان وحمل المون والذخيرة والعتاد العسكري.

هذا من الجانب الفرنسي، أما الجانب الأهلي فتدعي المصادر الاستعمارية الوحيدة في هذا الميدان أن الحملة ستواجه **15000** بندقية في أيدي رجال عازمين على القتال **(19)**، لأن جميع أعراش المنطقة الشرقية والغربية اجتمعت واتفقت على أن تقوم بمقاومة مستمرة، وكان التعصب الديني يلهب دوما حماسها **(20)**.

هذا ما تقوله المصادر الاستعمارية عن استعدادات سكان المنطقة. ولكي نأخذ صورة حقيقية عن يوميات الحملة، علينا أن نقسمها إلى عدة مراحل، مع رسم توضيحي لكل مرحلة.

1. ميلة – جيجل: من 9 إلى 17 ماي

نبدا الحديث عن هذه المرحلة بما كتبته جريدة المبشر (21) حينذاك، حيث تقول: "سعادة الجنرال سانت آرنو يتوجه الى جيجل ... وهو يدرس البلاد ويجزر العباد في قليل الأيام ومعه الشيخ بوعكاز بن عاشور صاحب فرجيوة والأخوان بن عز الدين صاحب زواغة، بينما المرابط مولا الشقفة بعث رسالة" (22).

فخبر جريدة المبشر لم يحدد اليوم الذي خرجت فيه الحملة، وهو يوم 9 ماي 1851 حيث اتجهت نحو الشمال. ولم تتعرض الجريدة في اليومين الاولين إلى أية هجومات عندما قطعت اراضي عرشي زواغة وفرجيوة.

ومن المحتمل أن يكون سبب ذلك وجود بن عاشور وبن عز الدين على رأس الحملة، إن صح خبر المبشر. أو لأن الأراضي سهلية وعارية من الغابات، حيث لا تساعد المقاتلين على مقاومة جيش عرمرم حسب تعبير جريدة المبشر. فكل الاحتمالات واردة.

وفي صبيحة يوم 11 ماي بدأت القافلة تدخل الاراضي الجبلية مقسمة نفسها الى ثلاثة صفوف، وكل صف تحت قيادة جنرال. وقطعوا فج باينام بسلام، واجتازوا وادي بويطان على ثلاثة محاور. وبمجرد دخولهم أراضي اولاد عسكر هوجموا من كل الجهات. فاندلعت المعارك الشرسة الى حد الالتحام، واستعملت الأسلحة البيضاء. وتقدر المصادر الاستعمارية عدد المهاجمين بأربعة آلاف مقاتل. واستمر القتال من الساعة السابعة صباحا إلى الثامنة مساء.

وتدعي تلك المصادر بأن الحملة سيطرت على الموقف واستطاعت إبعاد المقاتلين من طريقها وأن خسائرها طفيفة بالنسبة الى خسائر المقاومين. رغم اعترافها بقتل ضابطين كبيرين وهما: ڤالكون (Valcon) وروبيست (Robest)، وجرح الجنرال بوسكي (Bosqué). أما الجنود فيقدرون بالعشرات. بدليل أن جميع قوات الحملة خصصت اليوم التالي (12 ماي) للانتقام من سكان اولاد عسكر وسكان عشيرة بن ميمون التابعة لعرش أولاد حايا. فحرقت كل قرى الناحية الشرقية التابعة لعرش أولاد عسكر. بالإضافة إلى قرى بني ميمون. وقتلت كل من وجدته في طريقها. وبهذا ارتفع عدد الضحايا من الأهالي وأغلبهم من العجزة (شيوخ وأطفال ونساء). هذا فيما يخص يومي 11 – 12 ماي من مسيرة قافلة سانت آرنو نحو جيجل. أما يوم 13 ماي فقد تلقت القافلة ضربة قاسية في موقع الركابة ببني عيشة. وقد وصف الجنرال سانت آرنو ذلك اليوم بيوم النحس. ففي صبيحة ذلك اليوم خرجت القافلة من معسكرها الذي نصبته على هضبة العروسة ببني فتح، حيث قامت هناك ليلتين واتجهت نحو المنحدرات التي

تؤدي إلى مصب الوادي الكبير. وكان هذا الطريق الواجب قطعه صعبا للغاية من حيث التضاريس وكثافة الغابات. ولضمان السير فيه بامان. كان لا بد من احتلال المرتفعات يمينا وشمالا. وقد وقعت تلك المعركة أثناء تبديل القوات التي سبق لها احتلال موقع الركابة المرتفع الذي لا يمكن الوصول اليه الا بالتسلق. وكان اول من احتله فيلق الجنرال بوسكي الذي يقود وحدات زواوة (زواف). نظرا لان أغلب افراده من الجزائريين. ولذلك يضعون هذه الوحدات في الخطوط الامامية. وبعدما احتلوه وظنوا أنه خال من المقاتلين سلموه لقوات أخرى لحراسته. وانتقلوا هم إلى مرتفع آخر أمام القافلة. ونظرا للخسائر الفادحة في الارواح التي تعرضت لها القافلة في موقع الركابة، فقد كتب عنها من الجزائريين كل من الأساتذة بوجعة هيشور ومحفوظ بنون وحميدة عمير والعلالي الصادق الذي ساكتفي بإيراد ما كتبه هذا الاخير في وصف المعركة، لأنه ابن المنطقة. وقد عاين الموقع الذي وقعت فيه المعركة، كما شاهد المعلم الأثري الوحيد الباقي منها إلى يومنا هذا وهو: فرشاة من الصخر منقوش في وسطها تاريخ **13/ 05/ 1851**، وفي الأسفل: كتب الخط الدفاعي العاشر.

وما يهمنا في بحث الأستاذ لعلالي هو وصف المعركة حيث قال: "تقع الركابة على هضبة تطل شرقا على الرميلة والصومعة، وجنوبا على أولاد معفي، وغربا أولاد برش. وهي كثيفة الغابات متكونة من أشجار البلوط والزان وشجيرات القندول. وهو موقع ضيق يتوسطه ممر لا يتعدى عرضه مترين. وهناك أبيدت الكتيبتان المكونتان للخط الدفاعي العاشر، كما استخلصت ذلك من المصادر الاستعمارية، وعلى رأسها شارل فيرو "فبعدما وصل كماص (Camas) إلى هضبة الركابة للإشراف على عملية تبديل فرقة الحراسة بأخرى وأخذ يوضح ويحدد للنقيب دوفور (Du Four) النقاط الاستراتيجية الواجب التمركز فيها والمتطلبة للحماية عند تبديل الحراسة مع اخذ الحذر والحيطة وتطبيق التوجيهات العسكرية المطلوبة المتعلقة بتبديل الحراسة كعدم ابتعاد أفرادها بعضهم عن بعض لإنجاح العملية وإتمامها في هدوء وانتظام. وكان السكون يخيم على المكان لاختفاء المقاومين وكفهم عن ضرب ومناوشة القافلة، ما عدا انات الجرحى ومناداة الضباط على ضباط الصف لتحذيرهم وتوجيههم. وهو ما احدث نوعا من الاطمئنان في نفوس بعض الجنود ودفعهم إلى الاستلقاء على الارض للراحة بعد تخليهم عن أمتعتهم.

وخلال هذه الفترة قام حوالي **400** من المقاومين بالتسلل والزحف خفية بين الأشجار لمحاصرة ذلك المكان وتطويقه من الجهة الجنوبية مع ترك الجهة الشمالية مفتوحة والتي تنتهي بهوة سحيقة.

وبمجرد وصولهم للمكان أطلقوا صيحة واحدة "الله اكبر" كانت مدوية، حيث رددها الصدى داخل الغابة، مما جعل فرائس الجنود الفرنسيين ترتعد لها، ظانين أن الارض قد زلزلت من تحت أقدامهم، فسكنهم الخوف والرعب، وبداوا في التحرك يمينا وشمالا وفي كل الاتجاهات، محاولين الاحتماء بضباطهم، فساد الاضطراب وعمت الفوضى.

وللتقليل من موقع الصدمة حاول الضباط طمانة الجنود ودعوهم للثبات والاستقرار مع تشجيعهم على البقاء في المكان، فقام النقيب دوفور بمناداتهم عليكم بالسلاح الأبيض للمواجهة، فانصاع له الكل من جنود وضباط صف، فأخرجوا السلاح الموجود لديهم سيفا أو بندقية للدفاع عن أنفسهم، ولم يتبق لديهم سوى أمرين، فاما المواجهة واما الهروب باستخدام الممر الوحيد الذي ينتهي بمرتفع (بودوالي) بأولاد معفي، ملقين بانفسهم الواحد تلو الآخر، ظانين انهم سينجون، ولكنهم يموتون بمجرد وصولهم إلى الارض، لأن الهوة سحيقة، مما جعل الجثث تتراكم بعضها فوق بعض، فساد الموقع الهرج والمرج وضجيج الجنود والحيوانات من أحصنة وبغال وحمير وغير ذلك. وواصل المقاتلون العملية محاولين شق صفوف الحملة وتبديد شملها وإيقاع أكبر الخسائر بها، وكان الجنرال

سانت أرنو قائد الحملة غير بعيد عن المكان، فهرع للموقع لإصلاح ما يمكن إصلاحه وإنقاذ ما يمكن انقاذه مرفوقا بكتيبتين من الفيلق التاسع تحت قيادة لا كورنير (Lacournerie) الذي اصابته رصاصة في راسه أردته قتيلا قبل الوصول إلى الغابة.

وقد دامت المعركة نهارا كاملا، مما جعل الحملة تتوقف عن مسيرتها ولا تواصلها إلا يوم **14** ماي، لان خسائرها في الأرواح كانت فادحة. وقد حددها شارل فيرو بخمسين قتيلا ومائتي جريح.

اما المؤرخ كرانجي الذي يعد أدق من شارل فيرو فيذكر تفاصيل الخسائر ، وهي: **5** ضباط كبار و**12** ضابط صف، و **53** جنديا من رماة القنابل اليدوية، وكتيبتان من الخط العاشر، ولذلك فالخسائر تفوق مائة قتيل. ومن بين الضباط الكبار الذين قتلوا في هذه المعركة: دوفو ولاكورنير وكماص.

ونتيجة لهذه الخسائر الفادحة خصصت القافلة يوم **14** ماي مثلما فعلت يوم **12** مع اولاد عسكر للانتقام من السكان الذين عادة ما يشيدون قراهم في السفوح الجبلية والهضابية، فهاجمت قرى بني عيشة وبني حبيبي وتايلمامت واحرقتها، وقتلت الكثير من العجزة الذين لا يستطيعون الفرار. وقد قدر عددهم شارل فيرو باكثر من **400** قتيل وحوالي **1000** جريح، ومن حسن حظ بقية سكان الناحية مثل الجناح وبني صالح الواقعة في طريق الحملة سقوط أمطار غزيرة في نهاية ذلك اليوم. مما اضطر

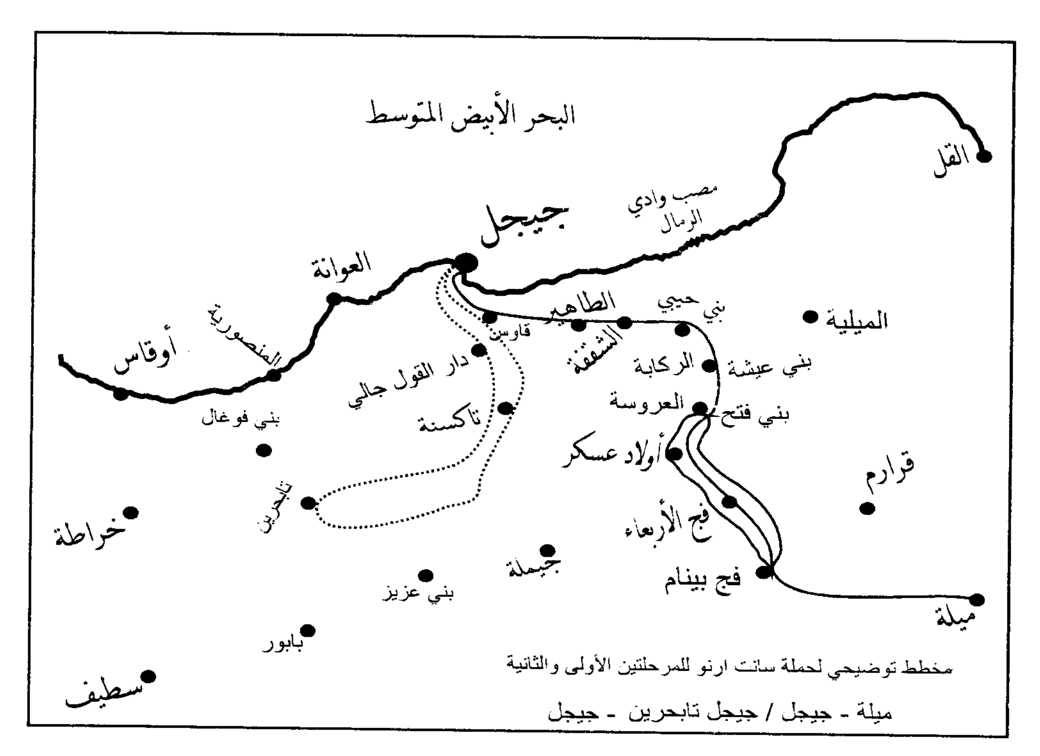
قوات تلك القافلة بالتوجه بسرعة الى مدينة جيجل. وبذلك انتهت المرحلة الاولى ميلة جيجل التي دامت سبعة أيام.

2. جيجل – المنصورية: من 19 ماي إلى 9 جوان

لقد كانت المرحلة الأولى لمسيرة الجنرال سانت آرنو (ميلة- جيجل) قاسية. لان القافلة التي يقودها تعرضت مرتين لخسائر فادحة في الارواح. ونهذا سارع باعطاء الأمر بالانسحاب من المنطقة الشرقية والالتحاق بمدينة جيجل من أجل استراحة الجنود وإسعاف الجرحى. وفي نفس الوقت يتفرغ هو للتفكير في تغيير أسلوبه القمعي الذي طبقه في المرحلة الأولى، لأن النتائج كانت كارثية. وتبين مجريات الاحداث التي وقعت لا حقا بأنه قد غير خططه وأساليبه بتشديد البطش والقمع واقتراف المجازر الجماعية.

لقد دشن الجنرال سانت آرنو مرحلته الثانية بمجزرة رهيبة نفذها يوم 20 ماي 1851، حيث قتلت قواته أكثر من 200 قتيل من سكان عرشي بني احمد وبني عمران. ويقول سانت آرنو عن تلك المجزرة في رسالته إلى زوجته (23) "حبيبتي: لقد احتفلت هذه الليلة باحتفالات القديس (سانتوجان) بخوض معركة كبيرة. حيث رميت بالقبائل في منحدرات سحيقة، وقتلت منهم 200 شخص، مع إحراق قرى جميلة، والمعسكر الذي أنا موجود به الآن مملوء بالأسلحة والأشياء الثمينة والآذان المقطوعة" (24). أما تقرير الجنرال راندون سالف الذكر، فقد اعترف بما يفوق 300 قتيل.

إن هذه الجرائم المقترفة ضد السكان المدنيين لا تعترف بها المصادر الاستعمارية. بل تعتبرها من المعارك الحربية التي يعود سبب نجاح القوات الغازية إلى مهارة الجنرال سانت آرنو في القيادة وبسالة وثبات جنوده. يوكذ هذا التقرير الرسمي سالف الذكر الذي يرد فيه ما يلي (25) "وفي اليوم التالي (20 ماي 1851) كان رجال القبائل يغطون تلا غابيا يمتد على كيلو مترين ويقع على بعد اربعة كيلو مترات قبالة المعسكر الفرنسي... ورغم وعورة الأرض، فقد استطاعت قواتنا الوصول إليهم وقتلهم عن بكرة أبيهم في الصخور وفي الأحراش من طرف مشاتنا البواسل. وسقط منهم في ساحة الوغى ثلاثمائة أو أربعمائة قبائلي".



أما شارل فيرو فيقول عن المجزرة (26) " في صبيحة يوم 13 ماي 1851 غادرت الحملة مدينة جيجل وعسكرت بدار القولجالي (Dar-Elgoul-Jali) (27) في وسط بني عمران وبني احمد، ووجد أفراد الحملة الهضاب المجاورة ماهولة بالقبائل، ورغم المقاومة المستميتة، استطاعت القوات الفرنسية إخراجها من تلك الهضاب.

وفي يوم الغد 20 ماي تجمعت القبائل قرب المعسكر فناورهم الجنرال سانت آرنو وحشرهم في واد وقطع طرق انسحابهم. وبدأت المجزرة الرهيبة وكل القتلى من بني احمد وبني عمران".

نلاحظ أن هذا النص يتضمن الكثير من التضليل والتزييف، فالعبارة " وناورهم وحشرهم في واد" تعني أنهم مقاتلون وليسوا مدنيين عزلا، وينكشف التزييف باديا للعيان في عبارة "بأن القتلى كلهم من بني احمد وبني عمران"، وهذا يعني أنهم ليسوا مقاتلين، لأن المقاتلين ينتمون إلى مختلف أعراش المنطقة حسب اعتراف تلك المصادر نفسها، كما أن المقاتلين لهم دراية بالقتال وأساليبه ويعرفون دروب وشعاب المنطقة. فكيف يستطيع جنرال يدخل تلك المنطقة لأول مرة أن يحشرهم في واد ويقتلهم عن بكرة أبيهم كما ورد في التقرير الرسمي؟.

إن الحقيقة التاريخية لا يمكن طمسها في ظل هذا السياق. ومن السهل استخراجها من بين أسطر المصادر الاستعمارية. وهي أن واقعة الـڤولجالي الأليمة ليست بمعركة. وإنما هي إبادة جماعية لسكان بني احمد وبني عمران. لأن الواقعة حدثت هكذا حسب المصادر الاستعمارية، ولها وقائع مشابهة خلال الثورة التحريرية (1954- 1962).

فقد كان سكان القرى الجبلية خلال حرب التحرير يفرون من منازلهم عندما يشاهدون القوات المحتلة متجهة نحو قراهم ويختبئون في الغابات والأحراش. لأنهم يعرفون مصيرهم إذا ظفرت بهم تلك القوات، ولن يكون بأفضل من أولئك المدنيين العزل الذين حشرهم سانت آرنو في واد وقطع عنهم طريق الانسحاب أو الفرار وقتلهم عن آخرهم.

وقد روى لي أحد الرجال من سكان منطقة أم الثلاثين بأنه سمع الرواية من جدته التي عاشت أكثر مائة سنة، وخلاصتها: أن القوات الغازية جمعت كل الرجال الذين وجدتهم أثناء حرقها للقرى الواقعة ما بين مدينة جيجل وأم الثلاثين التابعين لعرش بني احمد وبني عمران وأوقفوهم على حافة منحدر الـڤولجالي وصاروا يطلقون عليهم الرصاص ويرمون بجثثهم في ذلك المنحدر. وهذه الرواية تتوافق تقريبا مع رسالة سانت آرنو إلى زوجته.

لاشك بأن الجنرال سانت آرنو قد أعد لتلك المجزرة في الأيام الثلاثة التي قضاها في مدينة جيجل (16، 17، 18 ماي 1851) بالتنسيق مع قائد المدينة، وربما أعيان بعض العشائر الصغيرة المقيمة بالقرب منها التي أشرنا إليها سابقا عندما بدأت تتعامل تجاريا مع القوات المحتلة. وكان الجنرال سانت آرنو يريد أن يحقق عدة أهداف، منها:

- عدم تكرار ما وقع لقواته في أولاد عسكر وبني عيشة.
- الانتقام لجنوده الذين رمى بهم في منحدر الركابة ببني عيشة.
- إنزال الرعب في الأعراش التي سيداهمها في تلك المرحلة، ولذلك يفتخر شارل

فيرو صاحب كتاب "تاريخ مدينة جيجل" إذ يقول: "وكانت نتائج هذا الدرس القاسي ظهور أعيان الأعراش الكبيرة مثل بني احمد وبني عمران وبني خطاب التي تأثرت بالخسائر الفادحة فقدمت إلى المعسكر في اليوم نفسه واستسلمت. وبهذه المعركة الحاسمة تم فك الحصار على مدينة جيجل، ولولاها لبقيت المعارك تدور هناك مدة عشرة أيام (28). وهذه الجملة الأخيرة من نص شارل فيرو تؤكد صحة ما ذهبنا إليه بأن المجزرة أعد لها مسبقا، ونظرا لنجاحها في استسلام السكان. فهي التي سيطبقها الجنرال سانت آرنو في المراحل القادمة حسب ما نلمسه من مجريات الأحداث.

فبعد تلك المجزرة الرهيبة استراحت الحملة يوم 21 ماي وبعثت بجرحاها إلى مدينة جيجل، وفي اليوم الموالي اتجهت جنوبا مخترقة عرش بني عمران من شماله الى جنوبه، وقطعت وادي جنجن جنوب تاكسانة، ودخلت أراضي عرش بني فوغال يوم 24 ماي وبدأت في حرق القرى وقتل كل من يقاوم أو يحتج. وبعد يومين من القمع استسلم الكثير من العشائر التابعة لعرشي بني فوغال وبني زونداي، أي بعد استشهاد الكثير من أبناء العرشين حسب المصادر الفرنسية (29).

وفي هذا الوقت بالضبط كانت تدور معارك شديدة بين بوبغلة (30) والجنرال كامو جنوب شرق بجاية على الطريق الرابط بينها وبين سطيف. وجاءت تعليمات إلى الجنرال سانت أرنو بان يرسل جزءا من حملته لنجدة الجنرال كامو، ولذلك انقسمت الحملة يوم 25 ماي إلى قسمين: قسم منها توجه نحو الغرب بقيادة الجنرال بوسكي، والقسم الباقي عسكر في هضبة تيبحرين.

واحسن وصف لسير تلك الاحداث نجدها في جريدة المبشر حيث جاء فيها: "وفي يوم 23 و 24 من شهر ماي، التقى جيش الجنرال كامو مرتين مع بوبغلة في الموضع المسمى الماوكلن ببلاد اولاد خليفة، فانتصر الجيش الفرنساوي وحرق الكثير من قرى المخالفين ... التقت حملة بوسكي مع كامو وتقدمت إلى مخيم بوبغلة في جبل عبولة، فقتلت منهم 400 وجرحت الكثير، واستولت على خيمة بوبغلة وحرقت الكثير من القرى المساندة له".

هذا فيما يخص نصف الحملة التي انفصلت بقيادة الجنرال بوسكي. أما النصف الآخر الذي بقي تحت قيادة سانت أرنو، فقد توجهت غربا على ضفاف وادي جنجن تحرق القرى وتقتل وتأخذ الرهائن، وبقيت في المنطقة حوالي خمسة أيام متبعة سياسة الأرض المحروقة، ثم عادت إلى جيجل على الطريق الذي سلكته يوم 22 ماي، دون أن تطلق رصاصة واحدة، مما يعني أن القرى التي مرت بها سابقا دمرت وقتل أو اسر أغلب ساكنيها.

وبعد عودة الحملة إلى جيجل يوم 2 جوان بقيت هناك ثلاثة أيام للراحة والتموين. وفي يوم 5 جوان خرجت الحملة من مدينة جيجل واتجهت غربا نحو زياما منصورية متخذة طريق السفوح الشمالية لجبال بابور المطلة على البحر. وعلى الأرجح أنها الطريق التي تربط اليوم ما بين تاكسانة وسد إراقن. وعلى عادة سانت آرنو، فستكون العشائر والقرى التي يجدها في بداية طريق الحملة هي الضحية لقمعه الوحشي، لتكون عبرة للآخرين. وهذا ما نجده فعلا في المصادر الاستعمارية، ومنها على سبيل المثال ما نشرته جريدة المبشر يوم 30 جوان 1851، إذ تقول: "إن الحملة الفرنساوية التي يقودها الجنرال سانت آرنو تجول غرب جيجل دون موانع، وفي السابع من شهر جوان

هاجمت بني عيسى وحرقت قراهم. إلى أن التزموا طلب الامان. وفي الغد وبعده، دخلت وسط بلاد بني معد التي بالقرب من جيجل. وقد كان اجتماع لنصرة المفسدين من أولاد نابت_واولاد علي وبني مرمي.

وفي 12 من الشهر المذكور تقدم سعادة الجنرال سانت آرنو الى زيامة والتقى باولاد نابت وبني سغوال، ولما تعرضوا له في جبالهم هجم عليهم. وفي ذلك اليوم طلبوا الأمان، ودخل أعراش غرب جيجل في حزب الدولة. وفي 16 من الشهر المشار إليه رجع الجنرال إلى قرية جيجل لراحة الجيش" (31).

أما شارل فيرو فيقول عن هذه الجولة الثانية (جيجل- المنصورية) "لم تعد المعارك تدوم 12 ساعة كما كانت في بداية الحملة (ميلة- جيجل)، فقد كنا نحتل القرى بسرعة، وبعد ساعات قليلة يكون الاستسلام. لقد أرغمنا سكان المنطقة الغربية على الاعتراف بسلطتنا، وقد أنجزنا جزءا من البرنامج المسطر من قبل".

أما التقرير الرسمي سالف الذكر، فاهم ما جاء فيه عن هذه الجولة "بعد يومين من المعارك، لجأ بنو معد وبنو مرمى الى الصلح ... وفي زيامة حاول أولاد نابت وبنو سغوال منع الحملة من المرور ... ولكن صراحة لم يقاوما واستسلمتا في نفس اليوم. ولقد حذا حذوهم بنو يوسف التابعون لبجاية".

وتجدر الملاحظة أن جريدة المبشر وكذا شارل فيرو لم يذكرا الخسائر البشرية في هذه الجولة الثانية التي شملت الأعراش الساحلية مثل العوانة والمنصورية وبني سغوال وغيرهم.

وليس معنى هذا بأن سانت آرنو تخلى عن بربريته في هذه الأعراش. فقد أباد كعادته عدة قرى في أعالي العوانة في بداية جولته. وقد اشارت إليها المصادر الاستعمارية دون أن تذكر التفاصيل ولا عدد القتلى.

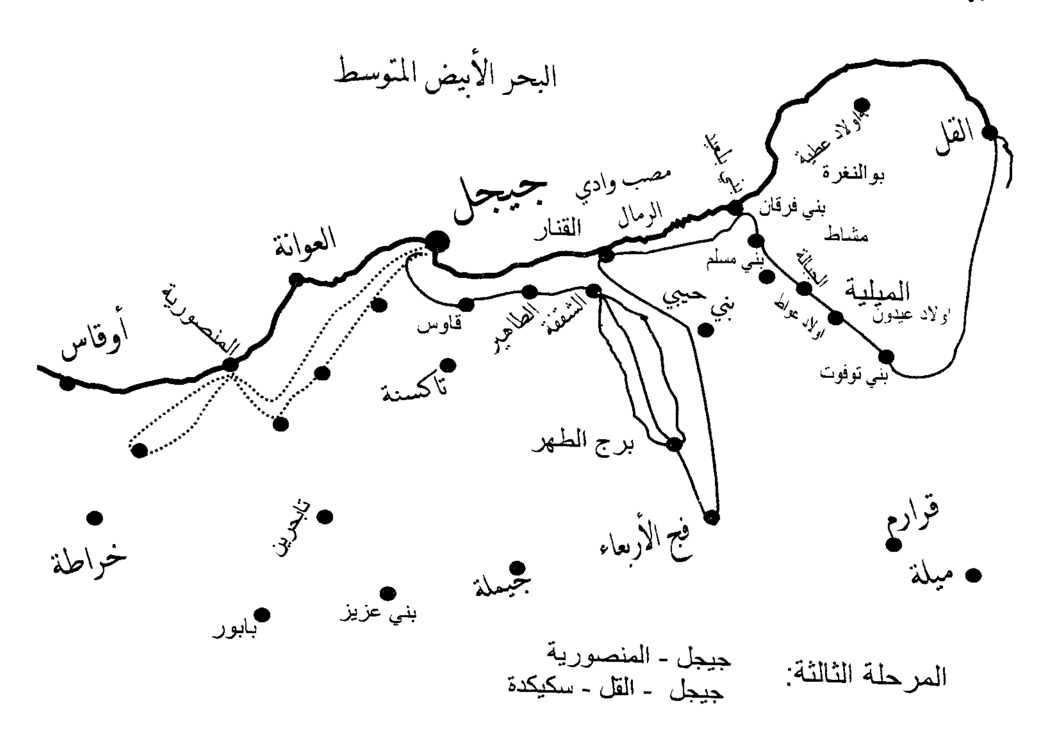
والخلاصة العامة للمرحلة الثانية لحملة سانت آرنو التي قسمناها إلى جولتين تتمثل فيما يلي:

الجولة الأولى جيجل- تبحيراين بأعالي عرش بني فوغال بالسفوح الشمالية لسلسلة جبال تمزكيدة جنوب بني عزيز، والجولة الثانية (جيجل- المنصورية)، وتعد هذه المرحلة بالنسبة للقوات الغازية أنجح من الأولى بكثير، لأنها طبقت فيها سياسة الأرض المحروقة، إذ قتلت فيها أكثر من ألف قتيل، كما أحرقت عشرات القرى، بالإضافة إلى قتل ومصادرة الحيوانات، وهذا ما سنراه في المرحلة الثالثة والأخيرة.

3 .جيجل – القل

تعتبر هذه المرحلة بالنسبة لحملة سانت أرنو وعلى الأخص القسم الاول منها (جيجل- القنار) تكملة للمرحلة الأولى (ميلة- جيجل)، لأن هذه الأخيرة اقتصرت على السفوح الشرقية للجبال المحيطة بسهل جيجل. لذلك بقيت لها السفوح الغربية والشمالية الغربية لتلك الجبال الآهلة بالسكان. اذ يتوزع بها عرش بني يدر الكبير والأعراش الصغيرة التي كانت متحالفة معه أثناء العهد العثماني مثل بني معمر. بني صالح، الجناح، بني حبيبي. وستكون أول مجزرة يقوم بها سانت أرنو في بداية مسيرته جيجل القل . في عرش بني يدر بالقرب من الشقفة. وذلك على غرار ما فعله في بداية المرحلتين الاوليتين بأولاد عسكر وأم الثلاثين ببني عمران.

وسنتعرض لمجازر بداية هذه المرحلة الأخيرة بالتفصيل، بحكم معرفتنا لهذه المنطقة التي جرت بها تلك المجازر شبرا شبرا، ولمشاهدتنا في مرحلة الصبا الآثار التدميرية لقرى ربما ابيدت عن أخرها ولمقابر جماعية تعود كلها الى ما اقترفه الجنرال سانت أرنو في تلك المنطقة وغيرها سنة **1851**. ولا احد كان يعرف سرها. لأنه كان يرحل ما بقي من السكان من تلك المجازر الى مناطق اخرى ويأتي باخرين اليها.



المرحلة الثالثة: جيجل - المنصورية
جيجل - القل - سكيكدة

ومع ذلك بقيت تلك الآثار المادية تعبر بصدق، رغم التستر عنها أكثر من قرن، كما تفضح زيف وتضليل المصادر الاستعمارية التي كتبت عنها، لأنها كانت تعد قتل سكان القرى بدون تمييز ناتجا عن معارك حربية خاضها الجيش الغازي ضد مقاتلي "القبائل"، ولكن المئات من القرى المخربة داخل المنطقة تدل دلالة واضحة على الإبادة الجماعية للسكان على عكس ما تدعيه تلك المصادر. وأولها على سبيل المثال التقرير الرسمي سالف الذكر (32) الذي تعرض فيها بالتفصيل لسير الحملة منذ خروجها من جيجل صبيحة يوم 18 جوان والمحطات التي عسكرت فيها وهي: الشقفة، برج الطهر، بني حبيبي، القنار. وقد دام قطع هذه المسافة التي لا يتجاوز محيطها ستون كلمترا في ظرف اثني عشر يوما (من 18 إلى 30 جوان).

وهذه أهم المقتطفات التي وردت في ذلك التقرير "في مساء يوم 18 جوان عسكر الجنرال سانت آرنو لدى بني يدر (الشقفة)، وكانت له مواجهة أولى كلفتنا مقتل رجل واحد وعشرة جرحى. لقد فقد جموع "القبائل" الذين لوحقوا بحيوية أربعين من رجالهم. منذ هذا اليوم والطابور (الحملة) يصادف في طريقه باستمرار المقاتلين الذين كان قد قاتلهم في مسيرته من ميلة إلى جيجل، وهم: بني يدر، بني حبيبي، اولاد عيدون، أو اولاد عواط، اولاد عسكر، بني مسلم، بني فرڤان، بني بلعيد، اولاد عطية، بني توفوت. هذه "القبائل" تأتي كل يوم لتعترض طريق جيشنا.

وفي يوم 22 جوان عسكر الطابور بالطهر (برج الطهر)، الموقع العسكري الذي يهيمن على المنطقة الممتدة من الوادي الكبير(وادي الرمال) إلى سهل جيجل. وفي اليوم نفسه استسلمت عشائر بني يدر.

وفي 24 من الشهر نفسه وصل الطابور إلى بني حبيبي، حيث استقبل بالرصاص، فلاحقناهم وقتلنا أكثر من مائتي رجل منهم. وفي يوم 26 جوان نزل الجنرال سانت آرنو إلى شاطئ البحر بالقنار ليستلم التموين، وأثناء عودته هوجم الطابور ووقعت معركة شرسة خلفت أكثر من مائة قتيل من "القبائل" وقتل من جانبنا ثمانية وعشرون رجلا، ومن بينهم ضابطان، وجرح مائة وخمسين ".

أما شارل فيرو (33) فيقول "في يوم 19 جوان 1851 وصلت حملة سانت آرنو إلى القصيبة (الكسيبة) (34) واجهتنا قبيلة بني يدر بالرصاص، وأثناء الليل قامت الوحدات المسلحة لعشر قبائل بهجوم على المعسكر من مختلف الجهات (35). وابتداء من هذه اللحظة استأنفت المعارك".

أما جريدة المبشر، فقد نشرت هذا الخبر يوم 16 جويلية 1851 (36) على النحو التالي: "خرج من جيجل سعادة الجنرال سانت آرنو للنواحي الشرقية بقصد معاقبة بعض الأعراش الذين كانوا سببا للفتنة، ووقع بينهم القتال حتى قدم جماعة بني يدر

مذعنين للطاعة ... وقد شكر سعادته حسن سيرة ولاة العرب الذين معه، حيث بذلوا جهدهم في معونته، لا سيما المرابط مولا الشقفة وابنه اللذين هما الآن مع الحملة (37).

أما في موضع آخر، فقد كتبت الجريدة المذكورة ما يلي: "قد كنا ذكرنا قبل هذا خبر الحملة التي تحت أمر الجنرال سانت آرنو، والآن بلغنا دخول أولاد عسكر. ولما امتنع بني حبيبي عن الطاعة قدمت الحملة إلى بلادهم في 24 من شهر جوينية ... فوقع القتال ومات أكثر من أربعمائة شخص وحرقت قراهم، وحينئذ طلبوا الأمان".

نلاحظ مما تقدم أن الروايات الاستعمارية، فيما يخص حملة سانت ارنو الى عرش بني يدر وخوضها معركة القصيبة (الكسيبة) (38) الواقعة بالقرب من الشقفة حيث تبدأ جبال بني يدر في الارتفاع، هي روايات متناقضة وعامة. فمثلا جريدة المبشر تدعي بأن المرابط مولا الشقفة شيخ بني يدر كان إلى جانب الجنرال سانت ارنو اثناء صعوده لجبال بني يدر، مما يعني أن المسيرة مرت بسلام.

اما التقرير الرسمي وكذا شارل فيرو فيذكران وقوع معارك شرسة منذ اليوم الأول. ولهذا وجب علينا الوقوف مع تلك التناقضات والعموميات لشرحها وتفسيرها والتعليق عليها بناء على الآثار المادية سالفة الذكر، لأنها تساعدنا على معرفة تفاصيل تلك العموميات التي وردت في المصادر الاستعمارية المذكورة. وفي الوقت نفسه تكشف وتفضح زيف وتضليل تلك المصادر، كما تساعدنا على معرفة المسالك التي سارت فيها قوات حملة سانت آرنو أثناء اختراقها للأراضي الجبلية لعرش بني يدر، إذ بدات مهمتها القمعية يوم 18 جويلية بمجزرة القصيبة سالفة الذكر، وهي المقدمة الدموية التي اعتاد عليها سانت آرنو في بداية كل مرحلة.

وهكذا، فبعد قضاء الحملة ليلة 18 جوان في بداية السلاسل الجبلية التابعة لعرش بني يدر الممتدة من وادي النيل بأولاد علال إلى وادي الشقفة، وفي صبيحة 13 من الشهر نفسه قسم سانت آرنو قوات الحملة على ثلاثة طوابير حسب السلاسل الجبلية التي تتوزع عليها قرى عرش بني يدر. فالطابور الأول كلفه بصعود الهضاب والجبال الواقعة شرق وادي النيل الممتدة من شرق أولاد علال إلى قمم جبال أولاد عسكر. والثاني بالسلسلة الممتدة من الشقفة إلى قمم جبال برج الطهر. والثالث بالمرتفعات الممتدة من سوق الشقفة إلى قمم جبال سدات (39) والمقابر الجماعية وخرائب القرى التي كنا نشاهدها عندما كنا صغيرا، وبعضها ما يزال باقيا الى اليوم، تقع في غابات هذه السلسلة الجبلية الأخيرة في بدايتها وفي وسطها وبالقرب من نهايتها جنوب قمة سدات، وهي الأماكن المعروفة محليا بـ "أبغدير" وهو مرتفع يشرف على الشقفة من الناحية الشرقية، وأولاد اعمر وراس بوميدول جنوب شرق قمة سدات. وهذه المواقع

الاثرية الثلاث تقع على الطريق القديم الذي كان يربط الشقفة ببرج الطهر، وما يزال يستعمل إلى يومنا هذا.

ففي أبغدير على سبيل المثال، وهو أول مرتفع في بداية السلسنة الجبلية التي قطعها الطابور الثالث لحملة سانت آرنو، كنا نجد الحجارة الطويلة الشكل معروسة في الأرض وتراكمت عليها الأتربة وأوراق أشجار البلوط، ولا يظهر منها إلا الجزء الأعلى، وهي مصففة بنظام، وكان الكبار يقولون لنا إنها مقابر تعود إلى العهد الجاهلي الذين قتلهم الرومان، فهم لا يفرقون بين الاستعمار الفرنسي الحديث والاستعمار الروماني القديم، لأن المعمرين الفرنسيين كانوا يطلقون عليهم اسم (الروامة) جمع رومي.

والعجيب في تلك المقابر وفي خرائب القرى التي كنا نجدها بالقرب منها، اننا لم نكن نسمع من أبناء العشائر أو العائلات التي كانت تسكن بالقرب منها نسبيا تدعي بان جدها مدفون هناك، وتلك الآثار هي بالتأكيد تعود إلى مخلفات حملة سانت آرنو سنة 1851، لأن شظايا الأدوات المنزلية الطينية والفخارية التي كنا نجدها مختلطة بالتراب بعدد لا يحصى وآثار المنازل المهدمة تدل دلالة قطعية بانها ناتجة عن تخريب عسكري منظم وقوي، كما أن تلك المقابر وتلك الآثار لا يتجاوز عمرها القرن بالنسبة لجيلنا الذي عايش نهاية الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي. فهي قريبة من جيلنا، فلا تتعدى الحد الثالث، ورغم ذلك فلا نجد من كبار المنطقة من سمعنا منه شيئا عن تلك الآثار مما يعني عدة احتمالات:

أولها أن تكون تلك الخرائب والمقابر لعشائر أبادها سانت أرنو عن اخرها ولم يبق منها من ينقل الخبر، لأننا كنا نسمع هذه الجملة من أفواه الكبار "أولاد فلان كانوا بكري وافناو" أي لم يبق منهم أحد.

ثانيا أن تكون لعشائر أبيد خيار رجالها، والباقي نقلوا الى أماكن أخرى. فمثلا اولاد خلاص، نجد عشيرة في بني فتح تحمل نفس الاسم، وشعابنة، نجدها في نواحي الشقفة وباتنة وقالمة، وخنوف نجدها في الشقفة وفي برج بوعريرج وفي بابور. وبني قايد وبني فوغال نجدهما في منطقة جيجل وفي قالمة . والأمثلة كثيرة.

ثالثا أن تكون تلك المقابر المجهولة للمقاومين الذين قتلوا أثناء المعارك التي ذكرتها المصادر الفرنسية سالفة الذكر بصفة عامة، فيقول عنها شارل فيرو(وابتداء من هذه اللحظة استأنفت المعارك) ويقصد بذلك منذ انطلاقة صفوف الحملة في الصعود إلى مرتفعات قرى عرش بني يدر اشتعلت المعارك بينها وبين رجال أعراش المنطقة المتحالفة.

أما التقرير الرسمي فيقول: "منذ هذا اليوم والطابور يصادف في طريقه باستمرار المقاتلين الذين سبق له وقاتلهم في مسيرته من ميلة إلى جيجل".

فمن خلال عموميات المصادر الاستعمارية والآثار المصاحبة لها، نجد العلائم التي بقيت الشاهد الوحيد (40) على فظاعة حملة سانت آرنو على منطقة جبلية غابية صغيرة، مساحتها عبارة عن مستطيل طوله حوالي عشرين كيلو مترا، وعرضه حوالي عشرة كلم، محصور بين وادي النيل من الغرب ووادي يرجانة من الشرق، ويسكنه حوالي 18 ألف نسمة حسب إحصاءات سنة 1868.

وانطلاقا من هذه المنطقة الصغيرة ندرك مدى الإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الجزائري بصفة عامة في العشريات الأولى من الاحتلال 1830- 1870.

ففي الأيام العشرة الأولى من بداية المرحلة الثالثة (جيجل- القل) من حملة سانت آرنو (من 19 إلى 30 جوان 1851) اعترفت المصادر الاستعمارية سالفة الذكر بقتل وجرح أكثر من ألف وخمسمائة شخص، وأحرقت أكثر من مائة قرية في الدواوير الواقعة داخل المستطيل، وهي وادي النيل وبوتناش ويرجانة وأم غريون وحيان- الجناح وأولاد بويوسف وبني صالح وبني معمر.

والحقيقة التاريخية أنها قتلت أكثر من ذلك بكثير، لأن الآثار المادية التي تعرضنا لها سابقا من مقابر جماعية وقرى مخربة تخص الجزء الشمالي لدوار واحد وهو دوار يرجانة.

أما آثار الدمار والمقابر الجماعية للدواوير الأخرى فلم نشاهدها، لكن الكثيرين من كبار السن ممن كانوا يسكنون تلك الدواوير ذكروا وجود الكثير من المقابر الجماعية والقرى المخربة داخل الغابات التابعة لتلك الدواوير، ولا أحد يعرف عنها شيئا.

يبدأ الجزء الثالث من المرحلة الثالثة من حملة سانت آرنو مثلما حصل في الجزء الأول بالقصيبة قرب الشقفة وبني عمران، أي بالقيام بمجزرة في بداية مسيرته في منطقة المثلث بمصب وادي الرمال (الميلية- القل)، وهو امتداد لمنطقة الشقفة التي خصصنا لها الجزء الأول من مرحلة (جيجل- القل)، ونبدأ كالعادة بما سجلته المصادر الاستعمارية، وأولها شارل فيرو (41) حيث يقول: "من 1 إلى 12 جويلية 1851 قام الجنرال سانت آرنو بعمليات في ساحل الوادي الكبير (وادي الرمال)، مارا بين الضفة اليمنى تارة والضفة اليسرى تارة أخرى، وهو يلاحق تجمعات المتمردين حيثما كانوا، فالطابور لم يترك أعداء خلفه".

أما التقرير الرسمي (42) المذكور سلفا فيتعرض لتفاصيل أكثر "في أول جويلية 1851 وصل الجنرال إلى بني بلعيد (43) حيث وجد المقاومين شاهرين أسلحتهم، فهاجمتهم قواتنا وقتلنا منهم أربعين.

وفي اليوم الموالي دخلت قواتنا إلى بني مسلم التي كان يدافع عن قراها الف وخمسمائة مقاتل. ولكن بعد معركة قصيرة جاء بنو مسلم يعرضون دفع الضريبة، وفي الليلة التي تلت ذلك، هوجم معسكر الجنرال سانت آرنو من طرف أولاد عيدون واولاد عطية، ولكنهم انسحبوا بعد الرد عليهم تاركين اثنتي عشرة جثة.

وفي يوم **4** جويلية انتقلت الحملة إلى عرش الجبالة الذين يحتلون التلال، وبسرعة تم الاستيلاء على مواقعهم وفرض عليهم وعلى بني فرقان الاستسلام.

وفي يوم **6** جويلية انتقل الجنرال سانت آرنو إلى مشاط. وهكذا فكل قبيلة كانت تريد يوم بارودها فلا تستسلم إلا عندما تقتنع بعدم جدوى المقاومة. ثم تقدمنا ببطء نختار المواقع التي تشرف على كل الاتجاهات.

وفي يوم **8** جويلية عسكرنا في الميلية بعدما اعترف بنا اولاد عيدون وأولاد علي وغيرهم".

"وفي يوم **12** جويلية غادرت حملة سانت آرنو الميلية متجهة نحو القل، حيث وصلتها يوم **18** جويلية بعدما خرب وأحرق جميع القرى التي وجدها في طريقه التابعة لأعراش المنطقة، ثم عاد إلى قسنطينة. وقد دامت جولته التخريبية حوالي شهرين ونصف.

I. النتائج العسكرية والسياسية لحملة سانت آرنو

الخلاصة العامة التي يمكن استخلاصها من المصادر الاستعمارية فيما يخص الجانب العسكري من حملة سانت آرنو تتمثل في الاعتراف بوقوع معارك شرسة مع مقاومة منظمة كانت تراقب تحركات سانت آرنو منذ خروجه من ميلة يوم **9** ماي **1851**، إذ كانت أعراش المنطقة كلها تتناوب على مقاومته والوقوف في طريقه. فضربته في أولاد عسكر وبني عيشة وألحقت بقواته خسائر فادحة في الأرواح، وكانت عازمة على منعه من التوغل في جبالها. ولكن الجنرال سانت آرنو بعدما عرف قوة المقاومة وشراستها تخلى عن أخلاق الحروب وقوانينها المعروفة في جميع العصور. وعاد إلى تطبيق نظرية بيجو المعروفة بسياسة الأرض المحروقة **(44)** وصار يعطي التعليمات إلى جنوده عندما يتوجهون نحو القرى على النحو التالي "دمروا، احرقوا، اقتلوا كل من تجدوه في طريقكم". ولذلك كانت نتائجه العسكرية خراب أغلب قرى المنطقة.

ورغم ذلك استمرت المقاومة، بدليل أنه بعد رحيله بشهر واحد فقط، عادت المنطقة إلى الغليان، رغم استسلام الكثير من الأعراش ظاهريا.

تلك هي النتائج العسكرية لحملة سانت آرنو، اما النتائج السياسية فلم تحقق تلك الحملة شيئا في نظر الوالي العام الجنرال راندون وفي نظر القادة العسكريين المحليين في جيجل وميلة. لانها لم تغير شيئا في ادارة أعراش المنطقة ، ولأن الجنرال سانت آرنو تفاوض في ميلة قبل انطلاق حملته مع روساء العائلات التي كانت تدير المنطقة أثناء العهد العثماني لمساعدته في اختراق جبال المنطقة مقابل السماح لهم بالبقاء في مناصبهم مثلما كانوا أثناء العهد العثماني. وحسب ما نستنتجه من المصادر الاستعمارية. فإن الجنرال سانت آرنو وسع نفوذهم، وعلى الخص عائلتي بن عاشور وبن عز الدين، إذ أصبحت المنطقة الممتدة من مصب وادي أغريون شرق بجاية إلى القل، ومن العين الكبيرة إلى القرارم مقسمة إداريا بين أربع عائلات: اثنان من المرابطين (مولا الشقفة وبن عرعور)، واثنان من الأجواد (الفرسان) وهما بن عاشور وبن عز الدين. فكانت أعراش جبال بابور وتابابورت وغيرهما تابعة لابن عرعور صهر الباشاغا المقراني صاحب مجانة، وامتدت نفوذ عائلة بن عاشور غربا إلى بني فوغال وبني يجيس وجيملة وبني عافر وشمالا الى بني فتح وبني حبيبي وغيرهم. واعراش شرق مدينة جيجل مثل بني سيار وبني معمر وبني يدر وغيرهم. فبقيت تابعة لمولا الشقفة، والمثلث الواقع ما بين مصب الوادي الكبير شرق سيدي عبد العزيز والقل وزواغة الذي يشتمل على أكثر من اثني عشر عرشا، منهم بني خطاب الشرقية وبني تليلان وبني توفوت واولاد عيدون وبني مسلم وغيرهم، فأصبح هذا المثلث تابعا لابن عز الدين صاحب زواغة.

فهذه هي العائلات وشيوخ العشائر التي وجدها الاستعمار تدير منطقة جيجل الريفية بطريقة تقليدية، وكانت إدارتهم مقتصرة على جمع أنواع الضرائب والفصل بين المتخاصمين ولذلك فعندما احتل الاستعمار مدن سطيف وميلة وجيجل اضطر إلى التعامل معهم ولو كان ذلك اضطرارا، لأنه كان يعرف اتصالهم الوثيق بمقاومة أحمد باي في الجنوب القسنطيني، وبعد استسلام هذا الأخير سنة **1848** اضطرت تلك العائلات إلى الاعتراف بالأمر الواقع وبدأ بعضها يعمل تحت إشراف ضباط المكاتب العربية المستقرة في مدن الإقليم مثل بجاية – جيجل- ميلة، وكان ضباط تلك المكاتب يطلبون منهم التصدي للمقاومين الذين يحاصرون المدن، ولكن تلك العائلات كانت ترفض ذلك الطلب، إما لأنها عاجزة عن الوقوف في وجه المقاومين، أو لأنها مؤيدة لهم.

ولذلك كانت العلاقة بين تلك العائلات وضباط المكاتب العربية متوترة دائما، وكانت تلك المكاتب تعمل دائما على تكسير تلك العائلات من الداخل، أو على الأقل إضعافها، وذلك بإغراء العشائر الصغيرة بالوظائف وبعض الامتيازات التجارية لتقوم بالعصيان

والتمرد ضد شيوخها التقليديين. وعلى الأخص تلك العشائر التي لم يكن لها شان اثناء العهد العثماني. وكانت جرائد تلك الفترة تنشر أخبار تلك الفتن بين سكان المنطقة الناتجة عن الدسائس والمؤامرات الاستعمارية، وهي "فرق تسد". ومنها على سبيل المثال ما كانت تنشره جريدة المبشر خلال سنوات 1848- 1853 عندما قام ضابط المكتب العربي بميلة سنة 1848 بتعيين بولخراس بن عز الدين قائدا (45) على بعض الأعراش الواقعة ما بين ميلة والميلية التابعة لعمه بورنان، بهدف تكسير العائلة من الداخل. كما عين ضابط مكتب جيجل بعض الشيوخ كمنافسين، لابن عاشور شمال فرجيوة ومولا الشقفة. كما كانوا يذكون نار الفتن بين عشائر وأعراش المنطقة. وقد وقعت فعلا عدة معارك ومناوشات شملت المنطقة كلها حينذاك، ومنها تلك التي وقعت بين عرش بني يدر من جهة وبني معمر واولاد بلعفو من جهة أخرى في سهل جيجل الشرقي التي كنا نسمع عن بعض وقائعها عندما كنا صغارا، لكن لا أحد من رواتها كان يحدد زمنها أو يتعرض لأسبابها. ولم تتأكد لنا حقيقة تلك المعارك إلا بعد الاطلاع على الجرائد الصادرة حينذاك، لأنها كانت تنشر أخبارها مفصلة. ولكن بخبث استعماري واضح (46).

هذا فيما يتعلق بالمنطقتين الخاضعتين لنفوذ بن عز الدين ومولا الشقفة. اما فيما يخص الأعراش الواقعة شمال فرجيوة وغربها التابعة لنفوذ اسرة بن عاشور. فما يزال إلى حد اليوم كبار السن من سكان تلك المنطقة يتداولون المعارك والمناوشات التي وقعت في عهد بوعكاز بن عاشور. وقد ذكرتها جريدة المبشر سنة 1852 (47). ورغم هذه الفتن والمؤامرات الخفية والعلنية. فقد بقيت تلك العائلات قوية، لما كان لها من رصيد اقتصادي وديني وخبرة إدارية في تسيير سكان الارياف وجمع أنواع الضرائب، ولهذا اضطر الجنرال سانت آرنو إلى الاعتماد على روسائها لاختراق جبالها من ميلة إلى جيجل، مخالفا بذلك رأي القادة العسكريين المحليين، إذ شكرهم بعد نهاية حملته العسكرية، ووسع نفوذهم، إذ اصبحوا يشرفون على قياد وشيوخ مناطقهم. فهم بمثابة خليفة له (48) مثلما كانوا خلفاء لباي قسنطينة. ومن الشخصيات التي برزت بعد حملة سانت آرنو من تلك العائلات عمر بن عرعور وسي الحسين مولا الشقفة وبوعكاز بن عاشور وبورنان بن عز الدين. وقد لقيت هذه الشخصيات معارضة شديدة من طرف أغلبية السكان، فقد اتهم خالفة بن عميروش شيخ الطهرية (49) سي الحسين مولا الشقفة بادخال جيش المحتل إلى بني يدر ووقعت بين الطرفين معارك (50)، كما ظهر من جديد بنواحي المنصورية وبني فوغال أنصار بوبغلة (51) يدعون لمهاجمة مدينة جيجل، كما رفضت أعراش الميلية والقل قيادة بورنان بن عزالدين (52).

وهكذا نلاحظ أنه بعد شهر واحد فقط من مغادرة سانت آرنو المنطقة، عاد إليها الغليان أكثر من السابق، ولذلك كانت النتائج العسكرية - رغم وحشيتها - وكذا النتائج السياسية غير مرضية بالنسبة للمعمرين وقادة الجيش المحليين، لأنها أرجعت الشأن لرؤساء العائلات التقليدية التي كانت سياستهم في السابق تتوخى إضعافها وخلق عائلات أخرى، ولأنها كانت دائما وراء كل الثورات التي وقعت في المنطقة طيلة السنوات العشر الماضية، كما تعد غير مرضية بالنسبة للوالي العام الجنرال راندون، لأن نتائجها السياسية تشكل عائقا في وجه الاستعمار المباشر وانتشار الاستيطان الذي يحاول تعميمه على كل أجزاء الجزائر، والخلاصة أن حملة سانت آرنو لم تكن ناجحة بالنسبة للسياسة الجديدة التي ستطبق على المنطقة، كما أنها لم تكن ناجحة في جانبها العسكري رغم الإبادات الجماعية التي سبق لنا التعرض لها. فبعد شهر واحد من مغادرته للمنطقة عادت الأعمال الثورية ضد المحتل وضد القياد الذين عينهم، وقد أشرنا سابقا الى بعضها، وقد عمت تقريبا جميع الأعراش.

ففيما يخص الأعراش المحيطة بجيجل من الغرب والجنوب الشرقي، استجاب الكثير من رجالها لدعوة الشريف مولاي محمد (53) الذي كان يدعو لثورة بوبغلة التي تدور في نواحي بجاية، وقد انضم إليها خالفة بن عميروش شيخ الطهرية إحدى عشائر بني يدر المهمة نكاية في سي الحسين مولا الشقفة الذي أصبح يعمل لحساب الفرنسيين(54).

أما الأعراش الواقعة على ضفاف الوادي الكبير وجنوب مدينة القل التي وضعها سانت آرنو تحت نفوذ بورنان بن عز الدين، فكان الغليان بها أكثر من المنطقة الغربية، كما ظهر بها ثائر آخر يدعى بوصبع، فالتفت حوله الأعراش الكبيرة مثل اولاد عيدون وبني توفوت، وبدأت فعلا أعمال المقاومة ضد مؤسسات المحتل في سهل جيجل وعلى ضفتي الوادي الكبير، ونتيجة لذلك جهز الجنرال ماكماهون حملة عسكرية لقمعها.

2- حملة ماكماهون (55)

بعد تعيينه على رأس ولاية قسنطينة بشهر واحد اتسعت الأعمال الثورية – كما أشرنا إلى ذلك آنفا – في الشمال القسنطيني كله، وأخطرها وقعت في منطقة الوادي الكبير بالميلية، ولهذا جهز الجنرال ماكماهون حملة عسكرية تعد الثانية في ظرف سنة، وكان سببها الرئيسي حسب جريدة المبشر ظهور الفساد والفتنة في تلك النواحي، إذ نشر يوم 30 ماي 1852 هذا النص: "إن أهل نواحي الوادي الكبير وجيجل تسببوا في الفساد والفتنة مرارا إلى أن حلت بهم عقوبة بعد عقوبة جراء فعلهم، لأنه في السنة

الماضية دخلت حملة سانت أرنو إلى بلادهم وألزمتهم الطاعة والانقياد. ولما رجعت الحملة عادوا الى سيرتهم الرديئة. ولاجل ذلك خرجت حملة ايضا من ميلة في يوم 21 رجب (يوافق شهر ماي 1852) تحت حكم جنرال العمالة (الولاية) ماكماهون - Mac) (Mahon ودخلت بلاد المفسدين وقطعت أشجارهم وحرقت ديارهم وافسدت زرعهم حرقا. وفي اول شعبان كانت ملاقات الحملة بالاعراش الذين اتفقوا على القتال. واصطفوا حول زعيمهم في قرى اولاد عواط وبني مسلم وأولاد عيدون. فهجم العسكر الفرنسوي على الاعراش المذكورة ودخلوها في الحال. فصارت ستة عشرة دشرة خرابا ورمادا، وقتلوا من المخالفين ما يزيد على المائتين ... ومع ذلك لا يزال العسكر مقيما ببلادهم واقفا على خراب أرضهم قبيلة بعد قبيلة خرابا كليا إلا إذا أذعنوا للطاعة وسلموا أنفسهم للدولة".

من خلال النص الذي نشرته جريدة المبشر نعرف الطريق الذي سلكته حملة ماكماهون. كما نعرف الدمار والخراب والقتل الذي تعرضت له الأعراش التي داهمها. وأغليها سبق لـ "سانت أرنو" أن دمر قراها.

أما الطريق الذي سارت عليه حملة ماكماهون فهي: ميلة. بني خطاب الشرقية. سيدي معروف. أولاد عواط. أولاد عيدون، بني مسلم. مشاط. بني توفوت. القل. ثم رجع إلى قسنطينة.

والخلاصة أن النتائج العامة لحملة الجنرال ماكماهون كانت كسابقتها. لم تحسم الموقف نهائيا، فقد بقيت هناك أعمال ثورية متفرقة، وعلى الاخص في منطقة الميلية والقل (56)، وكذلك في جبال بابور الغربية التي ستدفع الوالي العام راندون إلى قيامه بحملة ثالثة ضد منطقة جيجل.

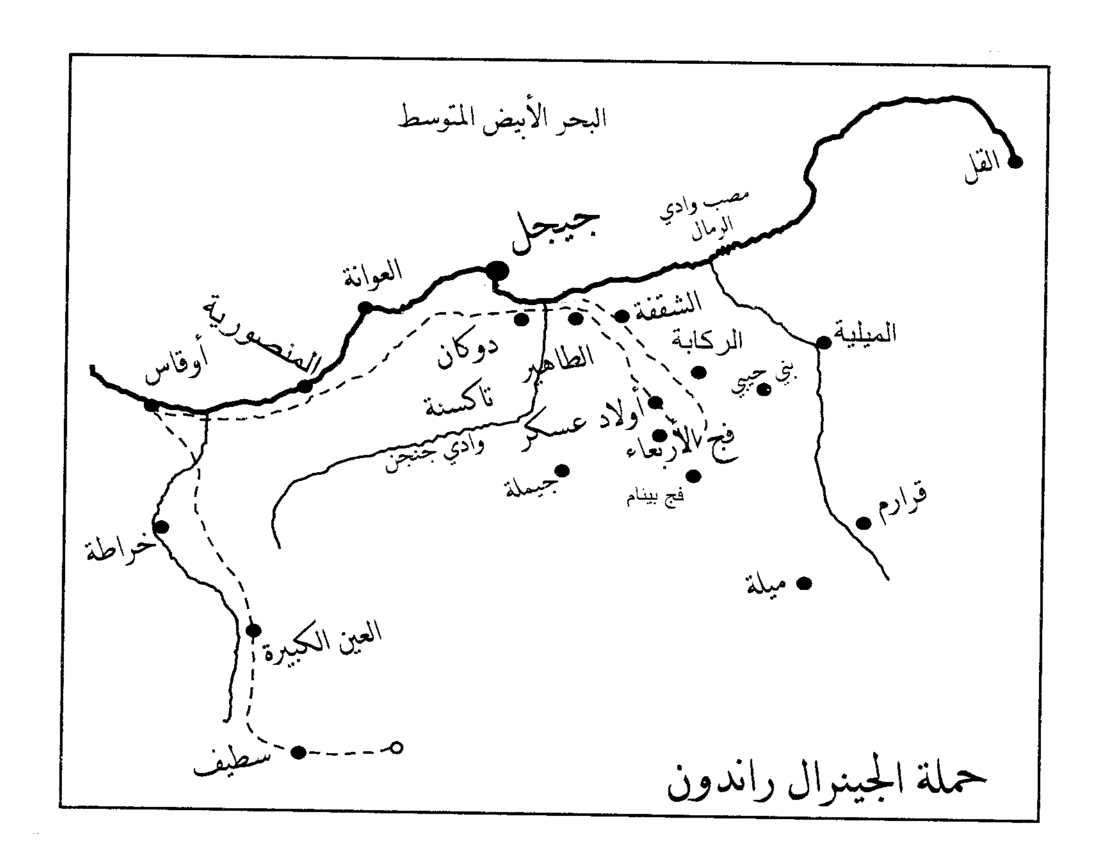
3- حملة الجنرال راندون (57)

بعد مرور عام واحد على حملة الجنرال ماكماهون على منطقة جيجل الشرقية قام الجنرال راندون الوالي العام بحملة ثالثة ضد منطقة جيجل قادها بنفسه. وكان سببها المباشر حسب شارل فيرو إيواء جبال المنطقة الثائرين وعلى الاخص الجبال التي ما زال الجيش المحتل لم يصل إليها مثل جبال بابور الواقعة في مثلث بجاية – جيجل – سطيف من جهة، والشروع في تطبيق الاستعمار المباشر وتوسيع الاستيطان واستغلال الثروات الغابية الهائلة من جهة أخرى.

وقد بدأ راندون حملته من سطيف. ففي يوم 18 ماي 1853 اجتمع فيها بجنراليـن: بوسكي الذي كان يخرب ويحرق قرى حوض الصومام التي يناصر أهلها الثائر بوبغلة، وماكماهون قائد إقليم قسنطينة. وبدأت المرحلة الأولى من هذه الحملة

يوم 19 ماي 1853، فكلف الجنرال بوسكي بمداهمة اعراش الضفة الغربية لوادي اغريون، ومنها جرمونة وبني محمد وغيرهما. وكلف الجنرال ماكماهون بأعراش الضفة الشرقية ومنها الدهامشة وبن مرعى وعموشه وبني فولكاي وغيرهم.

اما الجنرال راندون فسار في وسطيهما على الطريق الحالية التي تربط بين سطيف وبجاية. وكان هدف الحملة – كما سنلاحظه لاحقا – سياسيا اكثر مما هو عسكري. ورغم ذلك فقد احرقوا الكثير من القرى، كما قتلوا كل من يشكون فيه، وقد دام اختراق الحملة لمنطقة مستطيل سطيف – بجاية أكثر من اثني عشر يوما. إذ انتهت المرحلة الأولى من حملة راندون يوم 3 جوان 1853، حيث التقت الجيوش بسوق الاثنين شرق مدينة بجاية، وعسكرت هناك. وفي يوم 5 جوان وقف الجنرال يخطب على رجال منطقة بابور الذين تم حشدهم هناك لهذا الغرض. ففي البداية وجه كلامه لقواته التي انهت عملها القمعي قائلا لهم: "ها هو علم فرنسا يرفرف فوق القمم الجبلية التي كنا نشاهدها من معسكرنا بسطيف".



أما التي خصصها لرجال منطقة بابور فهي قوله إن "عصيانكم القديم يجب أن يتوقف، لكي يسود السلم في البلاد .. وبذلك تستحقون تسميتكم بخدام فرنسا"(58). وعندما انتهى من خطابه قدم له القادة العسكريون المحليون لمدن سطيف وبجاية وجيجل القياد والشيوخ الذين اختاروهم ليعينهم على أعراشهم وعشائرهم. فألبسهم برنوس الوظيفة (59). وتعد هذه المرة الأولى التي يحل بالمنطقة الوالي العام ويتصل بالسكان مباشرة. ويعني هذا في مفهوم المحتل غرس بذور الاستعمار المباشر ووضع حد لحكم وهيمنة الأسر التقليدية التي كانت تحكم المنطقة إثناء العهد العثماني، وسيكون هذا التعيين بداية لاستغناء الاستعمار عن خدماتها، وان كان في الظاهر جدد لهم العهدة، لكنه عين إلى جانبهم قياده وشيوخه.

وبالنسبة لمنطقة جيجل، فقد انتقلت إليها حملة الجنرال راندون يوم 6 جوان 1853. وكانت أول محطة عسكرت بها هي: زيامة منصورية التي بقي بها أربعة أيام بسبب الأمطار الغزيرة التي تساقطت على المنطقة، ولم تستطع الحملة الخروج منها إلا يوم 10 جوان وقضت ليلتها الأولى في اعالي تازة، وليلة 11 جوان في عرش العوانة.

وفي يوم 12جوان وصلت الحملة إلى بني قايد، وعسكرت في الهضاب المطلة على جيجل من الناحية الجنوبية. وفي يوم 13 من نفس الشهر عسكرت بالمرجة ببني خطاب. ونظرا لصعوبة اختراق جبال بني خطاب وبني عافر من الشمال إلى الجنوب، قرر قائد الحملة تقسيم الجيش إلى قسمين: القسم الأول بقيادة الجنرال بوسكي الذي أمر باحتلال السفوح الجنوبية لتلك الجبال، سالكا الطريق الحالي الذي يربط تاكسانة - فرجيوة، مارا بجيملة وفج أفدولس وفج باينام، وبذلك يطوق الأعراش الكبيرة من ناحية الجنوب، وهي أعراش بني خطاب وبني عافر وبني يدر.

أما القسم الثاني من الجيش فكان يقوده الجنرال ماكماهون الذي أمر باحتلال السفوح الشمالية لتلك الجبال. وحسب التصور الذي استخلصناه من المصادر الاستعمارية، فقد بدأ مسيرته من قاوس واتجه شرقا نحو مرتفعات الأمير عبد القادر، فوجانة جنوب الطاهير، ثم قطع وادي النيل. وعند اقترابه من الشقفة انحرف نحو الجنوب الشرقي، متجها نحو قمم جبال أولاد عسكر ليلتقي هناك في فج الاربعاء (60) بجيش الجنرال بوسكي الذي أتم دورته بجبال بني خطاب وبني عافر من الناحية الجنوبية. أما الجنرال راندون، فقد بقي في معسكره شرق مدينة جيجل عدة أيام في انتظار خضوع المنطقة التام للسلطة الاستعمارية وتأمين الطريق الصاعدة من سهل جيجل إلى قمم جبال أولاد عسكر. وبعد عدة أيام تم ذلك. وفي يوم 18 جوان التحق بالجنرال بوسكي في فج الاربعاء، وقد أعد له حفلا حاشدا يوم 29 جوان جمع فيه كل

أعيان أعراش المنطقة الشرقية، وألقى راندون عليهم خطابا طويلا. ومن جملة ما قاله لهم "... أيها القياد والشيوخ الذين سانصبهم، تذكروا الالتزام الذي تحملتموه من أجل خدمة فرنسا".

وبعد الخطاب وزع على القياد والشيوخ برانيس الوظيفة مثلما فعل بسوق الاثنين، ثم عاد إلى جيجل لينتقل منها إلى الجزائر عن طريق البحر.

يبدو من خلال تتبعنا لمسيرة حملة الجنرال راندون الضخمة، أنها لم تكن دموية مثل الحملتين السابقتين مع سانت آرنو ومكماهون، لأنها كانت تسير على حطام القرى المخربة والمقابر الجماعية التي خلفتهما الحملتان السابقتان. وكنا قد اشرنا سابقا إلى أن هدف الحملة سياسي، فهي تتوخى تعميم الاستعمار المباشر الذي يهدف إليه المستعمرون منذ بداية احتلالهم. ولهذا، فقد جاء دور منطقة جيجل لتطبيقه في الميادين الادارية والاقتصادية والاستيطانية. وهذا ما نلمسه من خلال تنصيب قياد وشيوخ جدد إلى جانب قياد وشيوخ العهد العثماني السابق. ويعد هذا التنصيب بداية للاستغناء عن خدماتهم، لأن المحتل لم ينس مساندتهم السابقة لمقاومة احمد باي ما بين سنوات 1837– 1848، وكذلك موقفهم السلبي تجاه الهجومات المتكررة على مدينة جيجل خلال تلك السنوات وبعدها. وها قد جاء دور تلك العائلات للتخلص منها وتبديل شخصياتها المشهورة بشخصيات أعدت خصيصا لخدمة أهداف الاستعمار المباشر وتكون على شاكلة تلك الشخصيات التي سيستغني الاستعمار عن خدماتها بعدما تعامل معها بمكر وخداع خلال السنوات التي تلت احتلال مدينة جيجل.

ومن أهم الشخصيات الجديدة التي أعدتها المكاتب العربية في جيجل وبجاية وسطيف (61) لا ستخلاف شخصيات العهد العثماني سي بلقاسم بن حبيلص (62) في جبال بابورالغربية مثل بني فوغال وغيرها، وسي عمار بن جمام وصالح بوسديرة وبوجمح بن منيع في سهل جيجل الشرقي والجبال المحيطة به، وسي احمد بن نبلي وساعد بن جامع في منطقة الميلية والقل. كما كان إلى جانب تلك الشخصيات بعض الأسماء التي نوهت بخدماتها المصادر الاستعمارية مثل سي طوبال شيخ أولاد عواط ويدور شيخ بني حبيبي، ولكن دورهذه الشخصيات كان ثانويا. وقد توارث أفراد من سلسلة تلك الشخصيات منصب قيادة الدواوير ومشيخة القرى والمداشر إلى بداية الثورة التحريرية سنة 1954.



المكتب العربي بعنابة : نلاحظ الظابط الفرنسي وسط أعيان مدينة عنابة



محكمة أهلية : نلاحظ الظابط الفرنسي يتوسط القاضي ومعاوناه

وقد بدأت الإدارة الاستعمارية المحلية في التخلص من شخصيات العهد العثماني بعد حملة راندون مباشرة، إذ بدأت في عزلهم عن وظيفتي القيادة والمشيخة سنة 1853 واستمرت في مضايقتهم إلى سنة 1871، حيث قضت على آخر ما بقي لهم من نفوذ ديني أو اقتصادي، إذ محت من الوجود كل الزوايا التي كانت تابعة لهم، كما صادرت كل أملاكهم.

اما الشخصيات الجديدة السالفة الذكر التي بدأت ادارة الاحتلال في إعدادها لتخلف الشخصيات القديمة فنلمس ذلك الإعداد من خلال ما كانت تنشره جريدة المبشر من التنويه بخدماتها ومنحها الأوسمة والنياشين (63). وكانت أول شخصية من عائلات العهد العثماني يستغني الاستعمار عن خدماتها في منطقة جيجل هي عائلة المرابط مولا الشقفة. ففي سنة 1853 عزلت الإدارة الاستعمارية أبناء سي احمد بن الشريف من وظيفة القياد وأبعدتهم إلى جزيرة ماركريب بالمحيط الهادي، بعد اتهامها أخاهم الأكبر سي الحسين قائد عرش بني يدر بمؤامرة اغتيال الحاكم العسكري لمدينة جيجل الكولونيل روبير (64)، وقد تعرض لتفاصيل تلك المؤامرة المزعومة شارل فيرو في كتابه تاريخ مدينة جيجل، كما كتبت عنها جريدة المبشر الصادرة في 15 نوفمبر 1853. وحسب ما نستنتجه من تفاصيل تلك المؤامرة فإننا نعتقد أنها من صنع ضابط المكتب العربي والقياد والشيوخ الجدد، وهذا ما تشير إليه بوضوح هذه الجملة التي أوردها شارل فيرو وهي: "إن القائد سي الحسين مولا الشقفة هو وراء هذه الخديعة لحقده على القياد من جيرانه".

ونفس الشيء فعلته الإدارة الاستعمارية لعائلتي بن عاشور وبن عز الدين، فحوالي سنة 1856 جردت بوعكاز بن عاشور من جميع الصلاحيات، وطلبت منه الإقامة في مدينة قسنطينة إلى جانب القائد العسكري لعمالة قسنطينة، وتركت له الإشراف على مقاطعته من بعيد. أما بورنان بن عز الدين فقد عزلته نهائيا حوالي 1856، وأعطت رئاسة العائلة إلى ابن أخيه بولخراس المقرب من الإدارة الاستعمارية، هذا ريثما يأتي الوقت المناسب لتتخلص منهما مثلما فعلته بعائلة مولا الشقفة.

4 – الاستعمار المباشر في منطقة جيجل

عندما أنشأت الإدارة الاستعمارية المكاتب العربية في جيجل وفي المدن المحيطة بمنطقتها مثل ميلة وبجاية وسطيف، جعلت من مهامها الرئيسية تكوين رجال جدد لتعويض العائلات التقليدية التي كانت ترى بأن بقاءها في إدارة أرياف المنطقة يعد عائقا لتنفيذ الاستعمار المباشر. وقد أشرنا سابقا إلى التخلص من عائلة مولا الشقفة. وقد جعلت تلك الإدارة من مهام أولئك الرجال الجدد الذين كونتهم المكاتب العربية

تنفيذ سياسة الاستعمار المباشر في الميدان الإداري، ولذلك عينت على رأس كل عرش قائدا. كما عينت إلى جانبه شيوخا ووقافين على رأس كل قرية من قراه لمساعدته في التحكم في جميع سكان العرش ومعرفة كل كبيرة وصغيرة تجري في وسطهم، وبذلك تصبح جميع تحركات سكان العرش معروفة لدى القائد . وبالتالي لدى ضباط المكتب العربي المسؤول المباشر على القياد. فمثلا عرش بني يدر. بعدما عزل قائده السابق سي الحسين مولا الشقفة، عينت الإدارة الاستعمارية مكانه قائدا يدعى أحمد بن الحاج، وعينت إلى جانبه ثلاثة شيوخ على رأس العشائر التي يتكون منها العرش، فالشيخ بن عميرش على عشائر الطهرية، وأولاد عمر وأولاد علال وغيرهم. والشيخ بولحبال على عشائر بني غزلي والشيخ بن سي محمد على عشائر أولاد خلاص (65). وقد أعطتهم بعض المهام التي تدعم بها الاستعمار المباشر كتنظيم السكان لحراسة المستعمرات الاستيطانية التي أنشأتها في وسطهم وحراسة الغابات من الحرائق أثناء فصل الصيف، وإجبارهم على السخرة لشق الطرقات الجديدة وصيانة القديمة وبناء الحصون العسكرية وقرى المعمرين، كما كونت لهم فرقا عسكرية تسمى القوم (ومنه القومية)، وكانت تلك الفرق تشارك في الحملات العسكرية القمعية التي يقوم بها الجيش المحتل لإخماد الثورات التي كانت تشتعل بالمنطقة بين فترة وأخرى. ومن بين القياد والشيوخ الأوائل الذين أشادت بأعمالهم وشجاعتهم المصادر الاستعمارية في منطقة جيجل بين سنوات 1853– 1872 سي عمار بن جمام وصالح بوسديرة (66) وبوجمح بن منيع وسي بلقاسم بن حبيلص، وفي منطقة الميلية ساعد بن جامع (67) وسي احمد بن نيني.

وبواسطة هؤلاء القياد والشيوخ غرست الإدارة الاستعمارية بذور الحكم المباشر لسكان الشمال القسنطيني كله.

وقد بقيت التنظيمات الإدارية التي حكم بها المحتلون الاعراش في هياكلها ومهامها كما هي إلى سنة 1954، أي بداية الثورة التحريرية. أما بالنسبة لسياسة الاستيطان فقد مهد له الاحتلال بترميم الطرق القديمة وتوسيعها وفتح طرق جديدة. ففي سنة 1854 تم توسيع الطريق الرابط بين جيجل وقسنطينة عبر الطاهير - الشحنة - أولاد عسكر - بينام - وميلة، كما شرع في فتح طريق جديد عبر تاكسانة - جيملة - ميلة، وطريق آخر عبر العوانة - تاباپورت - بجاية - سطيف، بالإضافة إلى الطرق الثانوية التي تربط بين القرى والمداشر.

وبعد هذا التمهيد للبنية التحتية التي أقامتها الإدارة الاستعمارية بدأت وفود المستوطنين تغزو المنطقة، فوزعت على الأوائل منهم الأراضي الخصبة الواقعة على ضفاف مصبات الوديان شرق مدينة جيجل، مثل وديان المنشا وجنجن والنيل والشقفة.

كما وضعت النواة الأولى لقرى المعمرين مثل دوكان (قاوس حاليا) والطاهير. وأدخل المعمرون إلى المنطقة الزراعات الصناعية مثل القطن والدخان وبعض الزراعات التي كانت غير معروفة، كما أدخلوا بعض الأشجار المثمرة التي كانت غير معروفة مثل أشجار القسطل وغيرها، وتم توزيع مساحات واسعة من الغابات على الشركات والأفراد، ففي بني فوغال منحت 7،700 هكتار من غابات الفلين (أشجار البلوط) والزان لشركة لا كروا (Lacroix) وفيرلو(Virloy)وبوفارني.

وفي بني مجالد منحت 500،5 هكتار إلى شركة فرنون وشمال (Chemalle). وفي بني عمران منحت 4،800 هكتار إلى نود (Naud) وشركائه، وفي العنصر غرب الميلية منحت آلاف الهكتارات للسيدين بوك ولاكروا (Bouk – Et- Delacroix)، والشيء نفسه بالنسبة لغابات القل وغرب سكيكدة. ولضمان أمن المستوطنين في سهل جيجل وضمان استغلال الثروات الغابية التي وزعت عليهم، أنشأ الجيش المحتل ما بين سنوات 1854 - 1865 سلسلة من الابراج العسكرية على قمم الجبال الممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب القل. ليراقب منها تحركات السكان في السفوح الشمالية والجنوبية لتلك الجبال. ففي سنة 1854 شيد القائد العسكري لمدينة جيجل أبراج تاكسانة وشحنة بني عافر وبرج الطهر ببني يدر، وبذلك يصبح سهل جيجل مراقبا من الغرب والجنوب والشرق، كما شيد ما بين سنوات 1855- 1864 ابراج تاكيتونت جنوب خراطة وتبابورت في أعالي جبال المنصورية وبرج بني عيشة جنوب العنصر وبرج الميلية وبرج بونغرة جنوب غرب القل، وبذلك يصبح سهل جيجل الشرقي والغابات الهائلة في سفوح الجبال مراقبة كليا من طرف الجيش المحتل. وقد حولت الإدارة الاستعمارية هذه الأبراج بعد استقرار المنطقة والقضاء التام على جميع الثورات إلى مراكز لحراسة الغابات، مع المحافظة على الطابع العسكري في بنائها وفي لباس وأسلحة حراسها. وكان عددهم قبل الثورة التحريرية لا يتجاوز الثلاثة، اثنان أوربيان والثالث جزائري(68).

هذه هي الأسس التي بنى عليها الجيش المحتل استعماره المباشر لمنطقة جيجل: انشاء ادارة مباشرة للسكان، غرس المستعمرات الزراعية في الأراضي الخصبة واستغلاله للثروات الغابية.

1) زلزال سنة 1856

من بين الأحداث والكوارث الطبيعية الكبيرة التي وقعت في منطقة جيجل زلزال سنة 1856. ففي ليلة 21- 22 أوت 1856 ضرب زلزال قوي مدينة جيجل والقرى والمداشر القريبة من المدينة كلها بما فيها المساجد والقلاع الأثرية الجنوبية والشرقية،

وقد استمرت الهزات الأرضية الخفيفة عدة أيام. أما القرى والمداشر القريبة من مركز الهزة الأرضية فلم تشر إليها المصادر الاستعمارية عدا ما ذكرته من أن بعض المرابطين قاموا بالدعوة إلى الجهاد بعد الزلزال مباشرة بدعوى أن ذلك الزلزال علامة من علامات غضب الله على المحتل المسيحي.

وفي هذا الصدد كتب شارل فيرو هذه الفقرة (69) "حاول بعض الخرافيين أن يزرعوا القلق والاضطراب في أذهان الناس، وصاروا يطلقون الدعايات ضدنا في كل مكان بقولهم: إن هذا الزلزال هو حجة واضحة على غضب الله الذي قلب منازل المسيحيين على رؤوسهم. ومن حسن الحظ أن القبائل لم تسمع إليهم وظلت هادئة، ولكننا كنا نتخيل النتائج الوخيمة التي كان يمكن أن تحصل لو استمعوا إليهم. ولكن القبائل البائسة الهائمة في البساتين كانت مهتمة بنتائج هول الكارثة" (70).

نلاحظ من خلال هذه الفقرة الإشارة إلى هيام القبائل داخل البساتين، مما يعني أن قراهم قد دمرت مثل مدينة جيجل.

2) نتائج الاستعمار المباشر على المنطقة

بعد مرور سنة على نكبة الزلزال ، بدأت تظهر للعيان النتائج الخطيرة لسياسة الاستعمار المباشر التي شرع الجنرال راندون في تطبيقها على منطقة جيجل.

ففي الميدان الإداري أصبح جميع السكان مهيكلين في تنظيم إداري محكم يشرف عليه مباشرة قياد وشيوخ ووقافون يتلقون التعليمات مباشرة من ضباط المكاتب العربية. وبواسطة هذه الشبكة من الأعوان أصبحوا يطلعون على كل كبيرة وصغيرة تجري داخل الأعراش، إلى درجة أنه حتى العنزة عندما تلد داخل عرش من الأعراش يعرفون ذلك.

ونتيجة لما تعرض له جميع سكان المنطقة سابقا أثناء الحملات العسكرية السابقة من قمع وقتل وتشريد وما يتبعها من فقر وبؤس وعدم استقرار، استغل ضباط المكاتب العربية هذه الظروف السيئة لما بقي من السكان أحياء، وصاروا يغرونهم بالتطوع في الجيش وينظمونهم لحراسة المستعمرات التي أنشئت حديثا، وحراسات الغابات مقابل اجور زهيدة.

هذه هي النتائج الإيجابية الناجمة عن تطبيق سياسة الاستعمار المباشر حسب ما يراه المحتل. أما بالنسبة للجزائريين فقد اشتد عليهم الخناق من جميع الجوانب - حسب ما ذكرناه سابقا – بالإضافة إلى حرمان ماشيتهم من الرعي في الغابات التي كانت مجالا واسعا لهم عبر القرون. وكانت أهميتها لهم أكثر من الأراضي السهلية.

لأنهم كانوا يرون أنها غير صحية لهم ولحيواناتهم، ولذلك لم يتأثروا كثيرا عندما وزعها المحتل على المعمرين الأوائل، فهي عكس الأراضي الجبلية الغابية، ولذلك غضبوا وعم السخط المنطقة الجبلية الممتدة من بجاية إلى القل بعدما منعوا من الرعي في غاباتها.

وفي نهاية شهر جوان سنة 1858 اجتمعت الأعراش الشرقية بالميلية وقررت القيام بانتفاضة ضد المحتل، وأعلنت العصيان المدني، لأن المقاومة العسكرية التي كانت تقوم بها في السابق أصبحت غير مجدية، بسبب تفوق المحتل عددا وعدة، ولهذا غيرسكان الأعراش أسلوب المقاومة وأشعلوا الحرائق في يوم واحد في الغابات الممتدة من بجاية إلى القل وامتنعوا عن دفع جميع أنواع الضرائب ورفضوا الاعتراف برجال الإدارة المحليين المعينين حديثا من قياد وشيوخ. وقد اغتيل بعضهم، والبعض الآخر فر إلى أقرب مركز عسكري قريب منه.

3) قمع انتفاضة السكان وتأسيس برج الميلية

لقد استمر العصيان المدني طيلة صيف 1858 وعم الغضب الشمال القسنطيني كله، والتجأ المعمرون إلى مدن المنطقة كجيجل وميلة وغيرهما، وأصبح الدخول إلى المنطقة محفوفا بالمخاطر، وازدهرت تجارة الأسلحة والذخائر من بارود ورصاص في الأسواق المحلية، كما قطعت الأسلاك التلغرافية الرابطة بين جيجل وقسنطينة، وأصبحت سلطة الاحتلال منعدمة تماما في المنطقة، مما يعني أن السكان كانوا يستعدون لعمل مسلح، ولهذا قرر القائد العسكري لإقليم قسنطينة استباق الأحداث والإعداد لحملة عسكرية رابعة تشبه تلك الحملات التي قادها سانت آرنو وماكماهون وراندون، ولذلك كلف الجنرال كاسطوا (Castu) للقيام بها. وفي الحين جهز جيشا بأكثر من سبعة آلاف رجل، قادما من قسنطينة في بداية شهر نوفمبر 1858 وعسكر به غرب القرارم على ضفاف الوادي الكبير.

وتدعي المصادر الاستعمارية مثل جريدة الأخبار، والمؤرخ شارل فيرو (71) بأن الأعراش التي عسكرت الحملة بالقرب منها قد قدمت إليها وأعلنت الطاعة ودفعت ما عليها من غرامات وضرائب، ومن هذه الأعراش بني تليلان وعشائرمن بني خطاب وبني صبيح وغيرهم. ونفس الشيء وقع عندما وصلت حملة كاسطو إلى الميلية، فقد تقدم إليها أعراش أولاد عيدون وأولاد عواط ومشاط وغيرهم، ولكي لا تتكرر الأعمال المعادية للمحتل بالمنطقة قرر الجنرال كاسطو إنشاء مركز ثابت للجيش المحتل في وسط عرش أولاد عيدون الذين تزعموا تقريبا كل الثورات التي قامت على ضفاف الوادي الكبير، ولذلك أمر ببناء برج الميلية (72) ليكون مركزا دائما للجيش المحتل

لمراقبة سكان ضفاف الوادي الكبير عن قرب. (يعد هذا البرج الذي ما يزال الى يومنا هذا النواة الأولى لمدينة الميلية الحالية، وكان طيلة الاحتلال ثكنة للدرك، وهو اليوم مقر للبلدية).

4) عـودة الأعمال الثورية

رغم تمركز الجيش المحتل في أغلب المواقع الاستراتيجية المحيطة بمنطقة جيجل، الا ان العمل الثوري عاد من جديد وعم جميع أنحاء المنطقة.

ففي أواخر سنة 1859 قطعت الطرقات من جديد ما بين قسنطينة وجيجل وبينها وبين سطيف وبجاية. كما قطعت اسلاك التلغراف، وهوجمت المواقع العسكرية في فج الاربعاء بأولاد عسكر وموقع الميلية الجديد وغيرهما.

ولهذا قرر قائد إقليم قسنطينة الجنرال ديفو (Devaux) تنظيم حملة عسكرية يقودها بنفسه ليعاقب السكان الذين تتجدد ثورتهم كل سنة. وفي نهاية شهر ماي سنة 1860 جهز جيشا يتكون من حوالي عشرة آلاف جندي، واتجه به نحو مكان اجتماع الأعراش بسيدي معروف وسط عرش بني خطاب. وتدعي المصادر الاستعمارية (73) وقوع معارك شرسة بين الطرفين أسفرت عن قتل المئات من المقاومين، ولكن تلك المصادر لم تذكر إصابات أفراد الجيش المحتل الذي واصل مسيرته غربا ودخل اراضي قرية عرب تاسقيف (74) الواقعة غرب حمام بني هارون شرق الميلية. وطبقا لوثيقة حكم صادرة عن المجلس العسكري لمدينة قسنطينة سنة 1861 (75) فان حملة الجنرال ديفو قد شتتت قرية عرب تاسقيف فقتلت من قتلت والباقي منهم صادرت أملاكهم ووضعت بعضهم في سجن الكدية بقسنطينة والبعض الاخر نفي إلى أماكن بعيدة، ومنهم من أبعد إلى عمالة وهران. وحسب نص الحكم، فان التهمة الموجهة لهم هي الجهاد ضد المحتل خلال سنوات 1859- 1861. ونورد هنا فقرة من نص الحكم المتعلق بالتهمة: "لقد تبين أن عرش عرب تاسقيف كان مجتهدا في الفساد الواقع في الوادي الكبير خلال السنوات الممتدة من 1859- 1861".

وبعد ذلك دخل أولاد عيدون وأولاد عواط وبني مسلم، وأحرق قراهم وقتل كل من شك فيه، كما فرض غرامات باهظة على سكان تلك الأعراش التي داهمتهم الحملة، ثم انحرفت الحملة جنوبا وقطعت أراضي بني عيشة وبني فتح متجهة نحو اولاد عسكر لتعاقبهم على مهاجمة المركز العسكري الذي نصب حديثا بفج الاربعاء الواقع في أراضيهم. وقد وصلت الحملة يوم 17 جوان 1860 الى برج الطهر في وسط عرش بني يدر. وهناك وصلتها أخبار بمهاجمة المقاومين الثائرين لموسسة الغابات التابعة للمعمرين "بوك ولاكروا" الواقعة بالعنصر، حيث احرقت عن آخرها وقتل جميع

المعمرين العاملين بها. ولذلك اضطر الجنرال ديفو قائد الحملة الى العودة الى ضفاف الوادي الكبير لينتقم للمعمرين الذين قتلهم الثائرون وصب جام غضبه على اعراش بني مسلم ومشاط وبني بلعيد، واعتبرهم مسوولين عن الحادث، لأنهم الاقرب الى العنصر. ولذلك أحرق كل قراهم وقتل كل من وجده في طريقه. وبعدها اتجهت قوات الحملة إلى ناحية القل، وعند وصولها إلى بني توفوت هوجمت من كل الجهات، فاضطر الجنرال ديفو إلى البقاء هناك عدة أيام لاحراق القرى ومتابعة المقاتلين الثوار الذين هاجموه، وبعدها عاد إلى قسنطينة ظانا أنه أرجع الأمور الى نصابها بفضل القساوة المفرطة التي استعملها في قمع الأعراش الثائرة، ولكن استيلاء المحتل على جميع المجالات الحيوية للمنطقة، وعلى الأخص الغابات، جعلهم يستميتون لاستعادتها، ولذلك كانت ثوراتهم تختفي عندما تحل قوات القمع الاستعمارية بالمنطقة وتعود عندما تنسحب منها.

5) ثورة زواغة ونهاية عائلتي بن عاشور وبن عز الدين

لقد بدأت ثورة زواغة يوم **17** مارس **1864**، إذ هجم حوالي ألف مقاتل بقيادة الشيخ محمد مقدم الطريقة الرحمانية على برج قائد زواغة سي حمو ولد علي الذي كان غائبا. فنهب القصر وأحرق الكثير، وعندما سمع قائد حامية ميلة جهز جيشا وسارع لقمع الثورة، فانسحب المقاتلون إلى جبال أولاد عسكر وبني فتح وبني خطاب، وطلبوا من سكانها الانضمام إليهم، فلاحقهم الجيش المحتل، ولذلك تفرقوا وتركوا المقدم سي محمد وحده، حسب المصادر الاستعمارية الوحيدة، في هذا الميدان، ولذلك اختفى عن الأنظار. فعاد قائد الحامية إلى ميلة وترك أمر متابعة الثائر سي محمد إلى القائد سي بلقاسم بن حبيلص الذي أعده الفرنسيون لمثل هذه المهام، فقد أمدوه بالمال والعتاد الحربي، فأصبح له نفوذ كبير في أعراش المنطقة الممتدة من جبال بابور ببني فوغال إلى بني صبيح جنوب الميلية، وكان هدفهم من ذلك الدعم ضرب العائلتين التقليديتين بن عاشور صاحب فرجيوة وبن عز الدين صاحب زواغة. وبعد عدة أيام نجح سي بلقاسم بن حبيلص في إلقاء القبض على الثائر المقدم سي محمد الذي كان مختبئا بغابة في عرش بني خطاب الشرقية، وأرسله إلى الميلية ومنها أرسل إلى قسنطينة، وبذلك انتهت ثورة زواغة.

بعدما وصل الثائر المقدم مولاي سي محمد إلى القائد العام بقسنطينة، قامت أجهزة هذا الأخير بالتحقيق معه، ونشرت نتائج ذلك التحقيق بعدما أعدته إعدادا خاصا، وهو عبارة عن تقريظ طويل يدين صراحة العائلتين العريقتين بن عاشور وبن عز الدين بأنهما كانتا وراء ثورة مولاي المقدم سي محمد. والأخطر من ذلك اتهامهما بأنهما

وراء كل الثورات السابقة، إذ تقول إحدى فقرات التقرير الطويل الذي نشرته جريدة المبشر يوم 22 أوت 1864 "فهذه المرة تيقنا بأن الذي كان يحرض القبائل على رفع السلاح ضدنا هما: بولخراص بن عز الدين وبوعكاز بن عاشور".

أما فيما يخص ثورة مولاي سي محمد، فقد ورد فيه: "لقد اعترف مولاي محمد عندما سئل عن فعله فأجاب مسرعا... عن الناس الذين حرضوه وهما: بولخراص بن عز الدين قائد ميلة وبوعكاز بن عاشور شيخ فرجيوة... الخ. ونظرا لهذا الاعتراف من مولاي محمد، اتضح لنا معرفة رؤوس الفتنة، ولذلك ألقي القبض على بولخراص بن عز الدين وبعض أقاربه، ومنهم الحاج محمد بن عز الدين قائد بني يدر، (76) وكذلك بوعكاز بن عاشور شيخ فرجيوة حين تأهب للخروج من قسنطينة. وقد أبعدوهما ومعهما أكثر من 35 شخصا من عائلاتهم ومؤيديهم. ونفي البعض منهم إلى عمالة وهران".

وهكذا قضى الاستعمار الفرنسي على رجال العهد العثماني الذين وجدهم يتوارثون سلطة الأعراش الريفية. وقد بدأ بالقضاء على أسرة المرابط مولا الشقفة سنة 1853، واليوم جاء دور عائلتي بن عاشور وبن عز الدين للتخلص منهما وفرض الرجال الجدد لقيادة الأعراش بالأسلوب الذي يراه الاستعمار مناسبا لسيطرته على المنطقة. وقد بقيت تلك العائلات تتوراث القيادة إلى بداية الثورة سنة 1954، ولكن بصلاحيات محدودة جدا.

6) النتائج السياسية والاجتماعية بالنسبة للمعمرين والجزائريين

تعد هذه الفترة بالنسبة للجانب الاستعماري عشرية ناجحة، فقد تم القضاء على أغلب رجال الأسر العريقة التي كانت تحكم المنطقة الريفية أثناء العهد العثماني. وظهرت على مسرح الأحداث الشخصيات الجديدة التي أشرنا إليها سابقا والتي قدمت خدمات معتبرة للاستعمار ليبسط سيطرته السياسية والاقتصادية على المنطقة الريفية. وتعتبر العشرية الأخيرة للمرحلة الأولى من الوجود الاستعماري بمنطقة جيجل عشرية هادئة بالنسبة للعشريتين السابقتين، إذا استثنينا أحداث زواغة التي لم تطل كثيرا، مما يعني نجاح السياسة الاستعمارية في الميدان العسكري، كما تعد تلك السنوات ذهبية بالنسبة للشخصيات الجزائرية التي اعتمد عليها الاستعمار في إدارة المناطق الريفية، فقد ترك لهم صلاحيات الشرطة، أي الحفاظ على الأمن في مناطقهم وجباية الضرائب والقضاء، كما أمدهم بالأموال والأراضي المصادرة من الثائرين. وقد منحهم نابليون الثالث إمبراطور فرنسا بعد الزيارتين الأولى والثانية للجزائر. فبعد زيارته الأولى سنة 1860 منح وسام الشرف للسيدين صالح بوسديرة وسي عمار بن

جمام. وبعد الثانية سنة 1865 منح اوسمة لمجموعة من قياد المنطقة، منهم سي بلقاسم بن منيع قائد بني عمران، ومحمد بن عرعور قائد تابابورت، وسي عمرو بن حبيلص قائد بني فوغال، وسعيد بن احمد قائد اولاد عواط.

كما استغل الاستعمار هذا الهدوء النسبي للتغلغل داخل المنطقة، وذلك بمد الطرقات الرئيسية والفرعيةعبر المناطق الريفية، فقد فتح الطريق الرئيسي قسنطينة- جيجل المار عبر الفرارم- الميلية للعربات التي تجرها الخيول. والى جانبه الخط التلغرافي جيجل- قسنطينة، كما وسع الطريق القديم الذي كان يربط قسنطينة- جيجل عبر أولاد عسكر وشحنة بني عافر للبغال والراحلين، كما بدأ في شق الطريق الساحلي الذي يربط جيجل- بجاية.

ونفس الشيء بالنسبة للطريق الجبلي الرابط بين جيجل وفرجيوة عبر تاكسانة، وكذلك الرابط بين جيجل وسطيف عبر بابور.

كما بدأت السلطات الاستعمارية في استغلال الثروات الغابية، وعلى الأخص قشور أشجار البلوط التي تغطي جبال المنطقة، فقد جندت آلاف العمال لتقشيرها وجمعها ونقلها إلى مواني القل وجيجل وبجاية لتسويقها إلى فرنسا والبلدان الأوربية، كما استغلت أشجار الزان لاستخدامها كأعمدة للخطوط التلغرافية ولخطوط السكة الحديدية، وكذلك شجيرات (الخنج) في صناعة قصبات التدخين (الپيپا)، لأن جذوع هذه الشجيرات متينة تشبه الحديد.

كما أدخلت إلى المنطقة بعض وسائل الإنتاج الفلاحي الحديث بالنسبة لذلك الوقت كالمحراث الحديدي الذي يجره أربعة ثيران ومعاصر الزيتون الآلية ومطاحن الحبوب.

وبالإضافة إلى هذا، أدخلت إلى المنطقة بعض المزروعات التي لم تكن معروفة من قبل كالبطاطس، فقد جربت في مناطق القل والميلية وجيجل، وأعطت منتوجا وافرا.

أما في الميدان العمراني فقد خطط المستعمر لبناء مدينة جيجل الجديدة، بعدما دمر زلزال سنة 1856 المدينة القديمة التي كانت جاثمة على لسان صخري مثلث الشكل ممتد داخل البحر.

فاستغل المحتل هذه الكارثة الطبيعية وأقام على أنقاضها بناء مدينة جيجل الحالية والثكنة العسكرية الحالية كذلك.

أما المدينة الجديدة فقد خطط لها خارج اللسان الصخري في الحقول والبساتين التي كانت تمتد من دار البلدية الحالية إلى فندق كتامة. كما قلد القياد وبعض الأعيان من الأهالي الفن المعماري الفرنسي الحيدث في بناء الأبراج المحصنة داخل أعراشهم مستعملين الإسمنت والحديد بدل الطين والخشب، وأصبحت تلك الأبراج مشهورة، حيث

تشاهد من بعيد مثل برج بوجمحة بن منيع في تاكسانة، وبرج بن حبيلص في بني فوغال، وبرج بوسديرة قرب الطاهير، وبرج بن نيني في بني توفوت وبرج بن جامع في أولاد عطية.

وقد ازداد عدد المعمرين في مدينة جيجل وفي إقليمها الجغرافي، إذ نزل بها الكثير من المنفيين في أحداث سنة 1852 الذين تخلصت من مشاغباتهم الإمبراطورية النابليونية، فقد جعلت الجزائر مكانا هاما للتخلص من معارضتهم لها، ومنها منطقة جيجل، كما خصصت تلك الإمبراطورية ميزانية ضخمة لتشجيع الجنود الذين ينهون الخدمة العسكرية باستيطان الجزائر بعد إعانتهم على الزواج، ثم منحهم منازل جاهزة والعشرات من هكتارات الأراضي الخصبة وحيوانات وأموالا ...الخ.

كما كانت تشجع المهمشين والمنحرفين على الهجرة إلى الجزائر لتحسين أوضاعهم الاجتماعية. ولم يقتصر تشجيع الهجرة إلى الجزائر على الفرنسيين فقط، بل تعدت إلى الجنسيات الأوربية، إذ كانت سلطات الاحتلال تنشر في صحف الدول الأوربية إعلانات مغرية للسكن في الجزائر، وقد لقيت تلك الإعلانات استجابة واسعة، وعلى الأخص لدى الأسبان والإيطاليين والمالطيين. وقد بلغ عدد سكان مدينة جيجل وضواحيها سنة 1866 أكثر من سبعمائة أوربي: 511 فرنسيا، 202 من جنسيات أخرى(77).

النتائج التي تطرقنا إليها آنفا تتعلق بالطرف الاستعماري التي تعتبر الحصيلة بالنسبة إليه إيجابية، أما بالنسبة للطرف الجزائري، فتعد العشرية من 1860 إلى 1870 كارثية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، فقد قتل المحتل الكثير من سكان المنطقة، رغم الهدوء النسبي الذي خيم على المنطقة، كما أحرق العديد من قراهم وانتزع منهم أخصب الأراضي السهلية القريبة من جيجل.

ففي سنة 1865 تم الشروع في تنفيذ مرسوم 22 افريل 1863 المعروف بمرسوم (ساناتوس كونصليت) (78) الخاص بملكية الأرض، وكان ظاهره تثبيت ملكية الأرض المشاعة بين الأعراش، وباطنه نزع الأراضي السهلية الخصبة والأراضي الجبلية الغابية.

وقد سارع المحتل في تطبيق المرسوم السالف الذكر على الاعراش المحيطة بمدينة جيجل. وقد بدأ ببني قايد، ثم ببني احمد وبني عمران وأولاد بلعفو. وانتزع من هذه الأعراش أخصب أراضيهاالسهلية (89).

وقد انعكس هذا الحجز والمصادرة على سكان الأعراش المحيطة بالمدينة من الغرب والجنوب والشرق، فزادهم فقرا وبؤسا، حيث انحصرت أراضيهم الزراعية والرعوية في الأحراش الواقعة على سفوح الجبال المطلة على سهل جيجل.

ومما زادهم فقرا وبؤسا الكوارث الطبيعية والأمراض المعدية، فقد تحدثت الكتب التاريخية عن جفاف سنتي 1866و1867 الذي شمل الجزائر برمتها، ومنها منطقة جيجل، وما تبعه من مجاعات وموت (80). ورغم أن منطقة جيجل لم يؤثر بها الجفاف بطريقة مباشرة، لأن الأمطار التي تتساقط بها كافية لعلف حيواناتها، إلا أن ندرة الحبوب وغلاتها جعلت أغلب الناس لا يستطيعون شراءها، لأن المنتوج المحلي لا يكفي أبناء المنطقة الذين كانو يعتمدون على منتوجات حوض فرجيوة الذي أصابه الجفاف مثل بقية أنحاء الوطن.

ومما زاد الأوضاع العامة سوءا وقساوة، حملات الجراد المتتالية التي حلت بمنطقة جيجل خلال ربيع وصيف سنتي 1867 و 1868، فقد قضت أسراب الجراد على ما تبقى مما أتلفه الجفاف من مظاهر الاخضرار والحياة، بالإضافة إلى الأمراض المعدية مثل الكوليرا والتيفوس والجرب وغيرها. وقد نقل الدكتور يحي بوعزيز(81) عن المصادر الفرنسية تلك الأمراض التي تفشت في الشرق الجزائري كله. أما الأمراض المعدية مثل الكوليرا والتيفوس فقد ظهرت عام 1866 بشكل محدود. واشتد خطرها عام 1867، وانتشرت في البلاد بواسطة تنقلات الناس وعانى منها الجزائريون أكثر بكثير من المستوطنين، لانعدام وسائل الوقاية الصحية لدى الجزائريين وسوء أحوالهم الاقتصادية والمعاشية وعدم اهتمام السلطات الاستعمارية بهم. واقتصر اهتمامها على الاوربيين. كما انتشر في نفس الوقت مرض التيفوس. فأخذ الجزائريون يموتون بالجملة في القرى والطرقات العامة التي ارغمت السلطات الفرنسية السكان على حفر خنادق عميقة لدفن الموتى.

أما جريدة المبشر الصادرة خلال العشرية الممتدة من 1860- 1870 (82)، فقد نشرت في عددها الصادر يوم 13 مارس 1864 هذا الخبر: "اشتد مرض الجدري هذه الأيام بأعراش الميلية، ومن جملة من هلك بهذا المرض قائد أولاد عواط، وبعد ذلك صدر أمر بإرسال طبيب في الحين إلى تلك الأعراش".

وفي عدد شهر أفريل (83) نشرت نفس الجريدة الخبر التالي: "اشتد مرض الجدري في الأعراش الواقعة بسهول الوادي الكبير. ومات الكثير بسببه، فقد اختفى ثم ظهر في بني مسلم وأولاد عيدون وبني خطاب وبني تليلان".

وسبب اهتمام جريدة المبشر بمرض الجدري بصفة حصرية، ربما يرجع إلى أن الأمراض المعدية الأخرى ما زالت لم تصل بعد إلى منطقة جيجل مثل الكوليرا والتيفوس، أور بما كان انتشارها أقل من الجدري.

خلاصة ما يمكن تسجيله في هذا السياق بصورة عامة هي أن المرحلتين الأولى والثانية من العهد الفرنسي في منطقة جيجل (1839- 1870) تعتبران حقبة انتقالية.

وقد امتازت بالعديد من الثورات والانتفاضات المحلية وبالقمع الوحشي لها من طرف قوات الاحتلال.

وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها الحكام العامون مثل راندون وماكماهون لتوسيع الاستيطان في منطقة جيجل بعد الحملات العسكرية السالفة الذكر، إلا أن المشروع بقي محتشما، وكان نجاحه ضيلا. حيث اقتصر الاستيطان على مدينة جيجل وضواحيها ولم يمتد إلى سهل جيجل الشرقي مثل الطاهير والشقفة، إلا بعد فشل ثورة 1871.

ب - المرحلة الثالثة من العهد الفرنسي (1870- 1900)

1 - امتداد ثورة 1871 إلى مدينة جيجل

تعد هذه المرحلة من اخطر مراحل التاريخ الاستعماري، وعلى الاخص في الشرق الجزائري بصفة عامة ومنطقة جيجل بصفة خاصة، إذ تبدأ بامتداد ثورة المقراني والحداد إلى المنطقة سنة 1871 والمشاركة الواسعة للسكان في تلك الثورة وما تبع ذلك من مصادرات الأراضي السهلية التابعة لهم، وغرس المستوطنات الاستعمارية بها.

وقبل التطرق لامتداد ثورة 1871 وما تبعها من ويلات، لا بد من الاشارة إلى ثورة محلية قامت بشرق مدينة جيجل في بداية سنة 1871.

a) ثورة أولاد عيدون

في يوم 14 فيفري 1871 وقبل شهر من بداية ثورة المقراني هاجم سكان منطقة الميلية برجها الحصين الذي أقامه المحتل في وسط عرش أولاد عيدون. وقطعوا عنه المياه وأسلاك التلغراف، كما هاجموا المؤسسات الاستيطانية التي أنشأوها بالقرب منه لاستغلال الغابات والزراعة على ضفاف الوادي الكبير. مما اضطر العاملين بها من اوربيين واهالي إلى اللجوء إلى البرج المشيد لهذا الغرض. وقد بقوا هناك محاصرين أكثر من خمسة عشر يوما، لأن الجيش الذي بعثته قيادة قسنطينة لفك الحصار هوجم في ضواحي القرارم من طرف عرش بني تليلان يوم 22 و 23 من الشهر نفسه، ولم يستطع الوصول إلى الميلية إلا في يوم 27 من الشهر المذكور. ونجحوا في إبعاد الثوار عنه، ولكنهم تمركزوا في الهضاب القريبة منه ولم يتمكن جيش المحتل من التغلب عليهم وفك الحصار عن البرج إلا بعدما وصلت نجدات ضخمة يقود اغلبها قياد جزائريون. وبدات كعادتها في خرق القرى القريبة وحجز الرهائن من عائلات واقارب الثائرين، ولذلك اضطروا الى التفاوض وفك الحصار عن البرج مقابل عقوبات قاسية على عشائر أولاد عيدون بعد القضاء على ثورة المقراني.

ونظرا لتزامن تاريخ مهاجمة برج الميلية مع بداية اعلان المقراني لثورته المعروفة بثورة 1871 في بجاية قرب برج بوعريريج. فقد حاول بعض المورخين المعاصرين ربطها بتلك الثورة، ومنهم الدكتور يحي بوعزيز. إذ يقول في هذا المعنى: "وإن كانت التقارير - الاستعمارية - لا تشير إلى صلة استعدادات المقراني للثورة بأحداث الميلية، إلا أنه لا يمكن التسليم بهذا الأمر ببساطة". ثم يتساءل الدكتور هكذا "ألا يكون للمقراني صلة سابقة بأولاد عيدون؟. ألا يكون أولاد عيدون قد تعجلوا

بالثورة قبل أوانها ولم ينتظروا من المقراني استعداداته؟". ويجيب الدكتور هكذا "إن الذي بين ايدينا من الوثائق لا يجيب على هذين السؤالين حاليا" (84).

وبالفعل لا توجد إجابة ضمن الوثائق المتوفرة على السؤالين المطروحين. ومن ثم لا نعتقد أن ثمة علاقة بين ثورة المقراني وثورة أولاد عيدون الا من حيث مشاركتها في الاسباب العامة التي ادت بالمقراني والشيخ الحداد واولاد عيدون إلى القيام بالثورة دون إجراء التنسيق بين الأولى والثانية.

إن اقتراب تاريخ الثورتين لبعضهما البعض هو من باب الصدفة. أما امتداد ثورة المقراني فيما بعد إلى مصب الوادي الكبير غرب الميلية فلا علاقة له بثورة أولاد عيدون، بدليل أن الأعراش التي شاركت في ثورة أولاد عيدون ليست هي التي تبنت الثورة عند امتدادها لمنطقة جيجل الشرقية.

b) سي عزيز بلحداد في منطقة جيجل الغربية

بعد الانتصارات التي لقيها سي عزيز بلحداد وبومزراق المقراني في نواحي بجاية وشمال سطيف خلال شهر ماي عاد بومزاق إلى قلعة بني العباس، وانفرد سي عزيز بقيادة الجبهة الشرقية التي تمتد من وادي بوغريون إلى سكيكدة. حيث كثف عملياته العسكرية في نواحي خراطة وتاكينوت وعموشة متغلغلا في الأعراش الجبلية مثل بني فولكاي وبني يوسف وغيرهما، مما اضطر قادة الجيش المحتل إلى إخلاء مراكزه الثانوية وفرار الموالين له من قياد وشيوخ من مناطقهم الداخلية والالتجاء إلى مدن سطيف وبجاية وإلى المراكز والأبراج العسكرية المحصنة مثل تاكيتونت والعين الكبيرة وغيرهما.

فاستغل سي عزيز هذا الانتصار ووجه نشاطه الثوري نحو شرق تاكيتونت مستهدفا الأعراش الكبيرة الواقعة هناك، مثل أعراش تابابورت وبني فوغال والعوانة وبني عمران المطلة على مدينة جيجل من الناحيتين الغربية والجنوبية بغرض استمالتها للثورة، وبالتالي مهاجمة مدينة جيجل.

ولتحقيق هذا الهدف بعث برسائل عديدة إلى قياد وشيوخ وأعيان تلك الأعراش يحثهم فيها على الانضمام إلى الثورة، كما أرسل ببعض مقدمي الطريقة الرحمانية المعروفين لدى سكان المنطقة الشرقية للاتصال بهم مباشرة للغرض نفسه.

ومن أهم القياد والمقدمين والأعيان الذين استجابوا لدعوة عزيز سي عمر بن عرعور قائد تابابورت (85) وأخوه سي محمد، وبن يونس قائد بني قايد. وسي صالح بن شاطر مقدم زاوية تاكسانة، وسي صالح بن بوشامة من شيوخ بني عمران، وإبراهيم بوسولة من شيوخ بني خطاب، وسي احمد بن علي من اعيان العوانة

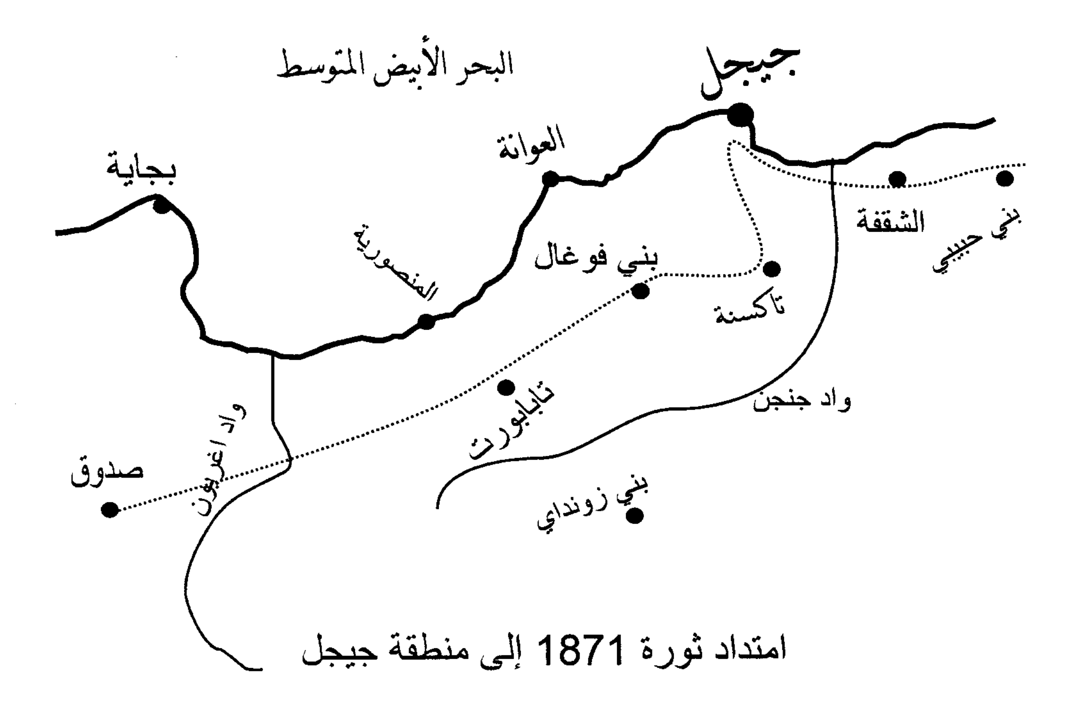
وغيرهم. وقد لعب هؤلاء دورا أساسيا في امتداد ثورة 1871 إلى منطقة جيجل الغربية، ثم امتدادها إلى المنطقة الشرقية.

أما الذين رفضوا دعوة سي عزيز وقاوموها، فمن أهمهم سي عمر بن حبيلص قائد بني فوغال وسي بلقاسم بن منيع قائد بني عمران. رغم انضمام الكثير من أفراد عرشيهما إلى الثورة، وعلى الأخص بني عمران.

ونتيجة لهذا الرفض استعد سي عزيز بلحداد لمهاجمة بني فوغال أولا، ثم بني عمران بعد ذلك. وعندما علم سي عمر بن حبيلص باستعداد عزيز لمهاجمته، طلب من أخيه سي بلقاسم بن حبيلص قائد بني عزيز الالتحاق به، للوقوف إلى جانبه ومنع الثوار من التقدم شرقا، ولكنهما فشلا بعد خوضهما لعدة معارك داخل عرش بني فوغال يومي 27 و 28 ماي 1871 وانهزما وفرا إلى مدينة جيجل.

وبذلك أصبحت المنطقة الجبلية الممتدة من بجاية إلى جيجل تحت سيطرة الثوار، كما أصبحت مدينة جيجل نفسها مهددة بعد 30 ماي 1871 حسب التقرير المفصل الذي كتبه سي عمر بن حبيلص إلى القائد العسكري لمدينة جيجل بعد انكسار ميليشياته أمام ضربات الثائرين. وقد نشرت ذلك التقرير صاحبة كتاب جيجل في قلب بابور(86). ورغم أنها لم تذكر بالضبط المصدر الذي أخذت منه ذلك التقرير، إلا أنه يحمل في طياته تفاصيل هامة عن محاصرة عرش بني فوغال من كل الجهات، لأن البعض من عشائره بقيت موالية لقائدها، ولذلك هوجمت وأحرقت منازلها حسب ما ورد في ذلك التقرير. ونورد في هذا السياق أهم فقراته:"يشرفني أن أعلمكم بأن المدعو سي عزيز بلحداد وجماعة من أولاد أمقران التابعين لمجانة قدموا إلى تابابورت على رأس حشود من المتمردين جاءوا بهم من بجاية وتاكيتونت وفرجيوة وسطيف. وقد انضم إليهم سي عمر بن عرعور قائد تابابورت، ولكننا نحن رفضنا الانضمام إليهم، فهاجمونا من كل الجهات حسب ما أوضحه لكم فيما يلي: ففي يوم 26 ماي 1871 انقسم المتمردون إلى قسمين: قسم قاده عمر بن عرعور وأولاد أمقران واتجهوا به نحو بني معد التابعين لعرش العوانة وعسكروا به بالمكان المعروف بالحامة بأولاد بوخزر، حيث قضوا ليلتهم هناك. والقسم الثاني قاده سي عزيز واتجه به نحو بني ورز الدين وعسكر به في مرج غروبي، حيث قضوا هم كذلك ليلتهم هناك.

وفي صبيحة الأحد 27 ماي 1871 هوجم عرشنا من خمسة محاور: الأول والثاني من ناحية بوركاش والنشمة، والمحور الثالث والرابع والخامس من فج إرير وأخناق العسة وفج سلمى، واشتعلت المعارك بيننا وبينهم، واستمرت من طلوع الشمس إلى غروبها. وفي الليل استطعنا الخروج من الحصار المضروب علينا.



امتداد ثورة 1871 إلى منطقة جيجل

وكانت نتائج المعارك التي جرت طيلة النهار سقوط أربعين رجلا وعشرة أحصنة من جانبنا، وأكثر من مائة رجل بين قتيل وجريح من جانب المتمردين. وفر الكثير من رجالنا إلى الغابات المجاورة خوفا من انتقام المهاجمين.

أما صبيحة يوم 28 ماي 1871 فقد وصلوا إلى برجنا ونهبوا ما به ثم أحرقوه. كما أحرقوا جميع المنازل القريبة منه، بالإضافة إلى عدة قرى تابعة لعشائر اولاد عبد الله وأولاد مرابط، كما خربوا وأحرقوا مقر الشركة الجزائرية للكروش الخاصة باستغلال الغابات..." (87).

هذه أهم الفقرات التي وردت في تقرير سي عمار بن حبيلص قائد بني فوغال نستخلص منها معلومات تاريخية هامة حول امتداد ثورة المقراني والشيخ الحداد إلى منطقة جيجل الغربية وانضمام كل سكان المثلث الجبلي (بجاية –سطيف – جيجل) إليها، فبعد يومين من انتهاء معارك بني فوغال هاجم أنصار سي عزيز الذين يقودهم المقدم بن شاطر برج القائد سي بلقاسم بن منيع في تاكسانة الذي رفض هو أيضا الانضمام إلى الثورة، وفضل الفرار إلى جيجل فأحرقوه كما أحرقوا بعض المنازل القريبة منه، كما هاجم أنصار المقدم سي احمد بن علي منجم الرصاص بالقرب من كافلو (العوانة الحالية) وأحرقوه، وبذلك تصبح مدينة جيجل محاصرة من جميع الجهات.

وبعد هذا النجاح، رجع سي عزيز بلحداد إلى منطقة جنوب بجاية. وتختلف المصادر التاريخية حول اليوم الذي رجع فيه والأسباب التي جعلته يغادر منطقة جيجل، فقد نقل الدكتور يحي بوعزيز عن المورخين الفرنسيين (88) يوم 2 جوان 1871 بعد نهاية معارك بني فوغال مباشرة، اما جريدة الجزائر فرنسية (89) فتحدد يوم عودته بيوم 20 جوان 1871.

اما أسباب مغادرته المنطقة فتعود - حسب الأحداث المتلاحقة – إلى الصعوبات التي لا قاها أخوه سي محمد في نواحي بجاية، وكذلك النكسات المتتالية لأنصاره في منطقتي القبائل الصغرى والكبرى، أو أنه ترك المنطقة لعدم اهميتها بالنسبة للثورة، لأنه يقول في مذكراته بأن الأسباب التي دفعته إلى تنظيم الهجومات على منطقة جيجل الغربية تتمثل في الموقف العدائي الذي اتخذه الأخوان بن حبيلص والقائد بن منيع. إذ يقول في تلك المذكرات: "فقد هاجمونا عدة مرات عندما كنا نخوض المعارك ضد الجيش المحتل في نواحي تاكيتونت شمال سطيف" (90).

والأكيد هو أن سي عزيز غادر منطقة جيجل في العشرية الأولى من شهر جوان بعد نجاحه في السيطرة عليها. وقد ترك مهمة محاصرة مدينة جيجل والهجوم عليها الى خلفائه سي عمر بن عرعور وسي صالح بن شاطر والمقدم سي القروشي بن سعدون (91) وغيرهم.

وأول ملاحظة نستنتجها من المعارك التي جرت في الجبال الغربية والجنوبية لمدينة جيجل أنها جزائرية مائة بالمائة، فضحاياها كلهم من الجزائريين، ولم يكن بينهم جندي فرنسي واحد، وبذلك يكون الاستعمار الفرنسي قد نجح في منطقة جيجل، كما نجح في غيرها في تكوين أقلية تقاتل إلى جانبه، ولكن الأغلبية الساحقة بقيت دائما معارضة لاحتلاله وتوسعاته رغم فقرها وحرمانها وقلة وسائلها وسوء تنظيم صراعها مع المحتل، فهي دائما مستعدة للجهاد والتضحية، رغم مظاهر الفشل والإحباط التي تعقب كل ثوراتها وانتفاضاتها طيلة السنوات الثلاثين الماضية لتفوق المحتل حضاريا وماديا.

c) الهجوم على مدينة جيجل

لقد أشرنا فيما سبق إلى نجاح سي عزيز في منطقة جيجل الغربية، رغم أنه غريب عنها. ومع ذلك انضمت إليه الأغلبية الساحقة من سكان أعراشها وفرت الأقلية التي بقيت موالية للمحتل إلى مدينة جيجل محتمية بأسوارها، كما أشرنا إلى مغادرته للمنطقة بعد نجاحه في نشر الثورة وتوسيع مجالها الجغرافي.

وقد ترك القيادة لخليفته المقدم سي القروشي بن سعدون القيام بمهاجمة المدينة وطرد المحتل منها. وحسب الجرائد الاستعمارية الصادرة في ذلك الوقت (92) . فقد شاركت الأعراش الثلاثة المحيطة بمدينة جيجل: بني قايد وبني احمد وبني عمران السفلية بصفة جماعية في الحصار وفي الهجومات التي شنت عليها خلال شهر جوان 1871، بدليل العقوبات القاسية التي فرضت عليها بعدما سيطر جيش المحتل على الأوضاع في نهاية شهر أوت 1871 (93).

وقد كتبت الصحف الاستعمارية الصادرة حينذاك تصف الاوضاع العامة بالخطيرة جدا، لأن الثوار يحاصرون المدينة من جميع الجهات. وان اقتحامها ممكن لكثرتهم (94).

ففي يوم 7 جوان 1871 هاجم حوالي ثلاثة آلاف مقاوم المدينة بعدما قسموا انقسهم إلى صفين: الصف الاول قاده سي صالح بن شاطر. وهاجم به محور الناحية الشرقية، ووصل إلى الوادي الصغير (95). فقصفهم جيش المحتل بالمدافع من قلعة دوكان الواقعة بجانب ميناء الصيد الجديد ومن السفن الحربية الراسية بالخليج. كما رماهم بالرصاص من البنادق السريعة الطلقات والبعيدة المدى.

أما الصف الثاني فقاده سي القروشي بن سعدون. حيث هاجم محور الناحية الجنوبية ووصل به إلى قلعة سان فيردان بالقرب من مستشفى جيجل القديم. ولكن الهجومين فشلا بسبب تفوق جيش المحتل بالاسلحة الحديثة وبالمدافع. وتدعي الصحف الصادرة حينذاك والكتب التاريخية بأن المهاجمين تفرقوا بعد قصفهم بالمدافع. وقد تركوا أكثر من أربعين قتيلا وأكثر من ستين جريحا. وبين الجرحى قائد الصف الثاني سي القروشي بن سعدون.

وفي يوم 9 جوان أعادوا الهجوم على المدينة من الناحيتين الغربية والجنوبية من عدة محاور. وكان يقودهم هذه المرة سي عمر بن عرعور ومقدم بني سكوال بن أمقران. وقد بدأ الهجوم على الساعة الخامسة صباحا. واستمر طيلة النهار. ولكنه فشل، حيث استطاع الكولونيل بانيك من التغلب عليهم، وأسفر القتال عن قتل أكثر من ستين رجلا منهم وجرح أكثر من ثمانين، وفر الباقون إلى قمة مزيتا.

وفي يوم 12 جوان حاول الثوار تخريب قناة المياه التي تزود المدينة، فخرجت قوات المحتل إليهم، ووقعت معركة شرسة بين الطرفين على بعد ثلاثة كيلو مترات عن المدينة. وتدعي صحف المحتل السالفة الذكر بأن قواتهم قتلت أكثر من خمسين رجلا من الثوار، ومثلهم من الجرحى. أما خسائر المحتل فلا تتجاوز ثلاثة جرحى ، منهم ضابط من قوات الرماة برتبة يوطنان.

هذه هي أهم الهجومات التي وقعت على مدينة جيجل بعد نجاح سي عزيز بلحداد في تجنيد اعراش المنطقة الغربية. ورغم المشاركة الواسعة للسكان، إلا أنهم فشلوا في اقتحام المدينة وطرد المحتل منها، والسبب معروف، ويتمثل في التفوق في الأسلحة وفي تدريب وتنظيم المقاتلين (96).

ورغم فشل جميع الهجومات على المدينة والخسائر الفادحة في الأرواح التي تلقاها المقاومون نتيجة لقصفهم بالمدافع وبالبنادق السريعة الطلقات، رغم ذلك كله فقد بقيت المدينة محاصرة طيلة شهري جوان وجويلية. ففي يوم 27 جويلية كتبت جريدة "الجزائر فرنسية" عن ضواحي مدينة جيجل هذا الخبر: "ما زال الثائرون في الهضاب المجاورة للمدينة وقطعان ماشيتهم تخرج للمرعى في السهل دون مضايقة تذكر". وفي العدد الذي يليه كتبت هذا الخبر القصير: "قواتُ العدو تقترب بين الحين والآخر من المدينة بعد المساعدات التي وصلتهم من عرشي بني بلعيد وبني مسلم".

2- امتداد ثورة 1871 إلى الأعراش الشرقية

قبل مغادرة سي عزيز منطقة جيجل الغربية كاتب أعيان وقياد وشيوخ المنطقة الشرقية، وكانت الاستجابة لدعوته جماعية بدليل العقاب الجماعي الذي فرضه جيش الاحتلال على جميع أعراشها بدون استثناء، بعد نجاحه في إخماد نيران الثورة، وذلك حسب القرار الذي نشرته الجريدة الرسمية يوم 20 جويلية 1872 والذي يتضمن مصادرة أملاك عشرين قبيلة وعشيرة وعلى الأخص التي لها أراضي سهلية خصبة مثل أولاد بلعفو وبني سيار وبني يدر وبني معمر التي تمتد أراضيهم السهلية من شاطئ البحر إلى سفوح الجبال الشرقية.

ومن أعيان المنطقة الشرقية التي استجابت لدعوة عزيز بلحداد التي ذكرتها التقارير الرسمية الفرنسية والكتب التاريخية التي حملت مسؤولية امتداد ثورة 1871 إلى الشمال القسنطيني كله إلى سي الحسين مولا الشقفة وسي محمد بن فيالا مقدم زاوية بني حبيبي، وذلك حسب التقرير الرسمي الذي بعثه الجنرال دولاكروا من الشقفة إلى الوالي العام يعلمه فيه بأنه أحرق زاوية الشقفة حيث انطلقت إشارة العصيان في منطقة جيجل الشرقية كلها، كما أحرق زاوية بن فيالا ببني حبيبي التي تعد هي كذلك مركز العصيان.

وهكذا فالتقرير الرسمي يحدد زاوية الشقفة بأنها النقطة التي امتدت منها ثورة 1871 إلى المنطقة الشرقية كلها. وهذا ما وقع فعلا حسب الخبر الذي نشرته جريدة الأخبار الصادرة يوم 25 جوان (97) وهذا نصه: "سي الحسين بن الشريف مولا

الشقفة تقدم يوم 20 جوان 1871 إلى سوق بني يدر(98). وأعلن الحرب المقدسة ولكنه قوبل ببرود".

وبعد يوم واحد وقف سي محمد بن فيالا (99) في باب سوق جمعة بني حبيبي، وأعلن هو كذلك الحرب. وبذلك عمت ثورة 1871 المربع الممتد من بجاية إلى سكيكدة شمالا ومن سطيف إلى قسنطينة جنوبا.

ففي يوم 22 جوان تحركت جميع أعراش المنطقة الشرقية رغم معارضة بعض القياد لها مثل قياد بني يدر ومشاط وبني سيار وبني عافر، إلا أن الأغلبية الساحقة من سكان أعراشهم شاركوا في الثورة.

وكتعبير عن إعلان الثورة ضد المحتل أشعلت الحرائق في الغابات الممتدة من جيجل إلى سكيكدة في يوم واحد، كما هاجموا موسسة استغلال الغابات التابعة للمعمرين DE BOCK ET DE LACAROIX بالعنصر، وقطعوا أسلاك التلغراف الرابطة ما بين قسنطينة وجيجل.

وفي يوم 25 جوان 1871 اجتمعت جميع أعراش المنطقة بالعروسة بـ "بني فتح" (100) تحت رئاسة الثلاثي سي محمد بن فيالا وسي الحسين مولا الشقفة وعمر بن عرعور، وقرروا تقسيم المقاتلين إلى فوجين: الفوج الاول بقيادة بن فيالا وعمر بن عرعور، وكلفا بالمنطقة الواقعة على الضفة اليمنى للوادي الكبير التي تشمل المثلث مصب الوادي الكبير قسنطينة. سكيكدة. والفوج الثاني بقيادة سي الحسين مولا الشقفة والشيخ إبراهيم بن عمار من أعيان بني مسلم. وقد كلفا بالمنطقة الواقعة على يسار الوادي الكبير التي تشمل المثلث جيجل، قسنطينة مصب الوادي الكبير.

وقد بدأ عمل الفوجين بتنظيم الأعراش وإدخالهم في الثورة عن طواعية أو كره. وعلى هذا الأساس بدأ عمل الفوج الأول الذي يقوده بن فيالا بمهاجمة قائد أولاد عواط بوزيان عبد القادر الذي رفض الانضمام إلى الثورة وفضل الفرار إلى برج الميلية للاحتماء بالجيش المحتل. وبعد فراره انضمت أغلب عشائر عرشه للثورة، ثم تابع بن فيالا نشاطه الثوري وقطع الوادي الكبير عبر أراضي عرش بني مسلم، ثم الجبالا ومشاط وبني فرقان إلى أن وصل إلى أولاد عطية. ومن هناك انجه شرقا نحو بني إسحاق، وعسكر بالعشايش. ومن هناك كاتب الأعراش الواقعة على الطريق الرابط ما بين قسنطينة وسكيكدة مثل أولاد عطية الشرقية التي تتوزع على مرتفعات الكنتور (101)، كما كاتب الأعراش المحيطة بمدينة سكيكدة مثل بني مهنة وبني بشير وغيرهم، داعيا الجميع إلى الانضمام إلى الثورة وإلى تخريب الطرقات التي تمر بها قوافل جيش المحتل وإلى قطع أسلاك التلغراف ومهاجمة قرى المعمرين ومؤسساتهم الغابية. وقد استجاب لدعوته الأغلبية الساحقة من السكان وقاموا خلال شهر جويلية

بعدة أعمال ثورية، وقطعت الطريق الرابطة بين قسنطينة وسكيكدة عدة مرات، كما خربت مؤسسة استغلال الغابات بالزويتنة قرب القل، كما هاجم الثوار مزارع المعمرين الواقعة غرب سكيكدة والحروش، وأصبح المثلث: القل، قسنطينة، مصب الوادي الكبير محررا، ماعدا برج الميلية الذي بقيت به حامية كبيرة من الجيش المحتل، ولذلك عاد إليها بن فيالا يوم 18 جويلية وعسكر في خناق أزوطاط، وانضمت إليه عشائر أولاد عيدون ومشاط وأولاد عواط، وهاجموا برج الميلية يومي 19 و20 جويلية 1871، ولكنهم فشلوا في الوصول إليه، بسبب تحصيناته القوية وفعالية مدفعية العدو وبساطة الأسلحة التي هاجم بها الثوار البرج، ولذلك تركه بن فيالا واتجه شرقا نحو عرشي بني صبيح وبني تليلان، وبعد ضمهما إلى الثورة قطع الوادي الكبير يوم 20 أوت ليلتحق بسي الحسين مولا الشقفة الذي كان معسكرا في مرتفعات بني هارون بعرش بني خطاب.

ولقد سبق أن أشرنا إلى هذا الاخير الذي كلف بعد اجتماع العروسة ببني فتح يوم 25 جوان بتنظيم أعراش المثلث جيجل، ميلة، مصب الوادي الكبير. وقد بدأ نشاطه يوم 26 جوان بمهاجمة قائد بني يدر (102)، وهرب هو كذلك الى الميلية. وبعد ذلك قام بتنظيم أعراش المنطقة داعيا إياها الى الانضمام إلى الثورة فاستجابت له هو كذلك الأغلبية الساحقة من سكان أعراش ذلك المثلث مثل بني خطاب، بني فتح، اولاد عسكر، بني عافر، بني يدر، زواغة، رغم وقوف قياد بعض الأعراش ضد الثورة.

وقد استطاع سي الحسين مولا الشقفة أن يكون من هذه الأعراش جيشا من المتطوعين أغلبهم بدون سلاح. ورغم ذلك فقد خاض بهم عدة معارك خلال شهر جويلية. ففي اليوم الرابع منه قام باعتراض قافلة استعمارية ما بين ميلة وفرجيوة كانت متجهة من قسنطينة إلى سطيف، كما قام بعدة عمليات ضد مزارع المعمرين والموالين لهم من الجزائريين في أحواض ميلة وفرجيوة. وفي بداية شهر أوت عسكر بمرتفعات بني هارون بوسط عرش بني خطاب حيث التحق به سي محمد بن فيالا، كما أشرنا سابقا، ليستعدا لقطع الطريق على الجنرال "دو لا كروا" الذي كان يعد العدة في ميلة للقيام بمسيرة ضخمة تجوب منطقة الشمال القسنطيني كله الذي أصبح ثائرا ضد الوجود الفرنسي.

3- استراتيجية الجيش المحتل لمواجهة الثورة

إن استراتيجية الجيش المحتل التي قمع بها ثورة 1871 التي عمت الشمال القسنطيني كله تتمثل في حرق القرى وإتلاف الارزاق وقتل كل من يشك فيه من ساكنيها. فهو لا يرعي قوانين الحروب ولا أخلاقياتها المعترف بها دوليا. فالجيش المحتل عندما يخرج للأرياف لا يبحث عن الثوار الذين ثاروا عليه. وإنما يذهب الى أقرب وأسهل هدف إليه وهو: حرق القرى وترويع ساكنيها من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، وهذا ما طبقه حرفيا في منطقة جيجل حسب اعترافات صحفه الصادرة حينذاك، وكذلك تقاريره الرسمية وكتبه التاريخية. فبتلك الاعمال الوحشية استطاع إخضاع المنطقة التي ثارت عليه، ومنها على سبيل المثال ما كتبته جريدة الأخبار يوم 4 أوت 1871 عن القمع الوحشي الذي قام به الكولونيل يانيك قائد مدينة جيجل ضد قرى بني عمران السفلية

وبني احمد وبني قايد. ففي يوم 26 جويلية خرج يانيك على الساعة الرابعة صباحا على رأس قوة عسكرية هامة واتجه بها نحو الضاحية الشرقية للمدينة. حيث فاجأ قرى بني عمران السفلية وبني احمد الواقعة ما بين المدينة ووادي المنشا. فاحرقها كلها وشرد ساكنيها. ولا تذكر الصحيفة عدد الضحايا، وأغلب الظن أنها مرتفعة. وعلى الأخص في أوساط الأطفال والنساء والعجزة الذين لا يستطيعون الفرار. وفي 2 أوت وبعد خمسة أيام خرج للناحيتين الغربية والجنوبية نحو قرى بني قايد الواقعة ما بين المدينة وهضبة ميزيتا، ولم يكتف بالقتل والتخريب وحرق القرى. بل فرض على من بقي منهم حيا ضريبة حرب ضخمة.

هذا فيما يخص الأعراش المحيطة بمدينة جيجل، أما الأعراش الشرقية التي تزعم ثورتها سي محمد بن فيالا وسي الحسين مولا الشقفة فقد نظم لهما الجيش المحتل مسيرة ضخمة تذكرنا بمسيرة سانت آرنو وراندون سالفتي الذكر. فقد خرجت تلك المسيرة يوم 3 أوت 1871 بقيادة الجنرال دو لا كروا، واتبع فيها نفس الخط الذي سلكه سانت آرنو وهو: ميلة، زواغة، بني خطاب ، أولاد عسكر. بني فتح. بني عيشة. مشاط، الميلية.

ومن خلال التقرير الذي كتبه الجنرال دو لا كروا من الميلية إلى الوالي العام كابدون يوم 25 أوت 1871 بعد إتمام الجزء الأول من مسيرته مينة، الميلية التي دامت 19 يوما، (103) ندرك القمع الوحشي الذي سلطه على سكان القرى والمداشر الواقعة على الخط الذي سلكته المسيرة. وهذه بعض الفقرات منه "يشرفني ان أبلغكم بالعمليات التي قمت بها في القبائل الشرقية من 3 أوت إلى 22 أوت 1871".

"لقد انطلقت من ميلة إلى وسط قبيلة زواغة بعين تكرولا. بغرض إرهاب السكان وزرع الخوف في وسطهم، وقمت بحرق القرى التابعة لهم على ضفتي وادي النجا. وقد أحضروا لي 48 رهينة التي طلبتها منهم، كما أحضروا لي كل بغالهم ودفعوا لي ضريبة الحرب التي فرضتها عليهم. أما جارتهم قبيلة بني خطاب التي استقبلت محمد بن فيالا واتباعه فقد اخترقت أراضيهم يوم 11 أوت، وقد قتلت منهم عددا كبيرا. ورغم ذلك لم يستسلموا إلا في 14 أوت، بعدما انهزم ابن فيالا ومولا الشقفة اللذان كانا يقودان 1200 متمرد في وادي اتري (104)، حيث قتلت عددا كبيرا منهم كذلك. وقد علمت كل القبائل هذا الدرس القاسي لبني خطاب، وبمجرد وصولي إلى فج الاربعاء باولاد عسكر، جاءتني جميع القبائل الشرقية خاضعة، ومنهم بني عافر وجيملة وبني يدر. أما اولاد بلعفو وبني سيار وبني معمر، فقد ذهبوا إلى جيجل ليعلنوا خضوعهم لنا". "وفي يوم 17 أوت تنقلت إلى العروسة ببني فتح، وعندما شاهدتني القبائل المجاورة جاءتني خاضعة، ومن هذه القبائل بني عيشة وتيلمامت وبني حبيبي". "وفي يوم 21 أوت عسكرت بالمحارقة ببني عيشة، فجاءني محمد بن فيالا والحسين مولا الشقفة ليسلما نفسيهما بعدما تخلى عنهما أتباعهما. وفي يوم 23 أوت انتقلت إلى أعراش الميلية عبر اولاد عواط وأولاد علي لجمع ضرائب الحرب، وقد وضعوا تحت تصرفي 146 رهينة، وأصبحت كل قبائل الميلية خاضعة لنا. وقد وضعت بن فيالا ومولا الشقفة سجن الميلية وسوف أتوجه غدا إلى وادي زهور".

تقبلوا فائق التقدير

امضاء لا كروا

فالتقرير الرسمي يعترف صراحة بالعقاب الجماعي الذي مارسه الجنرال دولاكروا على الأعراش الجبلية الواقعة ما بين ميلة والميلية.

اما الأعراش الواقعة ما بين الميلية وزيامة منصورية، فمنها بني عمران وبني احمد وبني قايد، فقد تعرضت لهم سابقا. اما من بقي منهم بلا عقاب، فقد خصص لهم الجنرال دو لا كروا الجزء الثاني من مسيرته.

ففي يوم 26 أوت خرج من الميلية واتجه نحو وادي زهور، حسب التقرير الرسمي، وهي جزء من المنطقة الواقعة ما بين الميلية والبحر التي تتوزع بها اعراش مشاط وأولاد بوفاهة وبني مسلم وبني فرقان. وقد بقي بها حوالي عشرة أيام وحرق كل القرى، ولا أحد يعلم عددها.

وفي يوم 4 سبتمبر قطع الوادي الكبير من ضفته اليمنى إلى اليسرى، وعسكر بجمعة بني حبيبي قرب العنصر، وأحرق زاوية سي محمد بن فيالا وأتبعها بحرق قرى

بني حبيبي. وفي 5 سبتمبر اتجه غربا واحرق قرى أعراش الجناح وبني صالح وبني معمر.

وفي 6 سبتمبر عسكر بالشقفة واحرق زاوية مولا الشقفة وقرى بني يدر. ومنها كتب الجنرال هذا التقرير الذي لخص فيه ما قام به من تخريب في الأعراش الواقعة ما بين الميلية وجيجل ، وهذا نص التقرير:

الشقفة 6 سبتمبر 1871:

"توقفت قافلتنا بزاوية الشقفة حيث انطلقت إشارة العصيان في شرق منطقة جيجل كلها، وقد أتممت حرق القرى التي شاركت فيه التابعة للأعراش الموزعة على تلك المنطقة، وقد سلموا لي أسلحتهم والرهائن وغرامات كبيرة. كما حضرت تهديم وحرق زاوية الشقفة. إذ قام بحرقها وتهديمها طلبتها. ونفس الشيء بالنسبة لزاوية بن فيالا المعروفة بزاوية سيدي وارث بجمعة بني حبيبي، وهي كذلك كانت مركزا للعصيان.

إمضاء دو لا كروا (105).

أما الأعراش الواقعة ما بين الشقفة وزيامة منصورية فقد سبقت الإشارة إلى العقاب الذي سلط على بعضها، وعلى الأخص المحيطة بمدينة جيجل مثل بني عمران السفلية وبني احمد وبني قايد، ولذلك فالمسيرة قطعتها بدون مشاكل، لأنه سبق لقائد حامية جيجل أن أحرق قراها، ومن ثم لم تجد القافلة ما تحرقه أو تخربه، ولكنها تزيد السكان إهانة ورعبا.

وفي يوم 16 سبتمبر وصل الجنرال دولا كروا بمسيرته إلى زيامة منصورية. حيث ختم بها مسيرته القمعية التي انطلقت من ميلة يوم 3 أوت، وبقيت في المنطقة الممتدة من ميلة إلى زيامة منصورية شهرا ونصف تعيث فيها فسادا.

وهكذا نتعرف من خلال التقارير الرسمية على نوع الأسلوب الذي استعمله جيش الاحتلال لقمع العصيان الواسع الذي عم الشمال القسنطيني كله، وهو العقاب الجماعي للسكان بالقتل والتشريد بدون تمييز بمن في ذلك النساء والأطفال والشيوخ والعجزة. وكذلك حرق جميع القرى سواء شارك أصحابها في الثورة أم لم يشاركوا. فالتقرير الأول يعترف فيه الجنرال دولا كروا صراحة بما فعله في قبيلة زواغة القريبة من ميلة. رغم أنه لا يتهمها باستقبال الثوار أو بالعصيان، فما بالك بالقبائل المتهمة باستضافتهم. مثل بني خطاب التي استقبلت في أرضيها قادة الثورة مثل سي محمد بن فيالا وسي الحسين مولا الشقفة، ولذلك فعقابها يكون أشد. ففي يومي 11 و 12 أوت قتلت عساكر القافلة الكثير من رجال القبائل التي داهمتهم، ولذلك جاءت القبائل المجاورة تعلن طاعتها بمن فيهم قادة الثورة: بن فيالا ومولا الشقفة.

وهكذا، عندما نمعن النظر في التقارير الرسمية نجدها صريحة أكثر من الكتب التاريخية التي تعرضت لاحداث ثورة 1871 في منطقة جيجل، فكلها تتفق على وقوع معارك عديدة وشرسة بين عساكر قافلة دو لا كروا والثوار الذين قادهم بن فيالا ومولا الشقفة، ويربطون استسلامهما يوم 21 أوت بالهزائم التي منيا بها في تلك المعارك. ومن أهم المعارك التي تحدثوا عنها معركتا 11 و 14 أوت، فالاولى وقعت بوادي النجا في بداية صعود القافلة إلى جبال المنطقة، والثانية في اعماق وادي إتري، وكانت نتائج المعركتين خسائر فادحة في صفوف الثوار بدون ذكر العدد، وخسائر طفيفة في صفوف عساكر القافلة لا تتعدى ثلاثة جرحى. وحتى المورخين المعاصرين الذين كتبوا عن ثورة 1871 لم يخرجوا عن هذا الاطار، ومنهم على سبيل المثال الدكتور يحي بوعزيز المختص في الثورات الشعبية الذي كتب عن المعركتين السالفتين في كتابيه: ثورة 1871، وثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث قال في هذا الاخير "وفي بداية شهر اوت 1871 عسكر المقدمان بن فيالا ومولا الشقفة وخاضا معارك صغيرة ضد قوات الجنرال دولا كروا .. انتقلا على إثرها الى عين النخلة، ففج باينام، وخاضا بقواتهما عددا من المعارك قبل أن ينسحبا إلى جبل سيدي معروف وجبل قوفي. وبسبب سوء التنظيم وانعدام الأسلحة والوسائل الكافية للدفاع والهجوم ضد الاعداء الذين يتفوقون عليهم في إحكام الخطط وامتلاك الأسلحة الحديثة والذخائر تفرق الثوار وانسحبوا لحماية عائلاتهم وأملاكهم التي اصبحت معرضة للتخريب من طرف الفرنسيين، وبقيا وحيدين في الميدان خاصة بعد ان استسلم عزيزبالحداد الدماغ المفكر للاخوان في المنطقة، ولذلك سلما نفسيهما للقوات الفرنسية يوم 21 اوت سنة 1871..." (106).

نلاحظ أن الدكتور يحي بوعزيز من خلال النص الذي أورده، أنه لا يخرج كثيرا هو ايضا عما ذكرته الكتب التاريخية الاستعمارية في هذا الميدان، وكان هم هذه الأخيرة التضليل وطمس الوقائع التاريخية التي حدثت فعلا خلال اجتياز المسيرة العسكرية للجبال الواقعة ما بين ميلة والميلية. فلا أحد منهم حدد عدد ضحايا تلك المعارك، ولا عرف صفتهم. وهكذا، فرغم أننا لم نعثر على كتاب تاريخي استعماري أو أية وثيقة خارج إطار تلك الكتب التي تعرضت لما وقع في أدغال جبال ميلة والميلية، إلا أننا نعتقد اعتقادا جازما بأن أغلبية الذين قتلتهم عساكر الجنرال دولا كروا في زواغة وفي بني خطاب وغيرهما أبرياء، فهم من الذين لا يستطيعون الفرار أو الاختباء في الغابات والشعاب والمغارات، وهذا ما دفع سي محمد بن فيالا وسي الحسين مولا الشقفة إلى الاستسلام يوم 21 أوت، كما دفع أتباعهما إلى التخلي عنهما. ولدينا دلائل دامغة على وجهة النظر التي قدمناها بصدد معركتي 11 و 14 أوت بأنهما معركتان وهميتان

اخترعتهما الكتب التاريخية الاستعمارية لتبرير المجازر البشعة التي ذهب ضحيتها الآلاف من سكان المنطقة خلال مسيرة الجنرال دو لا كروا.

وأول هذه الدلائل عدم تعرض التقارير الرسمية التي كتبها الجنرال دو لا كروا نفسه من الميلية ومن الشقفة إلى تفاصيل تلك المعركتين ولا إلى خسائر الجانب الفرنسي، بل اكتفى بذكر ما قتله من الجانب الجزائري. لأنه من المستحيل ان تجري معارك في منطقة كلها جبال وهضاب وعرة مكسوة بالغابات الكثيفة مثل تلك التي قطعتها مسيرة الجنرال دولا كروا بدون خسائر حتى ولو كان الطرف المعادي للمسيرة لا يملك من السلاح سوى العصي والحجارة.

أما الدليل الثاني على صحة وجهة نظرنا فهو قائمة المتهمين بالمشاركة في الثورة التي جرت بمنطقة جيجل الشرقية ما بين7 جوان و16 أوت 1871 التي نشرتها الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 2 جانفي 1872 التي تضم 289 متهما، وكلهم تقريبا من أعراش ميلة والميلية، وكانت تضع التهمة المنسوبة إلى كل ثائر ادرج اسمه في القائمة، أمام لقبه واسمه، مثل أحمد بن علي بن خميرة من دوار أولاد قاسم. شارك في مهاجمة الميلية يوم 14 فيفري 1871، سي ساعد بن عباس من دوار بني تليلان. شارك في معركة الماء الأبيض يوم 27 فيفري 1871 إلى آخره. فعلى الرغم من أن القائمة تضم تقريبا حوالي ثلاثمائة من المتهمين بالمشاركة في الثورة. الا أننا لم نجد واحدا منهم أسندت له تهمة المشاركة في أي عمل مسلح وقع خلال شهر اوت أو شارك في مهاجمة مسيرة الجنرال دو لا كروا، مع أنه هو الذي أعد القائمة (107). ومعنى هذا أن المعارك التي ذكرتها الكتب التاريخية الاستعمارية سالفة الذكر، وعلى الأخص معركتي 11 و 14 أوت، لا وجود لها، فلو وقعت هذه المعارك فعلا لوجدنا ضمن القائمة الطويلة أسماء من شاركوا فيها.

أما الدليل الثالث والأخير فهو يتجلى فيما لاحظناه أثناء الثورة من 1954 إلى 1962 في المنطقة نفسها. حيث أنه عندما يتهم جيش الاحتلال قرية من القرى بدعمها للثوار. يهاجمها على الفور، إما بقنبلتها بالطيران والمدفعية، وإما بتطويقها وقتل كل رجالها الذين لم يتمكنوا من الفرار وقتل حيواناتها وإتلاف أرزاقها. وهذا ما فعله الجيش الاستعماري بمئات القرى في منطقة جيجل وحدها، ففي أربع قرى فقط قتل الجيش الاستعماري فيها ما يزيد عن مائة شخص من المدنيين العزل الأبرياء.

ويمكننا أن نورد أحداثا كثيرة تبرز هذه الصفة الشنيعة التي تميز بها الجيش الاستعماري الفرنسي خلال حرب التحرير في منطقة جيجل، ففي سنة 1956 قتل 69 مدنيا في قريتي أفوزار والحفير التابعتين لدوار بني معمر. وفي سنة 1957 قتل سبعة عشر مدنيا في قرية تاروبية التابعة لدوار يرجانة. ونفس الشيء بالنسبة لقرية بوتابت

من الدوار نفسه سنة 1960، وهذا ما وقع أيضا بالنسبة لمئات القرى في منطقة جيجل الجبلية. وخرائبها ما تزال إلى اليوم شاهدة على ذلك.

4- أسباب فشل ثورة 1871 بشكل عام

لم تستمر ثورة 1871 إلا فترة قليلة سواء على المستوى الوطني أو على مستوى منطقة جيجل، إذ خمد لهيبها في نهاية الشهر الثاني من بدايتها. رغم الشعبية الواسعة التي اكتسبتها خلال شهري ماي وجوان 1871، ولذلك يحتار الباحث في السرعة التي انهارت فيها والفشل الذريع الذي آلت إليه بعد شهرين من اندلاعها.

هناك عوامل داخلية ذاتية وعوامل خارجية تكمن وراء هذا الفشل، وقد سبق لنا أن تعرضنا إلى العوامل الخارجية بطريقة غير مباشرة . ويمكن إيجازها في التصميم الفرنسي على البقاء في الجزائر بأي ثمن كان، وكذلك التفوق المادي والمعنوي الذي كان يتمتع به جيش الاحتلال، وممارسة الإبادات الجماعية ضد سكان الأرياف بصفة عامة.

اما الأسباب الداخلية الذاتية فهي عديدة، ومنها: ارتباط بداية الثورة بسي عزيز بلحداد، فقد استسلم هذا الأخير للفرنسيين يوم 30 جوان 1871 بالقرب من تيزي وزو. كما اعتقل الفرنسيون أخاه الشيخ محمد قرب بجاية، وأخيرا استسلم أبوهما الشيخ محمد أمزيان بن الحداد للجنرال سوس قرب صدوق وعدد كبير من أتباعه، فهذا الارتباط يعد أول أسباب فشلها. وفي هذا الصدد يقول الدكتور يحي بوعزيز صاحب كتاب ثورة 1871 "إن استسلام سي عزيز وأخيه وأبيهما بهذه السرعة أمر مثير للدهشة، فقد حول مجرى الثورة من القوة إلى الضعف والانهيار .. وكان استسلامهم كقيادة سببا في استسلام العديد من الزعماء الآخرين وجماهير السكان، وهو أمر طبيعي، لأن ضياع القيادة كان في نفس الوقت ضياعا للجبهة نفسها".

وفعلا، فقد بدأ تفكيك الجبهة الشرقية التي كونها سي عزيز في منطقة جيجل، فما إن سمع الثوار الخبر حتى بدأ المحاصرون للمدينة يغادرون الهضاب المحيطة بها ابتداء من 15 جويلية بعد استسلام الشيخ الحداد بثلاثة أيام. وبعد شهر واحد استسلم سي محمد بن فيالا ومولا الشقفة بعدما تفرق الثائرون من حولهما، كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

أما السبب الثاني فهو قلة الأسلحة بين أيدي الثائرين، فقد كانت أغلبها عصيا وفؤوسا وغيرها من الأسلحة البدائية. وقد ورد في التقرير الذي كتبه الجنرال لاكروا السالف الذكر بعد استسلام كل الأعراش الموزعة ما بين ميلة وجيجل بأن البنادق التي

انتزعها منهم لا يتعدى عددها 840 بندقية، بينما عدد الثائرين كانوا يقدرون باكثر من ستة آلاف ثائر في المنطقة الشرقية فقط. بالإضافة إلى الجهل وقلة الوعي والاندفاع تلقائيا مدفوعين بالحماس الديني والحمية الوطنية التي تعتبر آنذ جزءا من العقيدة الدينية.

وهذا عكس الطرف الاستعماري المجهز بأحدث الاسلحة وبالمدافع البعيدة المدى وبجيش منظم.

والسبب الثالث يكمن في انتشار الفقر والمجاعات لدى جميع سكان المنطقة، ويصادف ذلك مجيء موسم الحصاد. مما اضطر الثائرين الى مغادرة مواقعهم لجمع القليل من الحبوب التي لم تصل إليها يد الجيش الاستعماري الذي كان يعرف كل ذلك، ولهذا بدأ هجومه المضاد في النصف الثاني من شهر جويلية حسب ما أشرنا اليه سابقا.

والخلاصة أن تلك العوامل أو الأسباب الذاتية الداخلية والاسباب الخارجية قد ساعدت الاستعمار على القضاء التام على ثورة 1871 في أسرع وقت وبأقل التكاليف بالنسبة للخسائر البشرية، لأن جيش الاحتلال كان يعتمد على الاستخبارات وعلى سياسة "فرق تسد"، واستغلال مجاعات السكان لشراء الذمم بأبخس الأثمان، حيث كانت تجندهم الاستخبارات الفرنسية بفرنك واحد او بحفنة من الحبوب. وكانت نتائج هذه الثورة من أخطر النتائج التي عاشتها المنطقة طيلة العهد الاستعماري.

5 – النتائج العامة لثورة 1871 في منطقة جيجل

لقد طبق الفرنسيون بعد قضائهم على ثورة 1871 عقوبات قاسية وعلى الاخص على عائلتي المقراني والشيخ الحداد، كما طبقوا تلك العقوبات على أعيان منطقة جيجل وعلى جميع أعراشها، فلم يراعوا فيها حتى بعض الظروف الإنسانية. وكانت تلك العقوبات الظالمة لا تناسب أعمال العصيان والشغب الذي قام به الثوار. كما لا تتناسب مع الأضرار التي منيت بها المؤسسات الاستعمارية، وحتى الضحايا من الأموات كلها جزائرية، نتيجة للمعارك التي وقعت بين الموالين للفرنسيين والثائرين عليهم وخاصة في بني فوغال (كما أشرنا سابقا)، فلم يقتل الثوار أي واحد من المعمرين الذين كانوا خارج مدينة جيجل (حسب المراجع التي اطلعنا عليها). وحسب القوائم التي أعدها الجنرال دو لاكروا، بعدما أتم مسيرته السالفة الذكر (ميلة، جيجل)، والتي تشتمل على أكثر من ثلاثمائة ثائر، فإنه لا يوجد واحد منهم وجهت له تهمة القتل، بل كانت التهمة تتعلق بقيادة الشغب أو التحريض على العصيان أو المشاركة في مهاجمة جيجل أو

الميلية أو حرق الغابات ونهب منازل الموالين للفرنسيين أو حرقها. وحتى رؤساؤهم مثل عمر بن عرعور ومحمد بن فيالا وصالح بن شاطر وإبراهيم بوسوفة ومولا الشقفة وغيرهم من القادة لم توجه إليهم تهمة القتل. ورغم ذلك كله فالعقاب الذي سلط عليهم وعلى المنطقة لا يساوي واحدا في المائة من الجرم الذي ارتكبوه ، وعلى الأخص في الجانب الاقتصادي، اذ صادرت الإدارة الاستعمارية كل أملاك السكان العقارية وغيرها بصفة فردية وجماعية، إذ جردتهم من كل وسائل العيش. فبعد ما قضت على الثورة عسكريا، سارعت إدارة المحتل إلى إصدار عدة قرارات لمصادرة أملاك جميع السكان بدون استثناء، طبقا لما كانت تنشره الجريدة الرسمية تباعا ابتداء من سنة **1871**. وكان أول قرار صدر في هذا الميدان هو قرار **01** ديسمبر **1871** (**108**) يتضمن مصادرة أملاك خمسين من أعيان المنطقة الممتدة من قمة تابابورت غربا إلى قمم سيدي معروف شرقا بتهمة قيادة العصيان. ونجد على رأسها سي محمد بن فيالا من شرق المنطقة وفي خاتمتها أحمد بن محمد من دوار آيت عاشور من غربها. وكل الأسماء التي شملتهم القائمة (**109**) معروفون، لأنهم من مقدمي الطريقة الرحمانية أو قياد أو شيوخ أو أثرياء.

وفضلا عن مصادرة أملاك الأعيان. فقد تمت مصادرة الأملاك العامة بموجب ثلاثة قرارات صدرت بهذا الشأن سنة **1872**. وكل هذه القرارات نشرتها الجريدة الرسمية في شهر واحد.

وكان أولها قرار **01** جويلية **1872**(**111**) الذي يتضمن مصادرة أملاك الأعراش المحيطة بمدينة جيجل.

أما القرار الثاني فقد صدر يوم **20** جويلية **1872**ويتضمن مصادرة أملاك المنطقة الشرقية (**110**).

أما القرار الثالث فقد صدر يوم **24** جويلية، ويتضمن مصادرة أملاك منطقتي الميلية وميلة (**111**).

وكانت الأعراش المتضررة اكثر هي التي لها أراضي داخل السهل، مثل أولاد بلعفو وبني سيار وبني عمران وبني يدر وبني معمر. فهذه الأخيرة انتزع منها أكثر من ألف هكتار من أخصب أراضيها، وهي المساحة الممتدة من شاطئ البحر شمال قرية القنار إلى سوق الخميس القريب من الشقفة (**112**). ونفس الشيء بالنسبة لبقية الأعراش مثل أولاد بلعفو وبني يدر وغيرهما.

وكانت نتائج هذه المصادرات تفريغ سهل جيجل الشرقي والمنطقة الساحلية الضيقة الواقعة ما بين العوانة وجيجل وضفاف الوادي الكبير تمهيدا لتعميرها بالمستوطنات.

أما السكان الأصليون فقد طردهم المحتل إلى الأحراش والشعاب المحيطة بالسهل. حيث بقوا هناك يعيشون في قرى متناثرة إلى سنة 1962، ولم يترك داخل السهل إلا أقلية من أولاد بلعفو وبني سيار وبني عمران حيث حشرهم في قطع صغيرة من الأرض لا تتعدى مساحة الأكواخ (القرابة)التي يسكنونها.

ونستنتج مما تقدم أن ثورة 1871 اتخذت كذريعة لتبرير تنفيذ المشاريع الاستيطانية التي كانت مقررة من قبل، وتطبيق الاستعمار المباشر الذي كان يطالب به المعمرون.

أ- تهيئة سهل جيجل للاستيطان

بعدما صادرت الإدارة الاستعمارية حوالي 95 % من الأراضي السهلية الخصبة في سهل جيجل وغيره، شرعت سنة 1872 في بناء القرى المعروفة اليوم بقاوس (دوكان سابقا) والأمير عبد القادر(سترازبور) والطاهير والشقفة والعوانة (كافالو). كما وسع برج الميلية، وأصبحت هي كذلك قرية استيطانية، ثم اضافت إليها بعد سنة 1890 تاكسانة وزياما منصورية. وقد خططت تلك القرى على شكل واحد. وتضم ما بين 40 و80 منزلا. وما يزال بعض هذه القرى قائما حتى الآن على النمط العمراني الذي بنيت عليه خلال سنوات 1872- 1880، وهي عبارة عن مدن صغيرة ذات شوارع رئيسية ويتفرع عنها شوارع صغيرة، وتتوسطها ساحة عامة وكنيسة ودار بلدية ومركز بريد ومدرسة ذات قسم واحد ...الخ. وقد جلبت لهذه القرى أو المدن الصغيرة المياه من الينابيع الجبلية، كما ربطت بالطرق المعبدة بين بعضها البعض. وبينها وبين مدينة جيجل.

أما آلاف الهكتارات من الأراضي التي صودرت وأصبحت من أملاك الدولة، فقد قسمت غير المسقية منها ـ وهي الصالحة لزراعة الحبوب وأعلاف الحيوانات وأشجار الزيتون وعنب الخمر ـ إلى مساحات كبيرة، وكانوا يطلقون على كل قسم منها الكلمة الفرنسية التي استعملت أثناء التقسيم (أكسيون Action)، ومن كثرة الاستعمال خففت إلى كسيون (جمع كساين)، وهكذا فالسهل كله قسم إلى كساين (113).

أما الأراضي المسقية على ضفاف الأودية فقد قسمت إلى حدائق ما بين هكتار واحد وأربعة هكتارات، وهي خاصة بزراعة الخضر والبقول والفواكه.

وبعد إعداد سهل جيجل من كل الجوانب جيء بالمعمرين من جميع أنحاء أوربا لتعميره. وأغلب الذين جاءوا إلى منطقة جيجل من المهجرين من منطقة (الألزاس لوران) التي استولت عليها ألمانيا بعدما هزمت فرنسا في حرب 1870، ولذلك سميت حينذاك قرية الأمير عبد القادر الحالية باسم "سترا زبور" نسبة إلى المدينة التي

هجروا منها. وبعد إسكانهم في تلك القرى وزعت عليهم أراضي السهل المصادرة ليستغلوها في الزراعة وتربية الأبقار والخيول وغيرهما.

وكان من شروط منح الأرض أن لا تباع للجزائريين. وقد استمر هذا القانون ساري المفعول إلى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918(114).

وبعد سنة 1890 كون بعض المعمرين مزارع واسعة داخل السهل أو على اطرافه، وعلى الأخص قرب مدينة جيجل بعد نجاح تجربة زراعة عنب الخمر ونقلوا سكناهم إلى داخل تلك المزارع ليشرفوا مباشرة على العمال الذين يعملون في تلك المزارع.

وبلغ عددهم في القرى الأربعة التي بنيت داخل السهل سنة 1892 أكثر من ألف نسمة.

وبعد ثلاثين سنة انخفض عددهم إلى النصف (115). هذا فيما يخص المعمرين الوافدين على المنطقة بعد سنة 1872، إذ وفرت لهم الإدارة الاستعمارية كل وسائل العيش. على عكس الجزائريين الذين انتقلوا، بسبب مصادرة املاكهم، إلى وضع اجتماعي كارثي اسوة بالأغلبية الساحقة في كافة أرجاء الوطن. وسنقدم لا حقا صورة عن تلك الكارثة التي حلت بمنطقة جيجل كعينة لبقية انحاء الوطن.

ب - النتائج الاجتماعية لثورة 1871

لقد انتقل حقا المجتمع الجزائري كله بعد ثورة 1871 إلى وضع اجتماعي كارثي، اذ عم الفقر والمجاعات والبؤس والجهل جميع السكان وعلى الأخص سكان الارياف. وكمثال على ذلك منطقة جيجل إذ ضرب الاستعمار قوتها الحية ضربة قاضية، لانها هي التي كانت توطر سكانها، وكانت تجمع ما بين الدين والعلم والسياسة والثراء. لقد قتل بعضها والبعض الآخر سجن او نفي خارج المنطقة، ومنهم من أبعد الى كاليدونيا، ولذلك بقي سكان المنطقة جسما بلا روح، لأن مجتمعهم المدني قد تم تكسيره. ففي الميدان الثقافي عمد الاحتلال إلى حرق الزوايا التي كانت تقدم التعليم الثانوي والعالي لابناء المنطقة. ومنها على سبيل المثال زاوية مولا الشقفة التي يقول عنها تقرير الجنرال دو لاكروا سالف الذكر "لقد حضرت عملية حرق زاوية الشقفة من طرف طلبتها". ونفس الشيء بالنسبة لزاوية بن فيالا في بني حبيبي. وزاوية بن شاطر في نواحي تاكسانة، وزاوية بن عرعور في تابابورت، وبذلك قضي الاستعمار على القوة التي كانت تحرك السكان. وبعد ذلك قام بحشرهم في قرى جبلية نائية أو في الأحراش القريبة من سهل جيجل بعيدا عن كل الوسائل العصرية التي

أدخلها معه، فلا تعليم، ولا طرقات، ولا مستشفيات (116). وكانت وسائل العيش الوحيدة التي تركها لهم هي الزراعة الجبلية في قطع أرضية صغيرة لا تتعدى عشرات الأمتار. وحتى الأراضي المسطحة في أعالي الجبال التي سبق لهم وأزالوا غاباتها أثناء العهد العثماني منعوا من استغلالها، لأنها تقع في وسط الغابات التي استولت عليها الإدارة الاستعمارية. ولم يبق لهم من وسائل العيش سوى العمل الموسمي في مزارع المعمرين بسهل جيجل أو الذهاب للحصاد في حوضي فرجيوة وميلة في مزارع المعمرين، كما كانت تفتح لهم في كل صيف ورشات تقشير أشجار البلوط داخل منطقتهم الغنية بأشجاره فيعملون في تقشيرها وفي نقل المنتوج على ظهورهم من الأماكن الوعرة والشعاب العميقة الى نقاط تستطيع البغال الوصول إليها لتنقله هي بدورها إلى الطرق المعبدة في سهل جيجل. وكان هذا العمل الموسمي لا يتعدى الشهر الأول والثاني من فصل الصيف.

هذه هي الأوضاع الكارثية التي خلفتها ثورة 1871 في منطقة جيجل. يضاف إليها القوانين الجائرة التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية وطبقتها بعد نجاحها العسكري، مما نتج عن كل ذلك بروز مجتمع محلي مهزوم عسكريا خاضع لنظام استعماري استيطاني قائم على نزع الملكية والعبودية. واستمر هذا الوضع الكارثي إلى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918، وشمل سكان المنطقة كلها باستثناء أقلية منهم تعد على الأصابع، لا ترتقي إلى خمسة في الألف، تمارس النشاط التجاري داخل مدينة جيجل، وكذا بعض أعيان الأعراش المحيطة بمدينة جيجل مثل بني عمران وبني قايد وغيرهم (117).

أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد بدأ بعض الأفراد من سكان تلك القرى الجبلية النائية بالهجرة إلى المدن مثل قسنطينة وسكيكدة وسطيف وغيرها للعمل في البناء والتجارة، وعلى الأخص في تجارة الخبز والمطاعم والمقاهي والجزارة. كما أن بعض الأفراد تعلموا من المعمرين بعض الحرف الألية مثل الخياطة والحدادة. بالإضافة إلى الأعمال الفلاحية واستغلال الغابات، فكونوا ثروات لها قيمتها بالنسبة لذلك الوقت. ويصادف ذلك إلغاء قانون بيع الأراضي للجزائريين، فاستغلوا تلك الثروات المحدودة في شراء الأراضي من المعمرين، كما بدأ بعض المعمرين يبيع منازلهم داخل القرى التي بنيت لأجلهم بعد سنة 1871. ورغم ذلك كله، فقد بقيت معظم أراضي سهل جيجل الخصبة في أيدي المعمرين إلى سنة 1962.

وهكذا فكل الجزائريين الذين كانوا يسكنون داخل القرى سالفة الذكر قبل سنة 1954 لم يرثوا تلك المساكن عن آبائهم وأجدادهم، بل اشتروها من

المعمرين الأوائل أو ورثتهم. وأغلب عمليات البيع والشراء وقعت بعد الحرب العالمية الأولى.

ونفس الشيء بالنسبة لأغلب الأراضي الزراعية التي كان يملكها الجزائريون قبل سنة 1962، فقد انتقلت إليهم ملكيتها بالشراء من المعمرين، وليست بالإرث ، بدليل أن تلك الأراضي بقيت إلى اليوم تسمى الكساين أي (Les Actions).

ج- النتائج السياسية والإدارية

تعد المرحلة التي نورخ لها وهي مرحلة 1871- 1900 من أسوأ المراحل في الميدانين السياسي والاداري بالنسبة للجزائر بكاملها، ومنها منطقة جيجل، لأن الاستعمار في تلك المرحلة عمل بكل الوسائل لتطبيق سياسة العبودية، وذلك بسن القوانين الجائرة وبإبعاد الجزائريين - وعلى الأخص سكان الأرياف - عن كل نشاط سياسي. اذ قطع عنهم كل أمل في التطلع إلى المؤسسات الاستشارية مثل المجالس البلدية أو المؤسسات الإدارية، باستثناء بعض الأفراد القلائل الذين استعانت بهم الادارة مثل قياد الدواوير أو وقافي المشاتي.

ففي سنة 1870 نجح معمرو الجزائر بواسطة الضغط والتشويش على الحكومة الجديدة التي اطاحت بنابليون الثالث لتصدر في 15 نوفمبر 1870 قرارا يتضمن إلغاء النظام العسكري وتعويضه بنظام مدني (118). ولا يعني هذا- كما يتبادر إلى الذهن - تبديل نظام عسكري قاس في قوانينه بنظام مدني لين، فالعكس هو الصحيح، لأن هذا الأخير يبيح للمعمرين السيطرة التامة على الجزائريين أكثر بكثير من السابق، وهو ما حصل فعلا، فأغلب القوانين الفظيعة صدرت بعد سنة 1870، وقد استمر العمل بمعظمها إلى سنة 1962.

ولكي نقرب الصورة إلى الأذهان، لا بد من إعادة التذكير بتعريف النظام العسكري الذي ألغي، وهو: إنشاء المكاتب العربية في كل بلدة يحتلها الجيش الاستعماري، ويعين على رأسها ضابط تعطى له صلاحيات تنظيم الشرطة وجمع الضرائب وتسيير الحياة اليومية للأهالي، ويساعده في ذلك الأعيان الجزائريون، وأغلبهم ممن كانوا موظفين وشيوخا للأعراش في العهد العثماني. فمثلا المكتب العربي الذي تأسس في مدينة جيجل بعد احتلالها سنة 1839 يرأسه ضابط فرنسي ويعينه مساعدون من أعيان الأعراش، وأكبر مساعديه هم: سي الطاهرفرفاني (119) وسي لخضر مولا الشقفة وبن عرعورشيخ تابابورت (120) وسي عمار بن جمام وغيرهم من الأعيان. وكان النظام العسكري في نهاية سنة 1870 يشتمل على حوالي 98 % على المستوى الوطني، وهذا النظام لم يمنع الجالية الأوروبية في المدن الكبيرة وفي القرى

الجديدة من التمتع بالحقوق والقوانين السائدة في فرنسا. ورغم ذلك وقفوا ضده. وحاولوا إلغاءه في عهد الإمبراطور نابليون الثالث، لانه يمثل في نظرهم حاجزا ضد تسلطهم على البلاد والعباد سياسيا واقتصاديا وإداريا، وبالتالي التخلص من الأعيان والنخبة التقليدية التي كانت تتعاون مع جيش الاحتلال في تسيير الحياة اليومية. ولهذا غضب قادة الجيش المحتل من هذا الإلغاء، وعلى رأسهم قائدهم الأعلى الوالي العام حينذاك الجنرال ماكماهون الذي قدم استقالته على إثر ذلك من قيادة الجيش ومن الولاية العامة. غير أننا لن نتناول المقارنة بالتفصيل بين النظامين. وما يهمنا في هذا المقام هو تطبيق النظام المدني في منطقة جيجل (121).

6- النظام المدني في منطقة جيجل

لقد أصدرت الإدارة الاستعمارية بعد إلغاء النظام العسكري سنة **1870** عدة مراسيم لتنظيم وتطبيق النظام الجديد على المستوى الوطني، ومنه منطقة جيجل. وكانت أول بلدية ظهرت نتيجة لتطبيقه بلدية دوكان (قاوس حاليا) سنة **1872**.

وكان أهم مرسوم من المراسيم العديدة التي ظهرت بعد سنة **1870** فيما يخص تطبيق النظام المدني هو مرسوم **10** ماي **1892** الذي يتضمن معظم التنظيمات التي استمر العمل بها إلى سنة **1962**،

وبموجبه قسمت منطقة جيجل الساحلية الممتدة من وادي المرسى (أوقاس) إلى القل والتي تشتمل اليوم على ولاية جيجل الحالية والنصف الشرقي من ولاية بجاية وأجزاء من ولايات سكيكدة وميلة وسطيف، قسمت هذه المنطقة كلها إلى أربع بلديات تامة وخمس مختلطة لأن بلديات سوق الاثنين وخراطة وزيامة المنصورية وتاكسانة بقيت بعد إنشائها تابعة للبلديات المختلطة فيما يخص سكانها من الجزائريين ولم ترتق إلى بلديات تامة إلا بعد الحرب العالمية الثانية (122).

أولا: البلديات التامة (Communes De Plein Exercice)

أقامت الإدارة الاستعمارية عددا من البلديات التامة أو التي يطلق عليها بالفرنسية (Communes De Plein Exercice). وهي بلديات جيجل، دوكان، سترازبور، الشقفة، وحسب الإحصاء الرسمي الذي نشرته الجريدة الرسمية سنة **1892** (123)، فإن عدد سكان تلك البلديات لا يتعدى **4382** معمرا و**17841** جزائريا، ومجموعهم **22239** أي حوالي سبعة في المائة من مجموع سكان المنطقة، وكان التقطيع الجغرافي لتلك البلديات صغيرا لا يتعدى سبعة كيلو مترا للبلدية الواحدة. وكان تسييرها يتم بواسطة انتخاب المعمرين من بينهم أعضاء المجلس

ورئيسه مثل ما هو عليه الحال في فرنسا، وكانت عصرية ومنضبطة وشاملة لجميع الخدمات كالتعليم والصحة وتزويد السكان بمياه الشرب والسقي، وكانت هذه الخدمات خاصة بالمعمرين. أما الجزائريون الساكنون بمقر البلدية أو على أطرافها فهم محرومون من تلك الخدمات الكبيرة التي تقدمها تلك الإدارة للمعمرين، لأن الجزائريين مواطنون من الدرجة الثانية، وحتى المشاركة في انتخاب أعضاء المجلس البلدي لم يسمح لهم بها إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

أما قبل ذلك فكانت هناك شروط لمن يسمح له بالتصويت، وهي لا تتوفر إلا للقليل من الجزائريين، منها معرفة اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، وأن تكون له أملاك في البلدية.

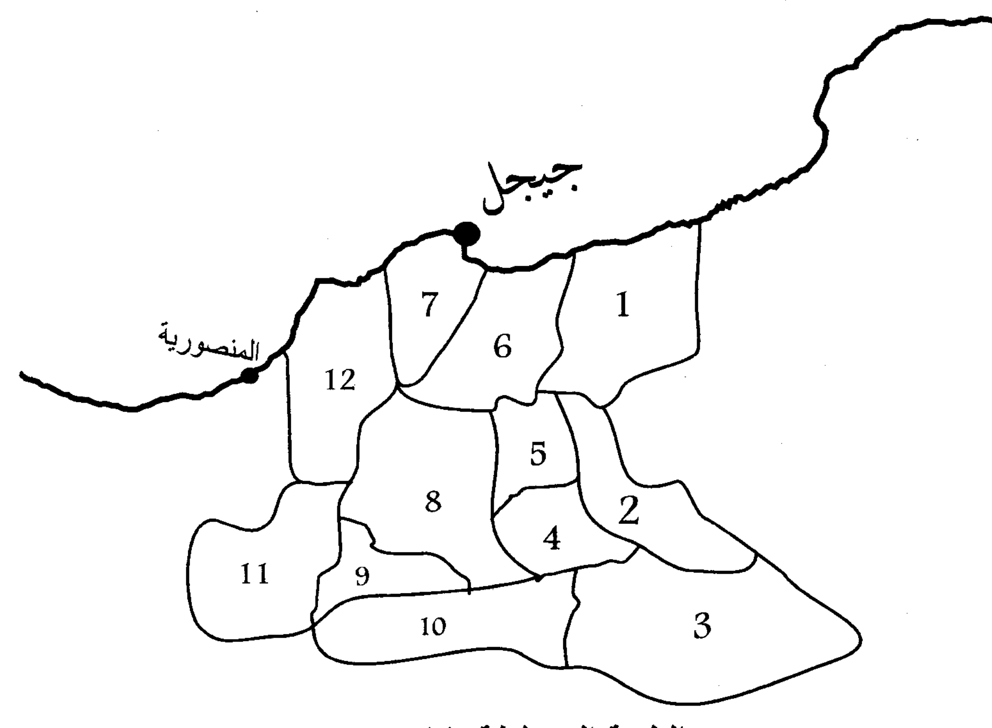
وهذان الشرطان لا يتوفران إلا في حوالي 1 % من الجزائريين الذين يسكنون داخل تلك البلديات.

ثانيا: البلديات المختلطة (communes mixtes)

بالإضافة إلى البلديات التامة السالفة الذكر، أنشأ الاستعمار بلديات مختلطة، وهي: وادي المرسى (أوقاس) وتابابورت والطاهير والميلية وأولاد عطية (124).

هذه البلديات الخاصة بالأهالي (Les Indigènes) يبلغ عدد سكانها حوالي 93 % بالنسبة للسكان الجزائريين في البلديات التامة سالفة الذكر، وكان تقطيع بلدياتها واسعا جدا على عكس بلديات المعمرين. فمثلا بلديات تابابورت والطاهير والميلية كانت تغطي المنطقة الممتدة من زياما منصورية إلى وادي زهور، وهي المساحة التي تشملها ولاية جيجل الحالية وأجزاء من ولايات سكيكدة وميلة وسطيف.

وقد قسمت تلك البلديات إلى دواوير طولية تبدأ من مياه البحر وتمتد إلى قمم الجبال. فدوار العوانة على سبيل المثال يبدأ من مياه البحر غرب مدينة جيجل ويمتد جنوبا إلى قمم جبال بابور. ونجد بعض تلك البلديات تشتمل على أكثر من عشرين دوارا، فالميلية كان بها ثلاثة وعشرون دوارا. كما قسموا الدواوير إلى مشاتي (جمع مشتى)، فمثلا دوار أولاد قاسم بالميلية كان يتكون من سبع مشاتي هي: أولاد علي وابراهم، أولاد العربي، أولاد الصالح، أولاد عتيق، أولاد قدور، أولاد عنان، أولاد عجنة. والمشتى قد تتكون من دشرة كبيرة أو مجموعة من الدشرات. فمثلا مشتى البياضة التابعة لدوار يرجانة ، بلدية الطاهير تتكون من خمس دشرات هي: أولاد حبيلي ، البياضة، العجاردة، أولاد ابراهيم، العزايب وهكذا.

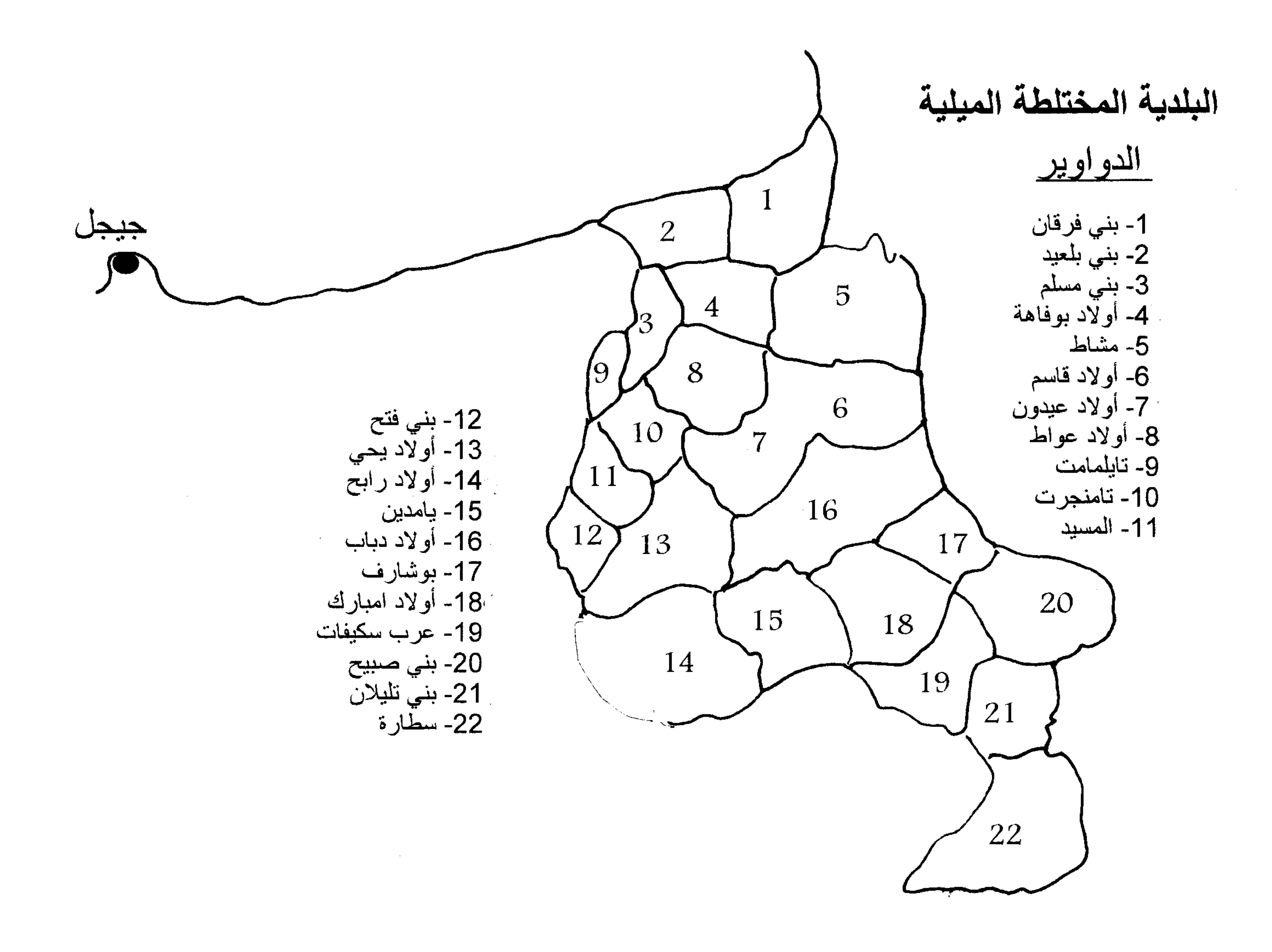


البلدية المختلطة تابابورت
(جيجل)

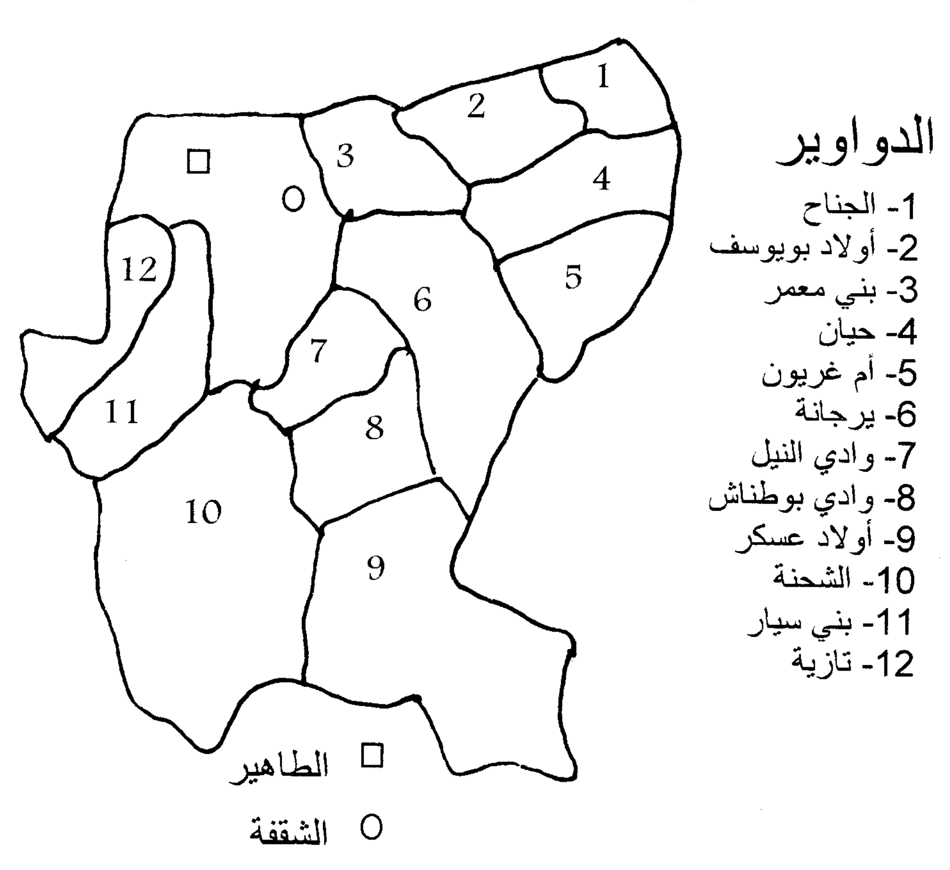
<u>الدواوير</u>

1- شادية
2- تابلوطت
3- جيملة
4- رقادة
5- أم الثلاثين
6- المرابط موسى
7- بني قايد
8- بني فوغال
9- ميسة
10- تامزقيدة
11- بني زونداي
12- العوانة

جيجل
بجاية
المنصورية
البلدية المختلطة
واد المرسى(أوقاس)
الدواوير التابعة لها
1- أوقاس
2- ريف
3- بني حسين
4- بني بويوسف
5- بني سقوال
6- تابابورت
7- المنصورية
1
2
3
4
5
6
بني فولكاي
خراطة
الواد البارد
بابور
سرج الغول
عرباون
البلدية المختلطة تاكيتونت
(العين الكبيرة)


البلدية المختلطة الميلية
الدواوير
1- بني فرقان
2- بني بلعيد
3- بني مسلم
4- أولاد بوفاهة
5- مشاط
6- أولاد قاسم
7- أولاد عيدون
8- أولاد عواط
9- تايلمامت
10- تامنجرت
11- المسيد
12- بني فتح
13- أولاد يحي
14- أولاد رابح
15- يامدين
16- أولاد دباب
17- بوشارف
18- أولاد امبارك
19- عرب سكيفات
20- بني صبيح
21- بني تليلان
22- سطارة
جيجل
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22

البلدية المختلطة الطاهير



وتسير البلدية المختلطة من طرف متصرف فرنسي(**Admenistrateur**). وكان يسمى الحاكم ، ويخلفه أثناء غيابه الخليفة، وهما يحكمان البلدية بواسطة القياد الذين يعينون على رأس كل دوار، كما يعين على راس كل مشتى وقاف. وبذلك يصبح جميع سكان الدواوير مراقبين من طرف الإدارة الاستعمارية. لأن الوقاف والقايد يعيشان في وسط الدوار. والسلم الإداري من الأسفل إلى الأعلى هو كالتالي: الوقاف. القايد. رئيس البلدية المختلطة (المتصرف) أي الحاكم. وكانت وظيفة القايد والوقاف نوعية خارج الوظيف العمومي، وكان المرتب البسيط الذي يتقاضياه يقتطع من الضرائب المكلفين بجمعها، ولذلك كانت تنتشر الرشوة في أوساط هذه الفئة من موظفي الدواوير، ويضاف إليهما في تسيير البلدية الخزناجي ورجال الدرك والشنابط . وبذلك يكتمل الجهاز المسير للبلدية والمتكون من اداريين وأمنيين وماليين. وكانت مهامهم الأولية جمع الضرائب من سكان الدواوير (125)، وفرض الغرامات واستخلاصها

والمحافظة على أمن المعمرين في قراهم القريبة من الدوار، وتنظيم حراسة الغابات من الحرائق أثناء فصل الصيف، وجمع القادرين على العمل بالسخرة وشق الطرقات وبناء قرى المعمرين ..الخ.

لقد كانت إدارة معاكسة تماما لإدارة البلدية التامة الخاصة بالمعمرين. فهذه خدومة كما أشرنا إليه سابقا، بينما المختلطة تنعدم فيها الخدمات، فلا يوجد بها أي حق من الحقوق في أي ميدان من ميادين الحياة، فهي بلديات تقوم بالواجبات فقط. ولإضفاء الشرعية على مهام موظفي البلدية المختلطة أصدرت السلطات العليا الاستعمارية أغرب القوانين التي عرفتها البشرية، ومنها ما يتضمن فرض العسة (الحراسة) على قرى المعمرين ليلا ونهارا (126). ومن واجباتها إعلام وقاف المشتى أو قايد الدوار بكل غريب يقترب من قرى المعمرين. وبعد استقرار الأوضاع الأمنية حولتها إلى حراسة الغابات. وقد بقيت تلك الحراسة تنظم كل صيف إلى سنة 1939 وفقا لقرار صدر سنة 1881 ونشرته جريدة المبشر (127). ويتضمن عدة بنود. منها فرض العقاب المشترك على جميع سكان القرية أو القرى القريبة من بداية الحريق ويرتقي العقاب إلى مصادرة أملاكها. واستنادا إلى ذلك القرار صودرت املاك عدة قرى الواقعة على الساحل ما بين بجاية والقل سنة 1882، فمثلا صودرت في القل أملاك قرى من عرش أولاد عطية وبني إسحاق وفي الميلية بعض القرى من اولاد عيدون ومشاط. وفي جيجل قرى بني فوغال وبني احمد (128).

فقساوة هذه القوانين زادت من معاناة السكان. يضاف إلى تلك القوانين الجائرة الخاصة بحراسة الغابات، قانون الزجر الإداري (129) الذي أمضاه رئيس الجمهورية الفرنسية كارنو يوم 27 جوان 1889 والمتبوع بملحق خاص بالمسلمين (130). وهو ملحق يتضمن 26 بندا. وقد أعطيت صلاحيات تطبيق تلك البنود لمتصرف البلدية المختلطة، إذ يصبح بموجب ذلك القانون الحاكم المطلق للدواوير التي تكون تحت تصرفه وحسب نصوصها الواردة في الهامش. فهي تبيح لمتصرف البلدية إجراء العقاب على كل مسلم خالف تلك القوانين، ومنها مثلا من تفوه بكلمة تسيء لفرنسا. أو تعليم القرآن بدون إذن الحاكم أو خرج من بلديته بدون رخصة المرور. فهؤلاء يجري عليهم المتصرف الإداري العقاب بدون محاكمة. فمثلا سكان بلدية الطاهير ممنوع عليهم التنقل إلى بلدية الميلية في الناحية الشرقية وإلى بلدية فرجيوة في الناحية الجنوبية ولو للحصاد. ففي سنة 1892، أي بعد صدور القانون بثلاث سنوات، عاقب متصرف بلدية الطاهير 349 شخصا من بلديته ذهبوا إلى فرجيوة للحصاد بدون إذنه (131).

هذه هي القوانين التي سير بها الاستعمار سكان الأرياف الجزائرية، ومنها منطقة جيجل، وهي كلها مستمدة من القانون المعروف بالانديجينا (Code L'indigenat) الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي سنة 1881، وقد بقي هذا القانون يستعمل كمرجع لجميع القوانين الجائرة التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية طيلة حكمها للجزائر(132).

وعندما نمعن النظر في هذه القوانين التي أصدرتها السلطات الاستعمارية لتسيير البلديات المختلطة حتى في إطار العصر الذي صدرت فيه، نجد أنها قد وضعت خصيصا لاستغلال واستعباد شعب غلب على أمره ولإذلاله وتفقيره وتجهيله والانتقام منه، ولم تكن موضوعة لضبط سلوكات شعب متخلف ومتعصب ومنعزل ورافض لكل ما هو عصري وحضاري، كما يزعم أغلب المؤرخين الفرنسيين.

7- قانون التلقيب

من بين القوانين الكثيرة التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية بعد تطبيق النظام المدني، قانون التلقيب الذي صدر سنة 1882، وبموجبه أصبحت كل أسرة جزائرية تحمل لقبا ملزما بطريقة رسمية ابتداء من يوم التسجيل في البلديات بنوعها التامة والمختلطة. ويتضمن هذا القانون ثلاثة أبواب:

الباب الأول يتركب من خمسة عشر فصلا يشرح فيه الكيفية التي يجري فيها التلقيب.

والباب الثاني والثالث يتركبان من ثمانية فصول تتضمن شروطا عامة وقوانين زجرية لمن لا ينفذ هذا القانون الذي أمضاه رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 23 مارس سنة 1882 (133).

هذا القانون يلزم المسلمين الجزائريين اتخاذ ألقاب أهلية خاصة بهم. ولم يشرع في تنفيذه إلا بعد سنة 1885، حيث أصدرت الحكومة الفرنسية أمرا آخر يوم 31 مارس سنة 1883 يتضمن ثلاثين فصلا تنظيميا، وحينذاك بدئ في تنفيذه. وقد استمرت العملية أكثر من عشر سنوات، وكان إجراء التنفيذ يتم بقرار يصدره عامل العمالة. ومما نلاحظه على نصوص القانون إعطاء الحرية للمسلمين لاختيار اللقب المناسب، لكن الذي يحصل أثناء التلقيب غير ذلك، لأن الكثير من الألقاب التي فرضت على بعض العائلات هي عبارة عن شتيمة لهم، والأمثلة كثيرة على ذلك، حيث أن الكثير من الألقاب المشينة التي ألصقت بالكثير من العائلات الجزائرية جرى أغلبها في البلديات المختلطة (C.M)، وقد يكون القائد أو الوقاف هما من اقترح لهذه العائلات الألقاب المعنية أو الجهاز الإداري المكلف بالعملية. فمثلا أثناء التسجيل

يلاحظون على الرجل الذي قدم إليهم التلعثم أو الخوف فيقترح الوقاف الذي يعرفه لقبا اشتهر به داخل قريته، وقد يكون مثلا كثير الكلام والثرثرة فيلقبونه بالثرثار، وقد يكون أبوه مهبولا فيلقبونه بابن المهبول وهكذا. وقد تشاهد لجنة التلقيب جراحا في أي مكان من جسم الشخص فيلقبونه بولجراح.

وقد شرع في تنفيذ العملية بمنطقة جيجل حوالي سنة 1886 في بلدية الميلية حسب جريدة المبشر (134).

وأغلب الألقاب التي لقب بها سكان المنطقة تبدأ بـ "بو" مثل بوالديس، بولحشيش، بولحبال، بوغابة الخ .. مما يدل على انه لم تكن لهم ألقاب سابقة. وانها فرضت عليهم ولم يختاروها بأنفسهم، كما ينص على ذلك قانون التلقيب.

وكان الهدف من تلقيب الأهالي أمنيا وجبائيا، فمن الناحية الامنية يهدف القانون الى بسط الرقابة الكلية على جميع السكان اينما كانوا، والتعرف على تحركاتهم وتفادي الأخطاء الجسيمة التي وقعت أثناء مطاردة المشاركين في ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871، إذ صودرت أملاك الكثير من الأهالي ووضع أصحابها في السجن أو قتلوا، لأنهم يحملون أسماء مثل الذين شاركوا فعلا فيها. وقد ثبتت براءتهم بعد فوات الآوان. ففي دوار واحد من بني خطاب الشرقية تمت مصادرة أملاك ستة أشخاص وجرى قتل بعضهم، لأن أسماءهم تماثل أسماء المتهمين الحقيقيين من دوار اولاد عواط، وجميعهم
من نفس البلدية المختلطة (الميلية).

أما من الناحية الجبائية فقد أصبحت إدارة الضرائب تعرف عدد السكان الذين يدفعونها، وكانت الإدارة العثمانية قبلها تهتم كثيرا بهذا الميدان. ففي الأرشيف الوطني بالجزائر نجد قوائم كاملة منظمة ومرتبة من اليمين إلى اليسار، لأنها كانت تقيد أسماء السكان في سجلات رسمية خاصة بجمع الضرائب.

8- مقارنة بين الإدارتين العثمانية والفرنسية

لقد ترك الفرنسيون إدارة الأرياف الجزائرية كما كانت في العهد السابق في عدة ميادين باستثناء اتخاذ القرار، أما غير ذلك كوسائل تنفيذه في القاعدة، فقد بقيت كما كانت في العهد العثماني، لأن ذلك التنفيذ يعد من السلبيات. ولهذا احتفظوا بها إلى نهاية رحيلهم.

ففي ميدان الوظائف التي لها اتصال مباشر بالمواطنين كقائد الدوار ووقاف المشتى، نجد إن الإدارة الاستعمارية قد تركتهم بنفس الأسماء إلى سنة 1862 بعدما

جردتهم من اتخاذ القرار الذي كانوا يتمتعون به في العهد العثماني، إذ أسندت هذه المهمة إلى رئيسهم المباشر حاكم البلدية المختلطة الفرنسي.

كما حافظ الاستعمار على كل المهام السلبية الموروثة عن العهد العثماني. والتي تتلخص في جمع الضرائب وفرض الغرامات العديدة بكل الطرق، وزاد عليها بعض الواجبات التي أشرنا إليها سابقا مثل حراسة قرى المعمرين وغيرها، كما تتفق الإدارتان في انعدام الخدمات، فكلاهما إدارة واجبات. كما حافظ المحتل على وراثة منصب القياد والوقافين والقضاة وكتابهم، فقد كانت تلك المناصب تتوارثها عائلات معروفة على المستوى الوطني. فقد كانت تتقاسمها طيلة 132 سنة. فمثلا منطقة جيجل التي تشتمل على حوالي 120 دوارا، كانت تتقاسم منصب القياد فيها حوالي عشرين عائلة، و تعود أغلب جذورهذه العائلات إلى مشاركتها الفعالة في تثبيت الاحتلال الفرنسي ما بين سنوات 1839- 1871 أو الذين أظهروا كفاءتهم وشجاعتهم أثناء الحروب التي كان الاستعمار الفرنسي يقوم بها في جميع أنحاء العالم لتوسيع إمبراطوريته.

والحقيقة التاريخية - في رأينا - أن الطابع المشترك للعهدين العثماني والفرنسي يتمثل في انعدام خدمات الدولة وتهميش السكان الجزائريين والمحافظة على تخلفهم وتركهم جامدين. وعلى الأخص سكان الأرياف طيلة خمسة قرون.

فبالنسبة للعهد العثماني (316 سنة)كان انعدام الخدمات عاما في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية "فليس في الإمكان أبدع مما كان" كما يقول المثل، بالإضافة إلى الطابع العسكري السائد في ذلك العهد، نظرا للصراعات الدولية يومذاك بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، فلا علاقة لذلك العهد بتخلف الشعب الجزائري، لأن الأوضاع الحضارية التي كانت تسود الإمبراطورية العثمانية (1500 - 1830) ليست بعيدة كثيرا عن مثيلاتها في فرنسا.

أما بالنسبة للعهد الفرنسي (132سنة) فقد احتل الفرنسيون الجزائر في الوقت الذي كان يجري ببلدهم تقدم حضاري سريع في جميع الميادين العلمية والصناعية والفلاحية والإدارية والعسكرية، ورغم ذلك فاحتلالهم كان هو السبب الرئيسي لتخلف الشعب الجزائري أكثر من قرن، لأنهم عزلوا حوالي 96 % منه في الجبال والشعاب والسهوب والصحارى، وحالوا بينه وبين النهضة العصرية التي قامت ببلدهم، فلم يستفد منها الشعب الجزائري بتاتا، فلا تعليم قدم لسكان الأرياف، ولا طرق مواصلات امتدت إلى مناطقهم، ولا كهرباء، ولا مساكنهم تغيرت ولا ملابسهم تبدلت، ولا فكرهم تطور، ولا تعلموا صناعة، ولا تدربوا على فلاحة حديثة، بل بقوا يحرثون الأرض الجدباء التي تركها لهم المعمرون بالمحراث الخشبي الذي يعود إلى عهد

ماسينيسا حتى سنة 1962، فإلى هذا التاريخ لا نجد من الجزائريين من اكتسب خبرة من الفرنسيين يستطيع بها مد جسر أو تشييد بناء، هذه الخبرة التي تكتسب عادة بالاحتكاك الكافي لتعلمها. والدليل على ذلك، هذا التقرير الرسمي الذي بعثت به الولاية العامة الجزائرية إلى حكومة باريس
سنة 1890 والذي يبدأ بهذه الفقرة: "مضت علينا مدة خمسين سنة والمسلمون لا نسمح لهم بمخالطتنا، ماعدا النادر منهم، وقد بقيت جموع القبائل تهبط من جبالها إلينا في أوقات حش الكلأ وحصاد السنابل وجني العنب، ثم ترجع إلى مقرها..الخ (135).

وفي نفس السياق وردت هذه الجملة في الخطاب الذي ألقاه الوالي العام جول كامبون في مجلس الشيوخ الفرنسي يوم 30 جانفي 1892 "ومعلوم أننا لا نمد أيدينا إلا لتعليم الأطفال المستمرين في مخالطتنا الذين سنستعين بهم" (136).

لقد كان التقرير الأول حول الفلاحة صادقا بالنسبة لسكان الأرياف، فمثلا في منطقة جيجل حشر الاحتلال سكانها في الجبال المحيطة بسهلها، ولا ينزلون إليه إلا للحصاد أو جني العنب في مزارع المعمرين. وهذا هو واقع الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين عاشوا الفترة التي نؤرخ لها ما بين سنوات 1871 - 1900.

9 - نجاح المعمرين بعد ثورة 1871

يمكن أن نعتبر منطقة جيجل كنموذج لنجاح المعمرين بعد ثورة 1871 في الاستيلاء على البلاد والعباد، إذ أصبحوا أسيادا ولا أحد ينافسهم في الثروات الجزائرية أو يقوم بثورة ضدهم مثل ما كان قبل سنة 1871، لأنهم استعملوا كل الوسائل المادية والمعنوية لقتل روح المقاومة حتى لا تعود من جديد حسب اعتقادهم. ولكن خاب أملهم واعتقادهم، إذ نهض الشعب الجزائري سنة 1954 ونجح في طردهم من البلاد الذين اعتقدوا بأنهم سيقيمون بها إلى الأبد.

ففيما يخص الاستيلاء على البلاد بالنسبة لمنطقة جيجل. صودرت جميع أراضيها السهلية الصالحة للزراعة وسلمت إلى المعمرين ـ على النحو الذي شرحناه سابقا ـ كما شقت بها طرقات عصرية معبدة، وشيدت بها قرى حديثة تعتبر مدنا صغيرة بها كل المرافق الحيوية. كما أصبحت تلك الأراضي مخصصة لإنتاج الحبوب بفضل الوسائل العصرية التي جاء بها المعمرون، وانقلبت ضفاف مصبات الوديان التي تشق الأراضي السهلية، مثل وديان جنجن والنيل والرمال، من ضفاف مهملة ومغطاة بالحشائش والشجيرات المائية والمستنقعات، إلى حدائق غناء منتجة لجميع أنواع الخضر والبقول والفواكه، كما انتقلت مدينة جيجل، عاصمة الإقليم، من قرية صغيرة جاثمة على صخرة داخل البحر إلى مدينة عصرية خارج تلك الصخرة.

ونتيجة لكل ذلك انتشر الثراء السريع في أوساط المعمرين على حساب الجزائريين الذين كانوا ينظرون إلى تلك المنجزات الكولونيالية ولا يستطيعون الاقتراب منها، فمثلا وسائل النقل العصرية التي جاء بها الاحتلال مثل السكك الحديدية وعربات النقل الجماعي والسفن البخارية نادرا ما يركبها الجزائريون لشدة فقرهم، لأنهم لا يملكون حتى ثمن تذكرة استعمال هذه الوسائل العصرية. واستمر هذا الحرمان بالنسبة للأغلبية الساحقة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945. ولقد عاشينا، أنا وجيلي، ظاهرة تنقل تجار الحبوب والمسافرين قبل الحرب العالمية الثانية ما بين جيجل وفرجيوة وميلة وحتى ما بين جيجل وقسنطينة، حيث كانت عملية التنقل تجري على ظهور البغال والحمير أو الأرجل (137).

هذه خلاصة تأسيس العهد الاستعماري بمنطقة جيجل، وهو عهد إيجابي إلى أقصى حد بالنسبة للمعمرين، لكنه كارثي بالنسبة للجزائريين. ومع ذلك فمن الواجب دراسته بعمق وبروح متفتحة وعلمية، حيث لا ينبغي الاكتفاء بتوجيه النقد اللاذع لهذا الوجود الاستعماري فقط، بل يجب الوقوف بكل إنصاف على تلك الإيجابيات التي حولت ضفاف الأودية إلى حدائق زراعية منتجة، وأرجعت الشجيرات التي كانت تغطي المستنقعات، إلى حقول لجميع المزروعات، بدلا من الأمراض التي كانت تسببها هذه المستنقعات وعوضا عن الغابات المهملة تحولت كلها إلى مصدر للثروات والمنتوجات النافعة.

10 - المنطقة بعد استقرار المعمرين

أول شيء ظهر على السطح بعد غرس المستوطنات في الأراضي السهلية والجبلية هو التغيير الجذري في توزيع خريطة السكان بسبب التهجير الإجباري لهم، إذ نقل الكثير من أماكنهم الأصلية إلى أماكن اخرى، ولذلك وقع تداخل واسع بين أعراش وعشائر وأسر المنطقة. فقد تم نقل بعض العشائر والأسر من الطاهير إلى الشقفة، فنجد أولاد صالح غرب الطاهير، كما نجدها بالقرب من الشقفة، ونجد أولاد خلاص وأولاد مسعود ببني يدر، كما نجدها ببني فتح جنوب العنصر. وهكذا تداخل العمراني مع اليدري والعافري مع السياري والعيدوني مع العواطي والتيفوني مع الفرقاني (نسبة إلى بني توفوت وبني فرقان). فهذا التداخل الواسع الذي حدث أثناء العهد الفرنسي لم يحدث إلا نادرا وبصفة فردية أثناء العهد العثماني، أما بصفة عامة فقد كان التقسيم الجغرافي للأعراش محترما، لأن العثمانيين لم يتدخلوا في المنطقة إلا في ناحية بني فوغال لاحتوائها على الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كما تمت الإشارة إليه سابقا.

هذا فيما يخص التهجير داخل المنطقة، أما المهجَرون إلى خارجها فهم كثيرون ، إذ نجد فروعا من أعراش بني فوغال وبني قايد وبني احمد في نواحي قالمة ووادي زناتي

وغيرهما فمثلا عائلة بوخروبة(عائلة الرئيس الراحل هواري بومدين)هجرت من بني فوغال إلى ناحية قالمة ومازال آثار منزلها في بني فوغال قرب فج سلمى إلى يومنا هذا

وقد بدأ الاستعمار في سياسة تهجير السكان من مناطقهم الاصلية إلى غيرها سنة 1851 أثناء حملة سانت آرنو وبلغت ذروتها سنة 1871 اذ صودرت كل من كانت لهم أراضي سهلية صالحة للزراعة سواء شاركوا في الثورة أم لم يشاركوا. وبعدها يهجرون اصحابها إلى أماكن أخرى إما إلى الجبال والأحراش القريبة من تلك الأراضي او إلى أماكن أخرى بعيدة حسب التهمة الموجهة لأصحاب تلك الارض. ونتيجة لكل ذلك عم الفقر جميع طبقات السكان وانتشر في أوساطهم اليأس. ففي بداية الأمر انشغلوا بتأسيس حياتهم الجديدة بإقامة الأكواخ لسكناهم وازالة الغابات من الأحراش التي خصصها الاستعمار لهم لاستغلالها في الزراعة المعاشية التي سيبقون في ممارستها إلى سنة 1962.

هذا هو المصير المظلم الذي آلت إليه الأغلبية الساحقة من سكان المنطقة الريفية بعد استقرار المعمرين بها، وليست الأقلية منهم التي بقيت تسكن مدينة جيجل. او بالقرب من القرى التي شيدها المعمرون في الاراضي السهلية بعيدة عن المصير المظلم الذي آلت إليه الأغلبية، باستثناء أقلية تعد على الأصابع كالقياد وبعض التجار في مدينة جيجل أو بعض الموظفين الذين استعان بهم الاستعمار في الترجمة وغيرها.

ولاحتواء هذا المصير المظلم الذي آل اليه سكان المنطقة كان لا بد من عمل شيء ما أو أشياء لجعل السكان قابلين بهذا المصير، وإقناعهم بانه قضاء وقدر يجب الخضوع له. ولبلوغ هذا الهدف جند الاستعمار كل إمكانياته المادية والعلمية. فبدا بإحاطتهم بشبكة إدارية تراقب كل تحركاتهم اليومية، مدعومة بقانون لانديجينا (قانون الأهالي) الذي يمنع الحديث عما فعله الاستعمار في الماضي أو ما يفعله في الحاضر والمستقبل. فالكلام في هذه المواضيع محرمة، وقد يؤدي بمن يخالف ذلك إلى السجن أو النفي إلى كاليدونيا، ولذلك عم الصمت القاتل الجيل الذي عاش من سنة 1870 إلى سنة 1920، ودفنت معه كل الأسرار التي كان أفراده يحملونها في صدورهم (138) مثل ترحيلهم الإجباري من مناطقهم الأصلية إلى مناطق أخرى أو تعرض أقاربهم او جيرانهم إلى الإبادات الجماعية.

لقد فرض الجهل على ذلك الجيل والأجيال التي جاءت بعده. فحتى معلم القرآن الكريم في القرى النائية يمنع عليه تحفيظ القرآن دون إذن حاكم البلدية المختلطة.

أما المدارس الفرنسية، إذا استثنينا تلك التي فتحها الاستعمار لابناء المعمرين في جيجل وفي القرى الخاصة بهم، فلا نجد إلا حوالي عشرة مدارس ابتدائية ذات قسم واحد أو قسمين في المنطقة الساحلية الممتدة من أوقاس شرق بجاية إلى مدينة القل

(139) والتي كان يسكنها أكثر من ثلاثمائة الف نسمة. وقد بقيت تلك الدواوير كما هي إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعدها أضيفت إليها بعض المدارس تعد على الأصابع. وهكذا فطيلة أكثر من قرن فتح الاستعمار عشرة مدارس لتعليم أبناء منطقة جيجل الريفية.

11 - المجتمع الأهلي بعد استقرار المعمرين

لقد نتج عن استقرار المعمرين بمنطقة جيجل وتطبيقهم للتنظيمات الإدارية المدنية ونشاطهم الاقتصادي والحضاري والثقافي بروز ثلاث فئات في المجتمع الأهلي الجيجلي: الفئة الأولى، وهي الأغلبية الساحقة من السكان الذين صودرت أملاكهم وهجروا من أماكنهم الأصلية وحشروا في الجبال والشعاب والاحراش وعمهم الفقر والجهل والبؤس. ولاحتواء هذا الشقاء الذي آل إليه سكان المنطقة ساعد الاستعمار البعض من رجالها البارزين على إحياء الطرق الصوفية وعلى الاخص الطريقة الرحمانية التي سبق له أن أزال زواياها من الوجود بعدما قتل أو سجن أو نفى اصحابها، لأنها كانت بؤرة لكل المقاومات التي كانت تقوم بالمنطقة من أمثال زوايا سيدي سعدون بفرجيوة وبن عرعور في تابابورت وبن شاطر في تاكسانة ومولا الشقفة في بني يدر وبن فيالا في بني حبيبي. ورغم ذلك ساعد على إحيائها من جديد ، لانه يعرف مدى تاثيرها وعمقها في ثقافة سكان المنطقة، ولذلك سمح لها بالظهور من جديد بعدما دجن أصحابها وحدد لهم المهام التي سيقومون بها مثل تحبيب الفقر والزهد في الدنيا ونشر الخرافات والشعوذة، واشاعة المقولات الاستسلامية والقبول بحكم الرومي، بالاضافة إلى النشاطات الدينية والاجتماعية والتعليمية كتحفيظ القرآن، وبعضها تقدم دروسا بسيطة في الميادين اللغوية والفقهية، كما تقدم بعض الاعمال الخيرية لكسب مصداقية الطبقات الشعبية الفقيرة، ولذلك انخرط في أحزابها أغلبية سكان المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لعلها تخفف من بؤسهم وشقائهم.

وبتلك الزوايا كون الاستعمار شبكة أخرى بعد شبكة الإدارة المدنية التي كونها من قبل للتحكم من قريب في الطبقات الشعبية بحيث أصبحت مؤطرة إداريا بالقياد والوقافين، وروحيا بشيوخ ومقدمي الطرق الصوفية ، حيث صار لكل أسرة شيخها المفضل، وانتشر هذا القول في وسطهم: من ليس له شيخ فشيخه الشيطان. وقد عايشنا اواخر هذا التغلغل والتأثير للطرق الصوفية، إذ كان والدي يحلف بشيخه ابن عبد الرحمن وأسمعه يوميا عدة مرات (140)، كما كنت أسمع أمي رحمها الله تحلف بسيدي

بوتابت (141). وكنت أسمع أيضا في القرية التي ولدت بها كلمات مثل الخوني والشاوش والمقدم، مثل الخوني الطاهر والشاوش صالح والمقدم بلقاسم، وهي رتب النضال في أحزاب الطرق الصوفية.

ونتيجة لهذا الانتشار الواسع تأسست في كل دوار زاوية خاصة به أو عامة لجميع الدواوير. وقد بقيت هياكلها إلى بداية الثورة سنة 1954، وكانت بنايتها تمتاز بالصلابة والجمال - لأنها بنيت بالإسمنت، ولو كانت في أماكن نائية عكس منازل القرى المحيطة بها، فأغلبها مبني بالطين، وكنا نشاهد بداخلها أشياء غريبة عنا مثل الستائر الحريرية والثرايا المتدلية وغيرها، وكنا نقدسها عندما ندخل إليها، وعلى الأخص الغرفة المعروفة بالقرابة أو الخلوة أو المقام، وتعني هذه الكلمات قبر الولي الصالح المدفون هناك.

وأهم الزوايا التي وقفنا عليها في منطقة جيجل، زاوية بن المقدم في بني معمر. وزاوية بوالطمين في دوار يرجانة، وزاوية بني فاضل وبوسماحة في نواحي الطاهير. وزاوية بن الدرويش في تايلمامت قرب العنصر وغيرذلك من الزوايا التي لا نعرفها. وقد زرت الزوايا التي ذكرتها قبل الحرب العالمية الثانية. ولكنها كانت قد فقدت سطوتها وازدهارها، كما تضاءل نشاطها التعليمي، وحتى تحفيظ القرآن الكريم كفت عن تقديمه للطلبة، وذلك بسبب الحرب التي أعلنها المرحوم عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء عليها.

أما قبل ذلك فقد كان نشاطها واسعا، وقد اشتهر من أبناء المنطقة أحد الصوفيين الكبار يدعى سيدي احمد الحبيباتني الذي بقيت أقواله متداولة بين أبناء المنطقة إلى بداية الحرب العالمية الثانية، إذ كنا نسمع حينذاك من الكبار أينما ذهبنا أمثال هذه الأقوال: قال سيدي أحمد الحبيباتني في آخر الزمان يحكمنا الألمان ، في آخر الزمان تحط الطيارة في عين ولمان (142).

الفئة الثانية التي ظهرت في المنطقة هي فئة الطبقة الوسطى التي تتكون من أبناء الموظفين وبعض التجار من مدينة جيجل ومن الذين شاركوا المعمرين في استغلال الغابات، وهي أقلية لا تتجاوز نسبتها 6 %. ورغم تحسن أوضاعها الاجتماعية وتعلم أبنائها في المدارس العصرية الفرنسية، إلا أن هذه الفئات الوسطى بقيت على العموم محافظة على أصالتها، و كان أبناؤها يعبرون عن تضامنهم وعطفهم على الأغلبية الساحقة من أبناء جلدتهم التي كانت غارقة في فقرها وجهلها وتخلفها. واشتهر من أبناء هذه الفئة الزعيم الوطني فرحات عباس الذي شاهد في بداية القرن العشرين عندما كان صغيرا الفقر والبؤس السائد في سكان الدوار الذي كان أبوه قائدا عليه. وقد عبر عن ذلك في وصيته السياسية وفي مقالاته التي

كان يكتبها في الصحف، إذ يقول في إحداها: "نشأت في دوار ... وسط مجتمع فقير وساذج وكريم، فتعذر علي مفارقته، فتضامني مع أولئك البؤساء ليس عاطفيا فحسب، بل هو حيوي يجري في دمي وعروقي". ويقول في مناسبة أخرى "إن هؤلاء البؤساء أحبهم ويبادلونني الحب، ومنذ انشغالي بعالم السياسة سيطرت علي فكرة ترقيتهم...".

الفئة الثالثة تتركب هي أيضا من الأشخاص أنفسهم الذين تكونت منهم الفئة الثانية من أبناء القياد والتجار، وهي أقلية أيضا وتعد على الاصابع، ولكنها مهمة من حيث وزن الأشخاص المنتمين إليها من أمثال الفرقاني وبن حبيلص وبوسديرة، فقد أغواهم بريق المظاهر الحضارية والتقدم العلمي والتقني الذي جاء به المعمرون إلى الجزائر، بحيث سلب عقولهم وجعلهم يقارنونه بالجمود والتخلف الذي كان يسود المنطقة. ومن أشهر المعتنقين لهذه الأفكار الشريف بن حبيلص الذي كان قاضيا بمدينة قسنطينة، إذ ألف كتابا سنة **1914** تحت عنوان: الجزائر فرنسية كما يراها أنديجان. ومما قاله في ذلك الكتاب: "إن الاستعمار حمل معه إلى الجزائر بذور التقدم والرقي، وعلى الجزائريين الخضوع لفرنسا". وفي الوقت نفسه يعترف ابن حبيلص بأن الأغلبية الساحقة أغرقها الاستعمار في البؤس والفقر، ولكنه ينصحها بالانغماس مثله في الاندماج، حيث يقول: "هذا الشعب الغارق في الفقر والبؤس ليس لديه ما يخسره عندما يصبح فرنسيا".

وبعد، فقد انتهيت من تأليف هذا الكتاب في **28** أفريل سنة **2007**، وكنت أنوي المضي في الكتابة عن فترة القرن العشرين من الوجود الفرنسي بالجزائر، غير أنه بالنظر إلى الحجم الكبير الذي يتطلبه مثل هذا العمل والجهد الاستثنائي الضروري، آثرت الوقوف به عند سنة **1900**. وسوف أفرد بإذن الله جزءا ثانيا لتناول الفترة المتبقية من العهد الفرنسي بالجزائر، إذا سمحت لنا الظروف بذلك، والتي تمتد من بداية القرن العشرين إلى سنة **1962**، تاريخ استقلال الجزائر.

والله الموفق

هوامش الفصل الرابع

(1) وثيقة تعيين سي المكي أمقران جاءت على النحو التالي: ليكن في علم الأغوات والخلفاء والقياد والشيوخ والسكان وعلى الخصوص سكان بجاية والنواحي التابعة لها وسكان جيجل والنواحي التابعة لها، أننا منحنا امتيازاتنا لسي أحمد المكي المنحدر من المرابط سي محمد أمقران.

سي الحاج أحمد باشا عام 1837

(2) المصدر: شارل فيرو سالف الذكر ص 219.

(3) شارل فيرو سالف الذكر ص 250.

(4) المصدر السابق ص 253.

(5) المصدر السابق ص 256.

(6) المصدر السابق ص 244.

(7) المصدر السابق ص 244.

(8) صخرة الجزيرة: هي الواجهة البحرية الممتدة غربا من دار البلدية الحالية إلى صخرة الرابطة، ومنذ ذلك اليوم أطلق على ذلك الحي من المدينة الجديدة بيكولو (Picouleau)، وهو قائد الجيش الغازي حينذاك، وبقي هذا الاسم يتداول على ألسنة كبار السن إلى يومنا هذا.

(9) لم نعثر على أي أثر له في الكتب الخاصة بجهاد الأمير عبد القادر، لكن شارل فيرو يقول عنه في كتابه تاريخ مدينة جيجل " يزعم سعيد بن غزالة أنه رسول الأمير عبد القادر، فالتحق بسي زغدود ودعا العشائر المجاورة إلى الجهاد".

(10) المصدر السابق 237.

(11) المصدر السابق ص 238.

(12) ثورة بومعزة (1844- 1847) ظهرت بجبال الظهرة وحوض الشلف، وخاض صاحبها عدة معارك ضد الفرنسيين وحلفائهم مثل آغا الونشريس أحمد الشاوش، وآغا الصبيعات محمد بن عبد الله، وانتصر عليهما في أول الأمر. وتحالف مع الأمير عبد القادر، ثم انفصل عنه. وفي أواخر شهر مارس 1847 ألقي عليه القبض ونفي إلى فرنسا.

(13) ينسب الدكتور يحي بوعزيز حصار المدينة إلى الشريف بوعود ومولاي إبراهيم يوم 3 أوت 1847 ويعدهما مستقلين عن ثورة بومعزة، بينما ينسب شارل فيرو الحصار إلى الشريف مولاي محمد أحد رفقاء بومعزة ويحدد تاريخ الهجوم بيوم 3 أكتوبر 1847.

(14) جريدة المبشر: نشرت في عددها 17 ليوم 5 ماي 1848 هذا الخبر " إن أولاد بلعفو تقاتلوا مع العرب الذين تحت حكم الشريف مولا الشقفة، لما كان بينهم من عداوة". أما في

العدد 18 ليوم 25 ماي، فقد نشرت هذا الخبر: حاول 150 قبائليا الهجوم على الجنايـن، فلما رآهم أفراد العسة فروا وجرح بعضهم.

(15) استدعي الجنرال سانت آرنو بعد نهاية الحملة مباشرة إلى باريس ووصلها يوم 15 أوت 1851. وبمجرد وصوله استقبله نابليون الثالث استقبال الأبطال ورقاه إلى رتبة جنرال من الدرجة الثالثة. وبعد أيام عينه وزيرا للدفاع خلفا للجنرال راندون الذي عاد إلى الجزائر بناء على طلبه بعدما علم بما يجري في الكواليس وعين واليا عاما عليها. وفي 17 سبتمبر 1851 اجتمع نابليون بـقـادة الجيش الذيـن أنيطت بهـم مهمـة القيام بالانقلاب، وحددوا أول ديسمبر من نفس السنة للقيام بهذه المهمة. وفي اليوم الموعود قام الجيش بمحاصرة المرافق العامة وعلق ملصقات حائطية في جميع شوارع باريس ممضاة من طرف نابليون الثالث. ومن جملة ما تتضمن تلك الملصقات حل الجمعية الوطنية وإعلان الأحكام العرفية. وبموجبه ألقي القبض على جميع المعارضين، على الرغم من أن معارضتهم كانت شرعية، لأن الدستور لا يسمح لنابليون بعهدة ثانية. ولهذا قام بهذا الانقلاب ضد الشرعية الدستورية، وقمعت المظاهرات التي قامت ضد الانقلاب بشدة. وبعد أسبـوع عادت الأمور إلى مجاريها، وأعلن نابليون قيام الإمبراطورية التي استمرت إلى سنة 1870، وبعد سنة من إعلانـها رقي سانت آرنو إلى مارشال فرنسا.

(16) كتاب "سانت آرنو أو الشرف الضائع" ، فرانسوا مسبيرو ، ترجمة مسعود حاج مسعود دار القصبة ص 330.

(17) التقرير ترجمه وعلق عليه صالح عباد ونشره في جريدة جيجل أنباء ابتداء من 12 جوان 2002 في ثلاث حلقات.

(18) شارل فيرو: تاريخ مدينة جيجل ص 255.

(19) المصدر نفسه ص 256.

(20) شارل فيرو ص 256.

(21) المبشر عدد 87 ليوم 14 ماي 1851.

(22) يدرس بتخفيف حرف الراء يقصد به درس الحبوب.

(23) كتاب سانت آرنو أو الشرف الضائع فرانسوا ماسبيرو ص 325

(24) إن الإبادات الجماعية التي اقترفها الاستعمار ضد السكان العزل قد عايشناها أكثر مـن مـرة، وخاصة خـلال أحداث 8 ماي 1945 وأثـناء حـرب التحـريـر الوطني (من سنـة 1954 إلى 1962)، عندما كان الجيش الاستعماري لا يتورع عـن قتل العجزة والنسـاء والأطفـال مـعتـبـرا إياهـم مـن الفلاقـة (الفلاقـة: عـبارة كـان يطلقهـا الجيش الاستعماري على مجاهـدي جيش التحرير الوطني). ويقترف الاستعمار مثل هذه الجرائم الوحشية في الوقت الذي سجلت فيه البشريـة تقدما هائلا في مجالات الاتصالات والرقي الحضاري وحقوق الإنسان وتطويـر

قوانين الحرب عبر المعاهدات الدولية. حيث اصبح المساس بالعجزة والاطفال والعزل جريمة ضد الإنسانية.

(25) ترجمه وعلق عليه الأستاذ عباد صالح.

(26) تاريخ مدينة جيجل ص 263.

(27) القولجالي: تعرف محليا بدار بلقجالي وهي هضبة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا وتقع بالقرب من أم ثلاثين على الطريق الرابط ما بين جيجل وتاكسانة، وتبعد عن مدينة جيجل بحوالي 14 كلم. ويقال بأنها سميت بأم الثلاثين نسبة إلى الثلاثين قتيلا الذين قتلهم سانت آرنو في ذلك المكان.

(28) شارل فيرو صفحة 264.

(29) جاء في التقرير الرسمي: وقتلنا منهم عددا كبيرا (من بني فوغال وبني ورز الدين).

(30) عن ثورة بوبغلة، انظر كتاب الدكتور يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (الجزء الأول).

(31) جريدة المبشر عدد 92 ليوم 30 جوان 1851.

(32) ترجمه الأستاذ صالح عباد ونشره في جريدة "جيجل أنباء" سنة 2002.

(33) المصدر السابق ص 164.

(34) تنطق محليا الكسيبة، وهي المعروفة اليوم بالعزيب، وهي مقر المرابط مولا الشقفة حينذاك. وكانت أيام الاستعمار تعرف بمشتى الكسيبة أو اولاد زكري.

(35) هذه القبائل هي المذكورة في التقرير، وهي القبائل الكبيرة الموزعة ما بين الشقفة والقل.

(36) المبشر، العدد 93 ليوم 16 جويلية 1851.

(37) مرافقة مولا الشقفة للحملة أثناء صعودها من الشقفة إلى قمم الجبال لا يمكن الحكم على صحتها أو نفيها، لأن الجريدة كانت تزيف وتشوه مواقف الأعراش والعشائر والأفراد تبعا لهدفها الكامن في تثبيط عزائم المقاومين وبعث الفتن في رجال الأعراش. ومهما يكن فتفسير خبر المبشر يتضمن احتمالين:

الأول: أن يكون مولا الشقفة قد تعامل مع سانت آرنو برضاه، ومعنى هذا انه فقد مصداقيته وتأثيره على عرشه بني يدر والأعراش الأخرى بدليل وقوع معارك شرسة أثناء اختراق الحملة لعرش بني يدر.

والاحتمال الثاني: أن يكون مولا الشقفة قد أخذ بالقوة كرهينة حتى لا تتعرض قوات الحملة للهجوم.

(38) معركة القصيبة: عدة دلائل مادية تدل على أنها مجزرة قام بها سانت آرنو في بداية مرحلته الثالثة ليرهب بها مولا الشقفة والأعراش التي سيداهمها فيما بعد، والدليل على ذلك انه توجد بالقرب منها مقبرة جماعية مجهولة، حيث أن سكان القرى القريبة منها مثل أولاد

علال والعزيب والبلوطة لا يعرفون عنها شيئا. وكان قبل الاستقلال يأتي لزيارتها جماعة من العوانة وبني فوغال، مما يعني أن المدفونين هناك تابعون لتلك الجماعات. ولهذا فمن المحتمل أن تكون تلك المقبرة لشهداء مجزرة القصيبة جاء بهم سانت آرنو من العوانة وبني فوغال، لأنها وقعت بعد عودته من منطقتهما. أو تكون تلك الجماعات من بقايا سلالة الذين فروا من جحيم المجزرة.

(39) إن القمم الثلاث، أولاد عسكر، برج الطهر، سدات إذا تم احتلالها يصبح الإقليم الشرقي لمنطقة جيجل كله مراقبا ابتداء من شمال ميلة، مرورا بالميلية إلى شاطئ البحر غرب القل.

(40) يمكن للباحثين أن يطلعوا على جزئيات حملة سانت آرنو في أرشيف وزارة الدفاع بباريس، حيث أن أغلبها ما يزال مجهولا، لأن أغلب المؤرخين لا يعبأون بها، باعتبار أنها تتضمن جزئيات غير مهمة في نظرهم.

(41) المصدر السابق ص 266.

(42) الاستاذ صالح عباد جريدة أنباء سالفة الذكر.

(43) يبدأ عرش بني بلعيد من مصب وادي الرمال ويمتد شرقا نحو بني مسلم وغيرهم.

(44) الجنرال بيجو: عمل حاكما عاما للجزائر خلفا للجنرال فالي ما بين سنوات 1841- 1847.

(45) نشرت المبشر في العدد 26 ليوم 30 سبتمبر 1848 هذا الخبر "عين قبطان (ضابط) المكتب العربي لميلة بولخراس بن عز الدين قائدا للأعراش التي كانت تحت إمرة عمه بورنان وهي بني هارون وبني قايد وأولاد علي وأولاد عيدون واولاد عواط". وفي العدد 36 ليوم 28 فيفري 1849 نشرت الجريدة المذكورة آنفا هذا الخبر "الشيوخ السابقون على قبائل بني خطاب وغيرهم الذين كانوا تابعين لبورنان استسلموا ووضعوا تحت إمرة بولخراس، لكن أولاد عيدون اجتمعوا وقطعوا الطريق بين الميلية وسكيكدة وانضم إليهم بني مسلم وبني توفوت وأولاد علي، ثم اختاروا بورنان بن عز الدين قائدا عليهم بدل بولخراس".

(46) نشرت جريدة المبشر في العدد 17 ليوم 15 ماي 1848 هذا الخبر " إن اولاد بلعفو وبني معمر يقاتلون مع العرب الذين هم تحت حكم الشريف مولا الشقفة، لما كان بينهم من عداوة سابقا".

(47) نشرت جريدة المبشر في العدد 110 ليوم 30 مارس 1852 هذا الخبر: "قدم بوعكاز بن عاشور إلى قسنطينة وشكره الحاكم على الغزوات التي قام بها ضد القبائل الواقعة بين جيجل وفرجيوة".

(48) نشرت المبشر في عددها 134 ليوم 30 مارس 1853 هذا الخبر: "بني فوغال قدموا سبعة من قيادهم مع الشيخ بوعكاز بن عاشور صاحب فرجيوة وألبسهم البايلك كسوة الحكم(برنوس الحكم)".

(49) الطهرية: قرية تقع في قمم الجبال الشرقية المحيطة بمدينة جيجل، ولها حدود بعرش أولاد عسكر، وكانت في نهاية العهد الاستعماري تسمى مشتى تاغراست".

(50) شارل فيرو المصدر السابق ص 245.

(51) للمزيد عن ثورة بوبغلة: انظر ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 للدكتور يحي بوعزيز.

(52) نشرت جريدة المبشر في العدد 98 ليوم 3 أكتوبر 1851 هذا الخبر: "إن بني صبيح من الميلية كانوا في خلاف حول أوامر الشيخ بورنان بن عز الدين، ولما غزاهم رجعوا للطاعة".

وفي العدد 101 ليوم 15 نوفمبر 1851 نشرت هذا الخبر: "أولاد الحاج في جهة القل أظهروا الخلاف، ولما غزاهم القائد بورنان والقائد السعودي رجعوا للطاعة".

وفي العدد 100 لشهر اكتوبر 1851 جاء ما يلي: "البعض من بني توفوت بنواحي القل يريدون غزو بني صالح".

(53) مولاي محمد: ذكر شارل فيرو في المصدر السابق "بأن مولاي محمد هو الذي هاجم مدينة جيجل سنة 1847 أثناء ثورة بومعزة، ولكن الدكتور يحي بوعزيز ينقل عن مصادر فرنسية أخرى بأن الشريف مولاي محمد الذي هجم على جيجل قتل يوم 3 أكتوبر 184، وقد أخلفه مولاي إبراهيم. وربما يكون هذا الأخير هو الذي ذكره شارل فيرو بأنه مولاي محمد.

(54) شارل فيرو، المصدر السابق ص 270.

(55) ماكماهون (Mac - Mahon):

هو باتريس ماكماهون، التحق بالجزائر سنة 1845، ولم يكن معروفا كثيرا، وقد بدأت شهرته بعدما عين قائدا عاما على قسنطينة سنة 1852 خلفا للجنرال سانت آرنو. وبعد شهر واحد من تعيينه قاد حملة عسكرية على منطقة جيجل، كما شارك في حملة راندون على المنطقة نفسها سنة 1853. وفي سنة 1864 عين واليا عاما على الجزائر حتى سنة 1870، حيث استقال احتجاجا على إلغاء النظام العسكري. وكانت قرية عين التوتة الواقعة بين بسكرة وباتنة تحمل اسمه إلى سنة 1962.

(56) نشرت جريدة المبشر هذا الخبر في عددها 130 الصادر في يوم 30 جانفي سنة 1853 " إن القائد بورنان بن عز الدين أمر بغزو الأعراش العصاة فقدم إليهم واحرق لهم دشور (هكذا) عديدة وأخذ لهم كثيرا من الأموال، وعلموا أن لا طاقة لهم على العناد وأن أولاد عواط ومشاط والجبالة لما خافوا من مثل ما وقع لإخوانهم .. أذعنوا للطاعة".

(57) الجنرال راندون:

هو من الضباط الذين دخلوا الجزائر سنة 1838، وقد شارك في أغلب العمليات العسكرية خلال سنوات 1838 - 1847، وفي سنة 1851 عين وزيرا للدفاع ، وفي أكتوبر من السنة

نفسها أعفي من منصبه ليحل محله الجنرال سانت آرنو. وحتى لا يغضب بسبب إعفائه عين واليا عاما على الجزائر تلبية لطلبه، وأعطيت له الصلاحيات ليطبق مشاريعه الهادفة إلى توسيع الاستيطان، وقد قام أثناء ولايته بحملتين كبيرتين:
الأولى سنة **1853** ضد مثلث سطيف ـ بجاية ـ جيجل، والثانية ضد بلاد القبائل الكبرى سنة **1857**، وقد بقي شارع القصبة السفلى يحمل اسمه إلى سنة **1962**، وما يزال كبار السن إلى يومنا هذا يطلقون عليه اسم راندون.
(58) المصدر السابق ص **270**.
(59) فج الاربعاء: يسمى محليا الدرع الاشهب، وهو ممر بين أعالي جبال اولاد عسكر التي تعد منطقة لتقسيم المياه بين حوض فرجيوة وسهل جيجل. والواقف ليلا على تلك الجبال يشاهد أضواء قسنطينة من الناحية الشرقية، وجيجل من الناحية الغربية.
(60) المكاتب العربية: أنشأ الجيش المحتل مكتب جيجل سنة **1842**، وكان يتالف من ضابط وقاض وكاتبين، فرنسي وعربي، ومترجم وشيوخ الأعراش والعشائر كمستشارين له. ومن مهامه تحصيل الضرائب وفض المنازعات التي تقع بين السكان ومراقبة الأسواق.
(61) بن حبيلص: كان لعائلة بن حبيلص شأن في نهاية العهد العثماني، لكنها اختفت في السنوات الأولى بعد احتلال مدن المنطقة (بجاية – جيجل – سطيف)، ولم تظهر على مسرح الأحداث إلا بعد القضاء على الأسرتين: بن عاشور وبن عز الدين.
(62) نشرت جريدة المبشر هذا الخبر في عددها **120** ليوم **30** أوت **1852**: "فتح بني حساين وأولاد علي (فرقتان من بني عمران) طريقا جديدا، فيجب تقديم الشكر إلى قيادهم كثيرا: سي عمار بن جمام وبوجمعة بن منيع لشدة حزمهم وسعيهم في الخير والصلاح وحسن الخدمة"، كما نشرت في العدد **176** الصادر في **31** ديسمبر **1854** خبرا طويلا، وهذه خلاصته: "اشتدت الرياح بنواحي جيجل وتكسرت بعض المراكب، فسارع صالح بوسديرة قائد بني عمران إلى إنقاذ ركاب تلك السفن، ولما بلغ ذلك سعادة الوالي العام، شكره وقدرحسن صنيعه، وقد بعث له بوسام".
(63) خلاصة المؤامرة: بعد رحيل حملة راندون بأيام، قام الكولونيل روبير بجولة تفقدية في المنطقة رفقة مجموعة من القياد والشيوخ وحوالي مائة جندي، فبدأ ببني فوغال ثم بني عمران وبني خطاب وبني عافر وأولاد عسكر، وهناك جاءه مبعوث من سي الحسين مولا الشقفة قائد بني يدر ليحذره من وجود مؤامرة لقتله هو ومن معه، فطلب الكولونيل روبير سي الحسين أن يلتحق به حالا. وفي ذلك المساء التقيا في برج الطهر قرب عشيرة أولاد عبد الله وفي الصباح التالي انسحبا إلى الشقفة، حيث وجدا قوات عسكرية جاءت من جيجل في انتظارهما، وفتح التحقيق مع المتهمين فاعترفا بأن الذي سلحهما وأعطاهما المال هو سي

الحسين مولا الشقفة، ولكنه أوصاهما بأن ينسبا العملية إلى القياد الجدد الذين عينوا حديثا لمنافسته، تلك هي خلاصة المؤامرة حسب المصادر الاستعمارية.

(64) شيوخ بني يدر: لقد اعتمدت في استخراج أسماء الرجال الذين حكموا عرش بني يدر ما بين سنوات 1853 – 1872 على جريدة المبشر بالنسبة للقائد أحمد بن الحاج وبن عميرش. أما بولحبال وبن سي محمد فقد اعتمدت على التاريخ الشفاهي الموروث.

(65) صالح بوسديرة: من الحكايات المتوارثة في أرياف مدينة جيجل عن صرامة القائد صالح بوسديرة هذه الحكاية الطريفة " طڤطڤ ياطفطوڤ ما في ڤلبك هم والله يايحكم فيك القائد صالح مازيدت ڤلت طڤ.

(66) ساعد بن جامع: نشرت جريدة المبشر في عدد 3894 ليوم 4 ماي 1897 رثاء صالح بن جامع قائد أولاد عطية غرب القل، هذا نصه " توفي القائد صالح بن جامع ففقدت الدولة بوفاته أحد القدماء الذين خدموها بإخلاص، وهذا المأسوف عليه ينتمي الى عائلة شريفة ذات نفوذ واسع في جبال القل، وهو ابن ساعد بن جامع الذي تولى القيادة على أولاد عطية سنة 1853، وخلفه ولده صالح سنة 1865. وفي سنة 1871 عندما ثار سكان نواحي الميلية وجيجل أظهر شجاعة وأوقف الزاحفين على برج بوالنغرة وشتت شملهم".

(67) بناء على هذه المعطيات التاريخية كانت أولى ضربات جنود جيش التحرير الوطني عندما امتدت الثورة التحريرية من منطقة الميلية إلى نواحي جيجل سنة 1955 هي: ضرب تلك الأسس، وكانت البداية توجيه رسائل إلى قياد الدواوير وشيوخ المشاتي (الوقافين) بالتخلي عن مناصبهم أو الموت ، ثم تلا ذلك حرق أبراج حراس الغابات والمزارع، وكانت أول عملية ثورية وقعت بالجبال المحيطة بمدينة جيجل هي اغتيال قائد دوار يرجانة التابع لبني يدر (كان يدعى القايد الاعور) في جبل سدات سنة 1955.

(68) تاريخ مدينة جيجل ص 5.

(69) المصدر السابق ص 281.

(70) المصدر السابق ص 282.

(71) برج الميلية: يعد هذا البرج ،الذي مايزال إلى يومنا هذا، النواة الأولى لمدينة الميلية الحالية، وكانت طيلة عهد الاحتلال مقرا للدرك الاستعماري .

(72) المصدر السابق ص 284.

(73) عرب تاسقيف: هي قرية صغيرة تقع شرق الميلية على الطريق الوطني الرابط بينها وبين قسنطينة وتبعد عنها بحوالي 10 كلم، وعن حمام بني هارون بحوالي 5 كلم، وهي ما تزال إلى اليوم تسمى بهذا الاسم، كما أن أسماء القطع الأرضية التي صادرتها السلطات الاستعمارية تسمى أحبلين وبوالنمر وولجة بوحوش وغيرها، كما أن بعض ألقاب رجال القرية ما زالت إلى اليوم هي نفسها مثل عائلة بوحوش وغيره.

(74) نشرت الحكم المشار إليه الجريدة الرسمية يوم 22 اوت سنة 1862، وقد أمضاه المارشال بليسي.

(75) الحاج محمد بن عز الدين: لقد كانت رواية شائعة في أوساط عشائر بني يدر حول نكبة عائلة بن عز الدين وخلاصتها: "إن قائد بني يدر الحاج بن عز الدين عندما عزله الفرنسيون سنة 1864 اخذ امواله وذخائره وصعد بها الى جبال بني يدر ليخبئها عند إحدى العائلات المعروفة بعشيرة بني غزلي اليدرية، لأنه كان عارفا بأن الفرنسيين سيلقون القبض عليه ويضعونه في السجن أوينفوه، ولما عاد من منفاه لم يجد شيئا من ذخائره.

وقد تأكدنا من صحة هذه الرواية المتوارثة في عرش بني يدر من خلال الرسالة التي بعثها الحاج بن عز الدين إلى نابليون الثالث سنة 1869 التي أوردها الدكتور يحي بوعزيز في كتابه" كفاح الجزائر من خلال الوثائق" ص 106. ومن جملة ما تضمنته تلك الرسالة الفقرة التالية: "وقد خلفت رزقي عند ناس من عرش بني يدر، ولما احتجت إليه لم أجد عند أولئك الناس شيئا".

(76) الجريدة الرسمية عدد 166 ليوم 16 مارس 1866.

(77) مرسوم (Senatus Conselte) الصادر في 22 افريل 1863 تم الشروع في تنفيذه بمنطقة جيجل في عرش بني قايد المحيط بالمدينة يوم 22 جوان سنة 1865، والهدف من اختياره هو اغتصاب أراضيه السهلية الخصبة المحيطة بالمدينة من الغرب والجنوب لتوزيعها على المعمرين الوافدين على المنطقة.

ففي يوم 22 جوان 1865 اصدر عامل عمالة قسنطينة قرارا بتنفيذ المرسوم، وأرسله إلى رئيس المكتب العربي بجيجل يتضمن نزع 712 هكتارا من الغابات المطلة على مدينة جيجل و 668 هكتارا من أخصب الأراضي السهلية الملاصقة للمدينة من الجهتين الغربية والجنوبية.

(78) مرسوم تنظيم الملكية: لقد نفذ مرسوم تنظيم ملكية الارض (سانتاس كونصليت) على عرشي أولاد بلعفو وبني عمران القريبين من مدينة جيجل الشرقية سنتي 1868- 1869. ففيما يخص عرش أولاد بلعفو المعروف اليوم بـ "بازول واشواط"، فقد نزع من هذا العرش 315 هكتارا من أخصب أراضيه بحجة وقوعها على شاطئ البحر وضفاف مصبات الوديان.

اما فيما يخص بني عمران السفلية الملاصقة لمدينة جيجل من الناحية الشرقية، فقد نزع منهم أكثر من ألف هكتار من اراضيهم الغابية الجبلية وحوالي 400 هكتار من الأراضي السهلية الملاصقة لمدينة جيجل من الناحية الشرقية.

(79) المجاعات: انظر مجاعات قسنطينة لصالح العنتري ، تحقيق رابح بونار.

(80) الدكتور يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق ص 164.

(81) جريدة المبشر عدد 416 ليوم 12 مارس 1864.

(82) المصدر السابق عدد 418 ليوم 2 أفريل 1864.

(83) الدكتور يحي بوعزيز: ثورة 1871 ص 190.

(84) عمر بن عرعور: لقد أجبره الفرنسيون على الإقامة في جيجل في بداية ثورة 1871، لأنهم يعرفون العلاقة الأسرية بينه وبين الشيخ بلحداد، ولكنه استطاع الفرار والالتحاق بصهره سي عزيز.

(85) عائلة بن عرعور من الأسر المرابطية بجبال بابور وكانت لها زاوية مشهورة في تابابورت. وعمل أفراد منها قيادا قبل ثورة 1871، وقد أحرق الفرنسيون زاويتهم بعد فشل ثورة المقراني.

(86) كتب عمر بن حبيلص تقريرا إلى القائد العسكري لمدينة جيجل عن تهديد سي عزيز بلحداد لمدينة جيجل. وقد نشرته بالتفصيل سوزيت كرانجي صاحبة كتاب "جيجل في قلب بابور" ص 22.

(87) الدكتور يحي بوعزيز: ثورة 1871 ص 252.

(88) نشرت جريدة "الجزائر فرنسية" الصادرة يوم 25 جوان سنة 1871 في عددها رقم 316 هذا الخبر: "غادر سي عزيز منطقة جيجل يوم 20 جوان، ومنذ رحيله برزت بذور الخلافات بين الأعراش الثائرة.

(89) مذكرات سي عزيز ص 60.

(90) سي القروشي: هو مقدم زاوية فرجيوة التي أحرقها جيش الاحتلال يوم17 ماي سنة 1871، وقد شارك في إحراقها سي عمر بن حبيلص وسي بلقاسم بن منيع.

(91) جريدة "الجزائر فرنسية" عدد 297 ليوم 30 جوان 1871.

(92) على سبيل المثال فرض على قبيلة بني قايد ضريبة بمبلغ ستة عشر ألف فرنك. بالإضافة إلى حجز عدد كبير من رجالها كرهائن لمشاركتها في حصار المدينة. ونفس الشيء بالنسبة لقبيلتي بني احمد وبني عمران.

(93) جريدة الأخبار الصادرة يوم 22 أوت 1871 عدد 5325، وجريدة "الجزائر فرنسية" عدد 202 الصادرة يوم 20 جوان 1871.

(94) الوادي الصغير، هو الوادي الذي يصب في البحر بمدخل المدينة الشرقي بالقرب من محطة القطار، وقد تم ردم هذا الوادي منذ نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي (العشرين) في إطار التوسع العمراني للمدينة وبنيت فوقه مساكن ومرافق عامة.

(95) تفوق الجيش الاستعماري في ميدان الأسلحة . وفي هذا السياق نقل الزعيم فرحات عباس عن جدته التي عاشت كل مراحل احتلال المنطقة منذ سنة 1839، حيث كان عمرها آنذاك ثلاثين سنة، هذه الكلمات الشاعرية التي ذكرها ضمن وصيته السياسية التي كتبها سنة 1845 عندما كان مسجونا على إثر أحداث 8 ماي 1945 "هناك في دوار بعيد وفي كوخ من الخشب، كانت تجلس جدتي بالقرب من كانون مشتعل تحكي لنا ذكريات دخول الرومي إلى

جيجل سنة 1839 ومجيء سانت أرنو وثورة 1871 ومصادرة الأملاك وكل الأمور التي رافقت مجيء الرومي". كما حكت لنا ما كان يردده جدي أحمد عباس الذي توفي قبل ازديادي سنة 1898، والذي صودرت أراضيه سنة 1871، إذ يقف على مشارف تلك الأراضي ويقول: "لسنا نحن الذين انهزمنا بل بنادقنا".

ومن المعلوم ان عائلة فرحات عباس تنتسب إلى عرش بني عمران السفلية الموزعة شرق مدينة جيجل. حيث كانت تبدأ أراضيها من الضاحية الشرقية للمدينة.

(96) جريدة الأخبار: عدد 3136 ليوم 25 جوان 1871.

(97) سوق بني يدر: هو سوق الخميس الذي يقع شرق بلدة الشقفة ولا يبعد عنها إلا بحوالي كيلو مترا واحدا. وقد كان من أشهر الأسواق الأسبوعية في الشمال القسنطيني كله خلال العهدي العثماني والفرنسي.

(98) سي محمد بن فيالا: تقول عنه التقارير الفرنسية أنه أخطر ثائر في المنطقة الشرقية. وقد ذكر اسمه في كل المحاكمات التي جرت بعد فشل الثورة، وهو مقدم زاوية سيدي وارث قرب سوق الجمعة، كما عمل قاضيا لعرش بني حبيبي.

(99) جريدة الأخبار عدد 3136 ليوم 25 جوان 1871.

(100) مرتفعات الكنتور: هي مرتفعات تقسيم المياه ما بين حوض الوادي الكبير وحوض وادي الصفاف الذي يصب في البحر شرق مدينة سكيكدة.

(101) قائد بني يدر: لم تذكر جرائد الاستعمار أو كتبه التاريخية التي تعرضت لنشاط مولا الشقفة في أعالي عرش بني يدر لا الاسم القائد ولا المكان الذي يقع به برجه الذي هاجمه سي الحسين مولا الشقفة، ومن المحتمل أن يكون القائد الذي هوجم برجه هو بن عميرش من عشيرة الطهرية اليدرية أو بن سي محمد من عشيرة أولاد خلاص، لأن العشيرتين كان منهما قياد في تلك المرحلة (1870- 1900).

(102) نشرت هذا التقرير جريدة "الجزائر فرنسية" في عددها 351 الصادر في يوم 3 سبتمبر 1871.

(103) وادي إتري: واد جبلي يتجه من الغرب إلى الشرق مثل وادي النجا، وهو من روافد الوادي الكبير، إذ يلتقي به بالقرب من سيدي معروف.

(104) جريدة الجزائر فرنسية ليوم 15 ديسمبر عدد 351 سنة 1871.

(105) ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين صفحة 280.

(106) قائمة المتهمين: هذه القائمة نشرتها الجريدة الرسمية، مجلد 1872، في صفحاتها من 17 إلى 27، وتضم 50 متهما (أنظر الملحق).

(107) قرار 01 ديسمبر نشر في الجريدة الرسمية: bultain de gouvernement algérienne مجلد 1871 صفحات من 681 إلى 684 وأمضاه الوالي العام كايدون.

(108) أنظر قائمة الأسماء في الملحق.

(109) المصدر السابق مجلد 1872 ص 529 – 530. والأعراش التي وردت في هذا القرار هي: بني احمد، بني عمران، بني خطاب، بني محمد، أولاد بن بوبكر، بني قايد، أولاد بلعفو، بني سيار، العوانة.

(110) المصدر السابق، مجلد 872 من صفحة 580 الى 582. وقد وردت في القرار الأعراش والعشائر التالية: بني صالح، بني حبيبي، الجناح، بني يجيس، بني مجالد، أولاد خلاص، أولاد طالب، الطهرية، أولاد علال، بني غزلي، بني عافر، جيملة، الاربعاء، بني معزوز، بني جبرون، أيت عاشور، بني عيسى، بني زونداي، الدهرة، أولاد عسكر.

(111) المصدر السابق، مجلد 721 صفحة 587. وقد تضمن القرار الاعراش والعشائر التالية: أولاد علي، بني صبيح، مشاط، بني مسلم، بني بلعيد، بني فرقان، بني فتح، بني عيشة.

(112) لقد سبق للاستعمار الفرنسي أن اغتصب غابات عرش بني معمر سنة 1868 أثناء تطبيقه القانون المعروف بـ سيناتوس كونسليت، فقد انتزع من أراضيها الغابية أكثر من ألف هكتار حسب القرار الذي نشرته الجريدة الرسمية في المجلد 1808 صفحة 66 وما بعدها.

(113) بقيت تلك الكساين على حالها إلى سنة 1962، وكانت تنتسب إلى المعمرين الذين سلمت لهم أثناء توزيعها ما بين سنوات 1872 و 1880مثل كسيون دامبرو وماني الخ. ونفس الشيء بالنسبة إلى حدائق ضفاف الوديان مثل حديقة أدريان وحديقة توكاري الخ. وعندما فتحت بصري سنة 1935 وجدت عائلتي من الذين يكترون كسيون دامبرو الذي تبلغ مساحته أكثر من 60 هكتارا قرب الشقفة. وكانوا يستغلونه في زراعة الحبوب وتربية الابقار. وفي بداية شهر أكتوبر من كل سنة يضعون كراء الكسيون في مكتب موثق بمدينة جيجل ليرسله إلى صاحبه أو ورثته المقيمين بفرنسا.

(114) لم نعثر في المصادر الاستعمارية على عدد المعمرين بالضبط الذين حلوا بالقرى الأربعة (دوكان، سترازبور، الطاهير، الشقفة) بعد سنة 1872، لأن المستعمر الفرنسي لم يأت بهم دفعة واحدة. وأول إحصاء عثرنا عليه يعود إلى سنة 1892، حيث كان عدد سكان تلك القرى الأربعة من المعمرين 1016 نسمة. وفي سنة 1921 انخفض إلى 529 نسمة ، أي النصف.

(115) مما لا شك فيه أن أراضي سهل جيجل قد استغلت في السنوات الخمسين الاولى من 1871- 1920 للإثراء السريع والمضاربات والاحتيالات في أوساط المعمرين الأوائل وعلى الأخص ضباط الجيش المتقاعدين، فكانت تسلم للواحد منهم عشرات الهكتارات من أخصب أراضي السهل. وبعد انتهاء الأجل المحدد بخمس سنوات يبيعها، لأن القانون يسمح

لهم بذلك بشرط أن لا يبيعها للجزائريين ثم يغادر المنطقة . ومما يدل على ذلك انخفاض عدد سكان قرى المعمرين بسهل جيجل كل عشر سنوات. فعلى سبيل المثال انخفض عدد سكان قرية دوكان ما بين سنوات 1890- 1921 من حوالي 256 نسمة إلى 136، والطاهير في الفترة نفسها من 465 نسمة إلى 302. ولقد صدق من قال: التاريخ يعيد نفسه، لان تلك الأراضي وقع لها ما بعد سنة 1962 إلى يومنا هذا مثل ما وقع لها بعد اغتصابها سنة 1871، فهي معرضة للاحتيال والإثراء السريع.

(116) إذا استثنينا المدارس التي فتحها الاستعمار في مدينة جيجل وفي قرى المعمرين، فاننا لا نجد في المنطقة الممتدة من أوقاس إلى القل اكثر من عشرة مدارس ابتدائية ذات قسم واحد او اثنين طيلة احتلاله للمنطقة 1839- 1954.

(117) وكمثال على الأقلية التي تحسنت أوضاعها الاجتماعية قبل الحرب العالمية الاولى عائلة الزعيم فرحات عباس، كما كتبها هو نفسه بقوله: "لقد اتصل جدي أحمد سنة 1880 بمعمر في مدينة جيجل يدعى (دوفيجي)، وهو موظف كبير في بلدية جيجل. حيث اشترى له مجموعة من الأبقار لتسمينها ثم إعادة بيعها، ويقتسمان الفوائد. وقد استمرت العملية بعد وفاة الجد، حيث أخلفه والدي سعيد، وبذلك استرجعت العائلة مكانتها الاجتماعية التي ضاعت لها سنة 1871 بعد مصادرة اراضيها، وخرجت من دائرة الفقر والبؤس الذي شمل سكان المنطقة بعد سنة 1871. وقد تمكن سعيد عباس من الارتقاء إلى قايد، وعين على دوار شحنة بني عافر، حيث عاش هناك ولده فرحات عباس طفولته وسط مجتمع كثيرا ما تحدث عنه في مقالاته وفي كتبه وفي وصيته السياسية. حيث كان يتأثر بالوضعية المزرية والمأساوية التي كان يعيشها مجتمع دوار الشحنة نتيجة استيلاء المعمرين على كل شيء. ومما قاله في وصيته السياسية عن ذلك المجتمع البائس "كان حلمي الوحيد أن أرى هؤلاء الفقراء يأكلون جيدا وينامون على فراش ويقرأون جريدة".

(118) الإطاحة بنابليون الثالث: ففي يوم 14 سبتمبر 1870 وقع انقلاب في باريس ضد الامبراطور نابليون الثالث بعد هزيمة جيشه في معركتي (سيدات وميتز) وأسر أكثر من مائة الف جندي فرنسي من طرف الألمان. وعلى إثر ذلك أطيح به. واعلنت الجمهورية وتأسست حكومة الدفاع الوطني التي أصدرت يوم 15 نوفمبر 1871 ثلاث قرارات هامة تتمثل فيما يلي:

1- الغاء النظام العسكري والمكاتب العربية وامتيازات روساء الاهالي.

2- إنشاء محاكم الجنايات وإخضاع الجزائريين لها.

3- تجنيس يهود الجزائر بصورة جماعة وإجبارية.

(119) سي الطاهر فرقاني: كان في نهاية العهد العثماني كاتبا خاص لآغا المدينة (قائد حاميتها العسكري). وكان يرافق الآغا في نهاية كل سنة عندما يقوم بزيارة الباي في قسنطينة أو الداي في مدينة الجزائر ليسلمهما حقهما من الضرائب.

(120) سي لخضر مولا الشقفة وبن عرعور شيخ تابابورت كانا شبه محجوزين في مدينة جيجل.

(121) النظام المدني: لقد قسمت الجزائر إلى إقليمين كبيرين: إقليم الجنوب الصحراوي وإقليم التل الساحلي، والفاصل الطبيعي بينهما يتمثل في سلسلة الاطلس الصحراوي.
الإقليم الأول بقي خاضعا للنظام العسكري، لأنه غير مهم في ذلك الوقت بالنسبة للمعمرين. حيث أن البترول لم يكن قد اكتشف بعد. والإقليم الثاني تم تقسيمه اداريا الى ثلاث عمالات (ولايات): الجزائر ووهران وقسنطينة. كما قسمت العملات الى دوائر. فالجزائر ووهران تتكون كل منهما من خمس دوائر، بينما تكونت عمالة قسنطينة من 7 دوائر. والاخطر في هذا النظام هو تقسيم تلك الدوائر إلى نوعين من البلديات: بلديات خاصة بالمعمرين واقلية من الجزائريين من الدرجة الثانية، وبلديات مختلطة خاصة بالجزائريين.

(122) الجريدة الرسمية: مجلد 1892 صفحات 281 وما بعدها.

(123) المصدر السابق، مجلد 1892 صفحات 174 وما بعدها.

(124) بعد سنة 1910 حولت الإدارة الاستعمارية مقر البلديتين المختلطتين تابابورت وأولاد عطية على النحو التالي: الأولى إلى جيجل، والثانية إلى القل.

(125) جمع الضرائب: كتب فرحات عباس سنة 1930 في جريدة الشاب الجزائري مقالا ناريا ينتقد فيه جمع الضرائب التي كان أبوه القايد سعيد يشارك في جمعها في دوار الشحنة ببني عافر. ومما ورد في ذلك المقال: "فمن مذكرات طفولتي مشاهدتي قدوم الخزناجي الى الدوار الذي كان أبي قائدا عليه لجمع الضرائب، فكنت أرى الفقراء الذين عجزوا عن دفع الضرائب المفروضة عليهم مكبلي الأيدي وجالسين تحت أشعة الشمس، وكنت أسأل وقاف المشتى عن أسباب هذا العقاب القاسي، فكان يعرفني بأسبابه". ثم يضيف قائلا: "وكأنه يخفف من حيرتي وتعجبي بأن أباك ليس قاسيا معهم مقارنة بقياد آخرين. وفي العديد من المرات كنت أسرق لوالدي النقود وأعطيها لهؤلاء التعساء". وقد وصف فرحات عباس في ذلك المقال اباه بالإقطاعي، كما عاب عليه احتقاره للفلاحين الفقراء.

(126) العسة أو الحراسة: لقد بقيت إلى اليوم بعض الأماكن التي كانت تنصب فيها العسة تسمى بهذا الاسم، مثل اخناق العسة، كدية العسة، جبال العسة، بلاصة العسة، يعني المكان الذي كانت تجري فيه العسة.

(127) قرار العسة: نشرته جريدة المبشر في عددها 2244 الصادر في يوم 30 جويلية سنة 1881، وهذا نصه "إن الأهالي المستقرين في الدواوير الغابية سيلزمون من اول جوان إلى أول نوفمبر بحراسة الغابة حسب الشروط التي يبينها الوالي العام:

1) من واحد جوان إلى واحد نوفمبر من السنة تنصب عسة في المكان المعين.

2) العسة واجبة على كل أهلي مقيد في الضرائب.

3) ينظم العسة المتصرف (رئيس البلدية المختلطة).

4) تدوم العسة التي يقوم بها رجلان أربعا وعشرين ساعة.

5) كل مسلم يمتنع عن العسة أو لا يبلغ بوقوع الحرائق بدون عذر، ستجري عليه العقوبة. وهذا فضلا عن العقوبة الجماعية التي تجري على الحميع فيما إذا اشتعلت الحرائق بالقرب منهم ولم يسرعوا لاطفائها، ففي هذه الحالة تجري على سكان الدوار المعني عقوبة ترتقي الى مصادرة أملاكهم". وهذا ما وقع لعرش بني احمد بالقرب من جيجل بعد صدور هذا القرار بعام واحد.

(128) مصادرة أملاك بني احمد: كمثال على المصادرات التي مست سكان المنطقة الساحلية من القل إلى بجاية. مصادرة أملاك المرابط موسى التابع لعرش بني احمد في ضواحي مدينة جيجل الشرقية الذي نشرته جريدة المبشر في عددها 2440 ليوم 30 جوان 1883، وهذا نص القرار: "مصادرة أملاك المرابط موسى بسبب الحرائق: ان جميع الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي وجدت أو ستوجد في الولاية الجزائرية، ولا سيما في التراب المرتبط بدوار المرابط موسى من عرش بني احمد بدائرة جيجل، وكذا في عزل بير السطل ببني احمد وكذا في عزل جافة من بلدة وادي زناتي وكذا في دوار عين ملوك تصادر. والمسلمون الذين هم ذوو أملاك في العرش المضروب بالثقاف (المصادرة) ثبت لدينا أنهم كانوا في وقت الحرائق ضمن المفسدين. هذا القرار متبوع بقائمة الأشخاص الذين صودرت أملاكهم، وعددهم 80 شخصا اولهم أحمد بن صالح بن كرف الله، وآخرهم رابح بن مبارك شلبي.

(129) قانون الزجر الإداري: نشرت نصه جريدة المبشر في عددها 2964 الصادر يوم 16 جويلية 1889، وهذا نصه: "هذا مرسوم فيما ابيح للمتصرفين في البلديات المختلطة بالجزائر من زجر المسلمين على وجه الضبط. وقد وافق مجلس أعيان الدولة ومجلس نواب العامة على المرسوم الآتي بيانه مفصلا، وأمر رئيس الجمهورية بتنفيذه:

الفصل الأول: يتضمن صلاحيات متصرفي البلديات من زجر للمسلمين الساكنين هناك، كلما ارتكبوا مخالفة للقوانين المختصة بهم، وسيتبين ذلك في ملحق هذا المرسوم.

باريس 27 جوان 1889

امضاه رئيس الجمهورية كارنو

(130) الملحق الخاص بمرسوم الزجر الاداري:

1) الكلام المجاهر به تدنيسا لشرف فرنسا

2) امتناع أحد من ان يكون عساسا

3) الامتناع من مد الحكام بالرجال ووسائل النقل والموونة

4) ذهاب مسلم من بلدية إلى بلدية أخرى بدون حمل رخصة التنقل

5) افتتاح مكتب لتعليم القرآن

6) بناء منزل خارج القرية بدون إذن الحاكم

7) اجتماع للزردة أو زيارة الأولياء دون إذن الحاكم

(131) إجراء العقوبات على سكان بلدية الطاهير: لقد وردت تلك العقوبات في التقرير الرسمي الذي قدمه وزير الداخلية الفرنسي لمجلس النواب حول تطبيق قانون الزجر الذي نشرته جريدة المبشر في عدد 3394 ليوم 6 أوت 1892.

ومما ورد في ذلك التقرير هذه الفقرة الخاصة بالطاهير "عمالة قسنطينة هي التي وقع فيها السفر بلا إذن، وهذا الفعل لم يجر الا في بلدة واحدة وهي بلدة الطاهير. لان متصرفها اجرى العقوبة على 349 شخصا قاموا بالسفر بدون إذن، لأنهم ذهبوا إلى فرجيوة للحصاد.

(132) قانون الانديجينا (Code L'indigenat): وضع هذا القانون لتنظيم العبودية في المستعمرات الفرنسية سابقا، وكانت المطالبة بإلغائه من المطالب الأولية التي نادت بها الأحزاب السياسية والجمعيات الاصلاحية.

(133) نشرت نصه كاملا جريدة المبشر في عددها 3216 الصادر في 8 افريل 1882، وهذا نص فقرات منه: "إن مجلس أعيان الجمهورية ومجلس نواب العامة. قد وافقا على القانون الشرعي الآتية فصوله وأمر رئيس الحكومة بتنفيذه...

الفصل الثاني أول ما يفتح به العمل هو أن كل بلدية وكل قسم من البلدية لا بد ان يجري فيها احصاء للمسلمين على يد كتاب الازدياد والزواج والوفاة، وتثبيت ذلك الاحصاء في دفتر أصلي....الفصل الثالث: اقتراح اللقب يكون لكبير العائلة: الجد، الابن الاكبر، الام، البنت الكبرى. وفي حالة عدم الرضا باللقب المقترح من الجد وغيره فلأفراد الاسرة حق الطعن.

(134) نشرت جريدة المبشر في عددها 2798 ليوم 31 ديسمبر 1886 هذا القرار: تلقيب أولاد قاسم وأولاد مبارك:

يجب إجراء تلقيب اولاد قاسم واولاد مبارك يوم 5 جانفي 1887 من بلدة الميلية.

(135) نشرت هذا النص جريدة المبشر في عددها 4204 الصادر في يوم 10 نوفمبر 1890 تحت عنوان: "الفلاحة بالجزائر" كتبه الوالي العام جول كامبون.

(136) نشرت نص الخطاب كاملا جريدة المبشر في عددها 3332 ليوم 2 جانفي سنة 1892.

(137) كان والدي رحمه الله دائما يحكي لنا المتاعب التي كان يلاقيها أثناء تنقله من الشقفة إلى قسنطينة على رجليه في بداية القرن العشرين، لأن أباه أرسله هناك لطلب العلم. وكانت متاعب الطريق من الأسباب التي جعلته ينقطع عن متابعة الدراسة.

(138) من الأمثلة على الصمت المفروض على السكان تحاشي الحديث عن الخرائب التي أصابت زاوية مولا الشقفة التي ازالها الاستعمار من الوجود سنة **1871**، فعلى الرغم من مرور سبعين سنة على الحدث، فقد بقي الصمت يلف هذه الخرائب. وحوالي سنة **1940** كنا ننعب كل يوم خميس - لأنه يوم السوق الأسبوعي لبلدية الشقفة - في تلك الخرائب التي كانت تسمى (كومينال) يعني أملاك البلدية، وكنا نتساءل عنها، لكن لا احد من الكبار، الذي كان يعرف خفايا تلك الخرائب، شرح لنا تلك الخفايا. ولم نعرف حقيقة تلك الخفايا إلا بعد انشغالنا بتاريخ المنطقة.

(139) حسب المعلومات التي جمعناها من المنطقة، اثنان من تلك المدارس كانتا في دواوير البلدية المختلطة أوقاس، وواحدة بدواوير تاكيتونت، واثنان بالطاهير، وثلاثة بالميلية، واثنان في القل. وكانت كلها ذات قسم واحد أو قسمين.

(140) نسبة إلى الطريقة الرحمانية.

(141) نسبة إلى الولي الصالح الموجود قبره داخل مسجد القرية التي ولدت بها.

(142) لقد ردد الناس هذه المقولات بعد الانتصارات الألمانية على الفرنسيين في بداية الحرب العالمية الثانية. والمقولة الثانية تشير إلى سقوط طائرة ألمانية بالقرب من المكان المسمى "أغبالة" بمشتى بوتابت التابعة لدوار يرجانة. ويعني ذلك في نظرهم أن المرحوم سيدي احمد الحبيباتني كان يتنبأ بالأحداث قبل وقوعها.

الملاحق

عينات من قرارات مصادرة الأملاك العامة والخاصة التي مست حوالي 95 في المائة من سكان المنطقة ولقد بدأت الجريدة الرسمية وجريدة المبشر في نشر قوائم الأعراش والعشائر والأفراد الذين صودرت أملاكهم في أواخر سنة 1871م واستمرت إلى سنة 1878م .

وهي نوعان:

- النوع الأول: ماكانت تنشره جريدة المبشر وقد تعذر علينا تصويره ولهذا أخذت منه عينات وأعددنا لها جدولا أدناه يتضمن المعلومات الضرورية لكل فرد صودرت أملاكه وهي خاصة بالسنتين 1876م و1878م لأن السنوات التي قبلها مفقودة وهي التي تتضمن الأغلبية الساحقة من المصادرات .

وهذا نموذج من قرارات المصادرة التي أعددت لها جدولا .

محمد بن فيالا المتوفى من فرقة أولاد شبل دوار حيان عرش بني حبيبي.

إن الدومين قد وضع يد الحيازة على أملاك المذكور أعلاه الآتي بيانها وفقا للأمر الصادر من الوالي العام في 1 ديسمبر 1871م المقرر بالأمر المؤرخ في 12مارس 1875م وتلك الأملاك موجودة بدوار حيان.

1- قوربي بالحجر مدلس بالمحل المسمى لتسيردي اعميور.
2- جنان ومرعى وستة عنابات وأربع تينات وأربع اجاصات.
3- عدد من الدوالي بالمحل المسمى لتسير دي اعميور.
4- أرض حراثة عند البلوطة ..إلخ. بالإضافة إلى تسع محجوزات أخرى.
المبشر عدد 1467 ليوم 2 ديسمبر 1876م.

اسم الذي صودرت أملاكه	العشيرة- الدوار - العرش	المصدر
- أحمد بن الوادي	عرش بني فتح	جريدة المبشر عدد
- أحمد بن العايطة	عرش بني فتح	1385 ليوم 31
- الطاهر بن بلقاسم بن عليوش	عرش بني فتح	سبتمبر 1876
- عمار بن بلقاسم	عرش بني فتح	
- عياش بن زايد	أولاد عسكر	جريدة المبشر عدد
- العباس بن امقران	أولاد عسكر	1444 ليوم 2
- أحمد بن سعود	أولاد عسكر	ديسمبر 1876
- محمد بن عمار	أولاد عسكر	
- الصادق بن نوبة	فرقة المناصرة فرجيوة	جريدة المبشر عدد
- بلقاسم بن الزوالي	فرقة الواسطة فرجيوة	1473 ليوم 2
- بلقاسم بن معصوم	فرقة زارزة فرجيوة	جانفي 1877
محمد بن صالح بن الأزغر	فرقة زارزة فرجيوة	
- أحمد بن صالح	المحارقة تامنجرت بني عيشة	جريدة المبشر عدد
- أحمد بن رابح بن عميرة	فرقة أولاد أزيار بني عيشة	1527 ليوم 13
- عمار بن بلقاسم	أولاد معطي بني عيشة	مارس 1877
- فرحات بن بوجمعة بن بونويو	دوار المسيد بني عيشة	
- محمد بن بوأسيوة	فرقة أولاد قاسم أولاد عيدون	جريدة المبشر عدد
- السعيد بن الفار	فرقة أولاد قاسم أولاد عيدون	1617 ليوم 2
- العربي بن الفرتول	فرقة أولاد قاسم أولاد عيدون	جوان 1877
- امحمد بن دعاس	فرقة أولاد قاسم أولاد عيدون	
- ساعد بن حبينة	أولاد بوفاهة	جريدة المبشر عدد
- رابح بوشنة	أولاد بوفاهة	1679 ليوم 8
- أحمد بن علي	أولاد بوفاهة	ديسمبر 1877
- مسعود بن خليفة	أولاد بوفاهة	

اسم الذي صودرت أملاكه	العشيرة- الدوار - العرش	المصدر
- بولمزالط العربي	بني ميمون أولاد رابح بني خطاب	جريدة المشر
- صالح بن الرامول	بني ميمون أولاد رابح بني خطاب	عدد 1323 ليوم
- صالح بن تيوب	أولاد عمر بن يوسف بني خطاب	8 مارس 1876
- جمعة بن ساعد	دوار أولاد يحي بني خطاب	
- لطي بن حمودة	دوار أراس زواغة	جريدة المشر
- عمار بن بوتلجة	دوار أراس زواغة	عدد 1332 ليوم
- خالفة بن ابراهم	دوار أراس زواغة	23جويلية 1876
- بوحلوس محمد بن صالح	مشتى غارسية زواغة	
- خالفة بن بومزابر المتوفي	دوار حيان بني حبيبي	جريدة المشر
- بلقاسم بن مبروك المتوفي	دوار الجناح	عدد 1367 ليوم
- علي بودينة	أم غريون بني حبيبي	7أوت 1876
- صالح بن بودور المتوفي	دوار حيان بني حبيبي	
- أحمد بن دعاس المتوفي	دوار تايلمامت	جريدة المشر
- محمد بن رابح	دوار تايلمامت	عدد 1527 ليوم
- بلقاسم بن العربي	دوار تايلمامت	31مارس 1877
- محمد بن عيسى	دوار تايلمامت	
- مبارك بن صالح	فرقة وادي عدار أولاد علي	جريدة المشر
- جمعة بن سي علي متوفي	فرقة وادي عدار أولاد علي	عدد 1547 ليوم
- مسعود بن أحمد	فرقة لضبايش أولاد علي	7أفريل 1877
- علي بن الموهوب	فرقة أولاد محمد أولاد علي	
- الحسين بن حمودة	فرقة أولاد كحول أولاد عواط	جريدة المشر
- اسماعيل بن علي	فرقة بوكريبة أولاد عواط	عدد 1553 ليوم
- بلقاسم بن سعيد	فرقة لبيسيش أولاد عواط	21أفريل 1877
- محمد بن العمري	فرقة أولاد زيد أولاد عواط	

اسم الذي صودرت أملاكه	العشيرة- الدوار - العرش	المصدر
- علال بودلال	عرش أولاد دباب الميلية	جريدة المبشر عدد
- يوسف بن حمادة	عرش أولاد دباب الميلية	1685 ليوم 15
- بلقاسم بن دفيش	عرش أولاد دباب الميلية	سبتمبر 1877
- أحمد بن رابح بوكرع	عرش أولاد دباب الميلية	
- علي بن اتراوش	عرش بني بلعيد الميلية	جريدة المبشر عدد
- سعيد بن عمار المسمى عماش	عرش بني بلعيد الميلية	1941 ليوم 31
- ابراهيم بن عمر	عرش بني بلعيد الميلية	أوت 1878
- الحسين بن مواهي بوبقرة	عرش بني بلعيد الميلية	
- سعيد بن علي الستيوي	عرش بني تليلان الميلية	جريدة المبشر عدد
- ساعد بن أحمد البراني	عرش بني تليلان الميلية	1941 ليوم 31
- بلقاسم بن خالد	عرش بني تليلان الميلية	أوت 1878
- اعمر بن الدعماش	عرش بني تليلان الميلية	
- علي بن الضيا	عرش بني صبيح الميلية	جريدة المبشر عدد
- أحمد بن عمار	عرش بني صبيح الميلية	1970 ليوم 05
- محمد بن بوجمعة	عرش بني صبيح الميلية	أكتوبر 1878
- علي بن ساعد	عرش بني صبيح الميلية	

النوع الثاني :

صور لعينات من قرارات المصادرة الخاصة بالأعراش والعشائر والافراد التي كانت تنشرها الجريدة الرسمية الفرنسية Bulltin officiel du gouvernement general de L'algerie ما بين سنوات 1871م و1875م وهي ثلاثة أصناف .

الصنف الأول:قرارات تتضمن قوائم الأعراش والعشائر والأفراد الذين صودرت أملاكهم

N° 297. — SÉQUESTRE. — *Apposition du séquestre sur le territoire de 20 tribus du département de Constantine.*

ARRÊTÉ DU 20 JUILLET 1872

Le Gouverneur général civil de l'Algérie.

Vu l'ordonnance du 31 octobre 1845 ;

Vu la loi du 16 juin 1851, article 22 § 2 ;

Vu l'article 7 du Sénatus Consulte du 22 avril 1863 ;

Vu l'arrêté du 31 mars 1871, approuvé le 7 mai suivant, par le Ministre de l'Intérieur, et dont l'article 1er est ainsi conçu :

« Sont ou seront frappés de séquestre les biens de toute natu-
» re, collectifs ou individuels, des tribus ou des indigènes qui au-
» ront commis ou commettront les actes d'hostilité déterminés
» par l'article 10 de l'ordonnance du 31 octobre 1845 ; »

Vu l'arrêté du Chef du Pouvoir exécutif, du 15 juillet 1871, modifiant les articles 10 et 12 de l'ordonnance sus-visée ;

Considérant qu'il résulte des renseignements qui ont été recueillis par la Commission de séquestre du département de Constantine, instituée par notre arrêté du 3 avril 1872 ;

Que les indigènes des tribus dénommées ci-après, obéissant aux excitations du cheik El Aziz ben el Haddad et de Mont Chekla, se sont soulevés contre l'autorité française dès le 26 mai 1871, et qu'ils ont pris part en masse aux diverses attaques dont Djidjelli et Milah ont été l'objet, depuis le 7 juin 1871, jusqu'au 16 août suivant, ne laissant dans leurs villages que les personnes qui ne pouvaient porter les armes ; qu'ils ont pillé et incendié tous les établissements européens situés sur le territoire du district de Djidjelli, ainsi que les maisons des indigènes restés fidèles ; qu'ils

ARRÊTE :

ART. 1er. — Les dispositions de l'article 1er de l'arrêté du 31 mai 1871 sont déclarées applicables aux indigènes propriétaires, fermiers ou locataires, habitant les territoires des tribus ci-après dénommées.

1 Beni-Salah,
2 Beni-Habibi,
3 Dar-El-Batah,
4 El-Ouana (moins la fraction des Beni-Mahmed, la sous-fraction d'Ouled-Bou-Beker et le douar-commune des Beni Caïd, déjà séquestrés par notre arrêté du 1er juillet 1872).
5 Beni-Yadjis,
6 Beni-Medjeled-Dahra,
7 Ouled-Khelas,
8 Ouled-Taleb,
9 Taharia,
10 Ouled-Allel,
11 Beni-Rizelli,
12 Beni-Afer,
13 Djimla,
14 El-Arba,
15 Beni-Bezeze,
16 Beni-Djebrom,
17 Aït-Achour,
18 Beni-Aïssa,
19 Beni-Zoundaï-Dahra,
20 Ouled-Asker.

3 Beni-Amran-Selia.
4 Beni-Khettab.
5 Beni-Mohammed.
6 Ouled-bou-Beker.
7 Beni-Kaïd.
8 Ouled-Belafou.
9 Beni-Siar.

Art. 2 — Tous détenteurs, dépositaires, administrateurs, gérants, fermiers ou locataires des biens des indigènes atteints par le présent arrêté de séquestre, tous leurs débiteurs de rentes, créances ou autres droits incorporels, sont tenus d'en faire la déclaration dans les trois mois qui suivront la publication du dit arrêté.

L'administration des Domaines prendra la gestion des biens séquestrés ; il sera procédé à cette gestion conformément aux dispositions de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Art. 3. — Le Général commandant la division de Constantine et le Préfet de ce département sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent arrêté, qui sera publié, en français et en arabe, au *Moniteur de l'Algérie*, ainsi qu'au *Mobacher*.

Fait à Alger, le 1er juillet 1872.

Le Gouverneur général civil de l'Algérie

par son ordre

Le Directeur général des Affaires civiles et financières,

Signé : Tassin.

N° 269. — SÉQUESTRE — *Apposition du séquestre sur le territoire de neuf tribus du cercle de* DJIDJELLI *(département de Constantine)*

ARRÊTÉ DU 1er JUILLET 1872

Le Gouverneur général civil de l'Algérie,

Vu l'ordonnance du 31 octobre 1845 ;

Vu la Loi du 16 juin 1851, art. 22, § 2 ;

Vu l'art. 7 du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863 ;

Vu l'arrêté du 31 mars 1871, approuvé le 7 mai suivant, par le Ministre de l'Intérieur, et dont l'article 1er est ainsi conçu :

« Sont ou seront frappés de séquestre les biens de toute nature, collectifs et individuels, des tribus et des indigènes qui auront commis ou commettront les actes d'hostilité déterminés par l'art. 10 de l'ordonnance du 31 octobre 1845 ; »

Vu l'arrêté du Chef du Pouvoir exécutif, du 15 juillet 1871, modifiant les articles 10 et 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845 ;

Considérant qu'il résulte des renseignements recueillis, que les tribus des Beni Ahmed, Beni-Amran-Djebalah, Beni Amran-Selia, Beni-Khettab, Beni Mohammed, Ouled bou-Beker, Beni-Kaïd, Ouled-Belafou et Beni-Siar, situées dans le cercle de Djidjelli, ont pris une part active à l'insurrection ; qu'ayant la ville de Djidjelli pour appui, ces tribus auraient pu, si elles l'eussent voulu, résister efficacement aux insurgés qui ont propagé la révolte chez elles, et que, malgré leurs relations anciennes avec les Européens, elles ont montré le plus grand acharnement pendant les diverses attaques dirigées contre la ville ;

Attendu que les dites tribus rentrent, dès lors, dans la catégorie de celles désignées à l'art. 1er de l'arrêté du 31 mars 1871, susvisé ;

Sur la proposition du Général commandant la division de Constantine ;

Le Conseil de Gouvernement entendu,

ARRÊTE :

Art. 1er. — Les dispositions de l'article 1er de l'arrêté du 31 mars 1871 sont déclarées applicables à tous les indigènes propriétaires, fermiers ou locataires, habitant le territoire des tribus ci-après désignées, situées dans le cercle de Djidjelli :

1 Beni-Ahmed,
2 Beni-Amran-Djebalah.

sera publié, en français et en arabe, au *Moniteur de l'Algérie*, ainsi qu'au *Mobacher*.

Fait à Alger, le 1er décembre 1871.

Le Gouverneur général civil de l'Algérie.

Signé : Vice-amiral Cte DE GUEYDON.

N° 295. — SÉQUESTRE. — *Apposition du séquestre sur les biens meubles et immeubles de 50 indigènes de diverses tribus du district de* DJIDJELLY.

—

ARRÊTÉ DU 1er DÉCEMBRE 1871.

—

Le Gouverneur général civil de l'Algérie,

Vu l'ordonnance du 31 octobre 1845 ;

Vu la loi du 16 juin 1851, § 2 article 22 ;

Vu l'article 7 du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863 ;

Vu l'arrêté du 31 mars 1871, approuvé le 7 mai suivant par le Ministre de l'Intérieur ;

Vu l'arrêté du Chef du Pouvoir exécutif du 15 juillet 1871, modifiant les articles 10 et 12 de l'ordonnance sus-visée :

Considérant qu'il résulte d'un état fourni par le Général commandant la division de Constantine, que les indigènes du district de Djidjelly ci-après dénommés, ont pris la part la plus active à l'insurrection dans la Kabylie orientale, soit en excitant les tribus à la révolte, soit en dirigeant les contingens insurgés aux attaques de Djidjelly, d'El Miliah et de Bougie, et en participant avec acharnement à l'incendie et au pillage des fermes et établissements appartenant aux Européens, ou à des indigènes restés fidèles ;

Qu'ils se sont ainsi rendus coupables des actes de rébellion et d'hostilité prévus par l'art 10 de l'ordonnance du 31 décembre 1845, dont il y a lieu, dès lors, de leur faire application ;

Sur la proposition du Général commandant la division de Constantine ;

Vu l'avis de la Commission instituée par notre arrêté du 7 juin 1871 ;

Le Conseil de Gouvernement entendu :

ARRÊTE :

ART. 1er. — Sont frappés de séquestre, partout où ils sont situés et où ils pourront être ultérieurement recon-

nus en Algérie, les biens meubles et immeubles appartenant aux indigènes ci-après désignés :

1 Si Mohammed ben Fiala, Mokaddem de Rahmania, douar Hayen, caidat de la plaine de Djidjelly.
2 Braham ben El Ahmer, id., id.
3 Khalfa ben bou el Maiz, id., id.
4 Salah ben Boudour, id., id.
5 Salah ben Bougacha, douar Oum-Aghrioum, idem.
6 Ammar ben Bellal, id., id.
7 Ali ben Oudina, id., id.
8 Mohammed ben Boughaba, id., id.
9 Si Ahmed ben Belgassem, douar El Djenah, idem.
10 El Arbi ben Bouteraa, id., id.
11 Belgassem ben Mebrouk, id., id.
12 Salah ben Mohamed, cheikh, douar Beni Maammar, id.
13 Amor ben Amza, id., id.
14 Si Belgassem ben Mebarek, douar Ouled Belafou, id.
15 Si Belgassem ben Maha, id., id.
16 Ahmed ben Brihoum, id., id.
17 Ali ben Mobarek, id., id.
18 Abderahman ben Amokran, Mokaddem des Rahmania, douar des Oued Djendjen, id.
19 Mohamed ben Messaoud ben Chaïben, id., id.
20 Ali ben Sliman, id., id.
21 Messaoud ben Djemam, id., id.
22 Said ben Messaoud, id., id.
23 Said ben Djemam, id., id.
24 Si el Haoussin ben Si Ahmed ben Chérif Moula Chekfa, douar des Ouled Amor, caidat des Beni Ider.
25 Si Belgassem ben Ahmed, id., id.
26 Si Ammar ben Ahmed Moula Chekfa, id., id.
27 Salah ben Chater, douar des Oum Tlatin, caidat des Beni Amram Djebala et Beni Khettab.

28 Mohammed ben Salah ben Chater, son fils, id., id.
29 Salah ben Ahmed ben Bouchama, douar des Mrabot Moussa, caïdat des Aouana et Dar el Batah.
30 Braham ben Bousoufa, douar des Ouled M'hammed, id.
31 Aissa ben M'hammed, id., id.
32 Saïd ben Younis, douar des Beni Caïd, id.
33 Rabah ben Djebbar, douar des Beni Sekfal, id.
34 Si Ahmed ben Ali ben Chekirou (Adel de Tokitount), douar des beni Khezeur, id.
35 Abdallah ben Messaoud, id., id.
36 Aiech ben Zaïd (Caid), douar des El Menazel, caïdat des Ouled Askeur.
37 Said ben Aiech, id., id.
38 Si el Abassi ben Amokran, Mokaddem des Rahmania, id., id,
39 Si Mohammed ben Seridi, id., douar des Beni Ourzeddine, caidat des Beni Foural.
40 Moktar ben Si Mohamed ben Seridi, son fils, id., id.
41 Si el Madani ben Mohamed, id., id.
42 Si Ahmed ben Si Said ben El Grini, id., id.
43 Si El Bachir ben Si Said ben El Grini, id., id.
44 Si Amor ben bou Araour, Mokaddem des Rahmania, douar des Larba caidat du Tababor
45 Si El Arbi ben bou Araour, id., id.
46 Si Seddik bou Araour, id., id.
47 Si Mohammed bou Araour, caid du Tababor, chevalier de la Légion-d'Honneur, id., id.
48 Si el Hachami ben Si el Arbi ben Amokran, bach adel des Selma, douar des Ouled Nabet, id.
49 Si Amor ben Si Said ben Amokran, Deira du caïd du Tababor, id., id.
50 Ahmed ben Mohammed ben Hamidjer, Deira du caïd du Tababor, douar des Aït Achour, id.

ART. 2. — Tous détenteurs, dépositaires, administrateurs, gérants, fermiers ou locataires des biens apparte-

حكم

* بناسم السلطان اعزه الله *

سعادة المرشال قيفرنور جنرال والى المملكة الجزايرية
بعد نظره للفصل العاشر من الامر الموزخ ٣١ من دجنبر سنة
وعلى حسب ما عرضه عليه السيد الجنرال حاكم عمالة ق
وبمقتضى راي ديوان المشوره الجزايري
تبين لنا ان العرش الاتي ذكره كان مجتهدا في الفساد ال
بواد الكبير في السنتين وهما سنة ١٨٥٩ و ١٨٦١

حكم

الفصل الاول * قد ثقفت املاك عرش عرب تسفيف المعين
الجريدة المصحوبة لامرنا هذا ان جميع الاملاك المذكورين
ملكا موبدا من املاك البايلك
الفصل الثاني * كل ما تعين من راس مال جل اجله وال
الحاصلة منه وكراء الامكنة وساير الديون التي لهم قبل
هم يدفع الجميع في خزنة الدمين يعنى خزنة البايلك
الفصل الثالث * ان السيد الجنرال حاكم عمالة قسنطين
المكلف بتنجيز هذا الامر الذي يكون مرسوما ببلتان او
يعنى كتاب جمع القوانين الحكمية

كتب في الجزاير في اليوم الثاني من غشت سنة ١
وهنا خط يد سعادة المرشال بليسي
دوك دو ملاكوف

Nos D'ORDRE.	Comprises dans le lever.	Rives de l'Oued-Kebir.	NOMS DES PARCELLES. FRANÇAIS.	ARABE.	Contenance approximative. H.	A.	C.
1	»	RIVE DROITE.	Habilem.	اجبلن	1	»	»
2	»		Sedjeur.	السجر	1	20	»
3	»		Bou Nemeur.	بو النمر	»	30	»
4	»		Zraïr.	الزراير	1	20	»
5	»		El-Oudja Dilim.	الوجة دي اليم	1	»	»
6	»		El-Oudja di Bouaouch	الوجة دي بوحوش	»	20	»
7	»		Elma Ketla di ben-Safer.	المقتلة دي بن اصافر	1	30	»
8	»		Rogaa di ben Aziouan.	الرقعة دي بن اعزيون	»	30	»
9	»		Aïnen Khamsin.	اينان خمسين	1	05	»
10	»		Bou Chioukha.	بو الشيوخة	»	15	»
11	»		Rogaa el-Hamra.	الرقعة الحمرة	»	15	»
12	»		Rogaa di si Acha.	الرقعة دي الصياشة	»	30	»
13	1		Refref.	الرفرف	»	20	»
14	1		El-Ksar emta ben Saaba.	القصر متاع بو صابة	»	40	»
15	1		Khenak den Dina.	اخناق دندينة	»	50	»
16	»		El-Djenein.	الجناين	1	20	»
17	»		El-Kraroua.	الكرارة	»	60	»
18	»		Tneit Serdoun.	اثنين صردون	»	60	»
19	1		Agnen.	اقنان	»	50	»
20	»		Boul Besbès.	بو البسباس	1	20	»
21	»		El-Arbakha.	العربكة	1	»	»
22	1		El-Raba Safra.	الغبة الصفرة	»	40	»
23	1	RIVE GAUCHE.	El-Kantara.	القنطرة	»	30	»
24	»		Abaïcou.	ابايكو	»	»	»
25	»		Tsiaouïnen.	اثسيع وينان	1	10	»
26	1		El-Manzel.	المنزل	»	[illegible]	»
27	1		El-Aouart.	العوارط	»	20	»
				A REPORTER.......	18	75	»

Nos D'ORDRE.	Comprises dans le lever.	Rives de l'Oued Kebir.	NOMS DES PARCELLES. FRANÇAIS.	ARABE.	Contenance approximative. H.	A.	C.
				REPORT........	18	75	»
28	»	RIVE GAUCHE.	Bou-Haroui.	بو هروي	»	40	»
29	»		El-Adjeur el-Mleha.	الحجر المليحة	»	30	»
30	»		El-Manzel.	المنزل	1	30	»
31	1		Bou Hallouf.	بو حلوف	»	40	»
32	1		Bou Cherf.	بو شرف	1	»	»
33	1		id.		»	20	»
34	»		El-Ksir Ettafertas.	القصير التفرطس	1	30	»
35	»		Bou Dounès.	بودونس	»	60	»
36	»		Dar Radjel.	دار الراجل	1	»	»
37	»		Taourert Smalou.	تلوارت اسمالو	1	30	»
				TOTAUX........	25	15	»

ART. 2. — L'Administration des Domaines prendra la gestion des biens de ces indigènes en conformité des dispositions de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

ART. 3 — Le Préfet du département de Constantine est chargé d'assurer l'exécution du présent arrêté qui sera publié en français et en arabe dans le journal le *Mobacher*.

Fait à Alger, le 26 juin 1863.

Pour le Gouverneur général :

Le Secrétaire général du Gouvernement,

DURIEU.

N° 243. — SÉQUESTRE. — Apposition du séquestre nominatif sur tous les biens d'un certain nombre d'indigènes de M'rabot-Moussa, cercle de Djidjelli (dép. de Constantine).

ARRÊTÉ DU 26 JUIN 1883.

Le Gouverneur général de l'Algérie,

Vu l'ordonnance du 31 octobre 1845 ;
Vu la loi du 16 juin 1851, article 22, § 2 ;
Vu l'article 7, du sénatus-consulte du 22 avril 1863;
Vu l'arrêté du 9 octobre 1882, frappant du séquestre nominatif les biens meubles et immeubles des indigènes de M'rabot-Moussa, habitant leur ancien douar pendant les incendies d'août 1881, et dont l'article 2 est ainsi conçu : « La liste nominative des indigènes atteints par cette mesure sera publiée ultérieurement, conformément aux prescriptions de l'article 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845 ; »
Sur la proposition de M. le Préfet de Constantine ;
Vu l'avis du Conseil de Gouvernement du 30 juin 1882,

ARRÊTE :

ART. 1er. — Sont frappés de séquestre, partout où ils sont situés et où ils pourront être ultérieurement reconnus en Algérie, notamment sur le territoire dépendant autrefois de l'ancien douar de M'rabot-Moussa, tribu des Beni Ahmed, cercle de Djidjelli, sur les Azels Bir Stahl et Djaffa (commune mixte de l'Oued Zenati) et dans le douar voisin d'Aïn Melouk, les biens meubles et immeubles appartenant aux

indigènes ci-après désignés qui habitent la section indigène de M'rabot-Moussa, commune de Duquesne, département de Constantine :

1. Ahmed ben M'barek ben Kraffallah.
2. Ahmed ben Salah ben Kraffallah.
3. Ahmed ben Taïeb ben Harrouch.
4. Salah ben M'barek ben Harrouch.
5. Salah ben Taïeb ben Harrouch.
6. Mohammed ben Ali ben Harrouch.
7. Aïssa ben Mohammed ben Bouchekit.
8. Belkassem ben Amor ben Bouchekit.
9. Taïeb ben Mohammed ben Kouchekit.
10. Belkassem ben Mohammed ben Kouchekit
11. Ali ben Belkassem ben Aferit.
12. Ali ben Belkassem ben Selma.
13. Ali ben Mohammed ben Bouhaïnk.
14. Ali ben Salah ben Bouhaïnk
15. M'hamed ben Belkassem ben Bouhaïnk.
16. Mohammed ben Belkassem ben Bouhaïnk
17. Rebah ben Belkassem ben Bouhaïnk.
18. Messaoud ben Mohammed ben Bouhaïnk
19. Boudjema ben Taïeb ben Mohammed ben Bouhaïnk.
20. Brahim ben Belkassem ben Labed.
21. Mohammed ben Belkassem ben Labed.
22. M'Barek ben Belkassem ben Labed.
23. Rabah ben Belkassem ben Labed.
24. Messaoud ben Ahmed ben Labed.
25. M'Barek ben Belkassem ben Bou Saïd.
26. Messaoud ben Ali ben Bou Saïd.
27. Aïssa ben Ahmed ben Bou Saïd.
28. Messaoud ben Mohammed ben Kraffallah.
29. Ali ben Salah bou Kredenna.
30. Mohammed ben Ahmed ben Bou Kredenna.
31. Salah ben Ahmed Bou Kredenna.
32. M'Hamed ben Salah Bou Kredenna.
33. Saïd ben Taïeb ben Mohammed Bouhaïnk.
34. Ali ben Taïeb ben Mohammed Bouhaïnk.
35. Amor ben Taïeb ben Mohammed Bouhaïnk
36. Rebah ben Salah ben Djoudi.
37. M'Barek ben Salah ben Djoudi.
38. Mohammed ben Salah ben Djoudi.
39. Messaoud ben Salah ben Djoudi.
40. Ahmed ben Salah ben Djoudi.
41. Saadi ben M'barek ben Berioun.
42. Salah ben Mohammed ben Septi.
43. Taïeb ben Kraffallah (ses héritiers).

44. M'Barek ben Mohammed ben Fardjallah.
45. Salah ben Mohammed ben Fardjallah.
46. Belkassem ben Saïd ben Fardjallah.
47. Si Smaïl ben Si Saadi ben Meuteur.
48. Si M'Hamed ben Si Saadi ben Meuteur.
49. Ahmed ben Aïssa ben Labed.
50. Belkassem ben Aïssa ben Labed.
51. Rebah ben Messaoud ben Labed.
52. Salah ben Ahmed ben Labed.
53. Ahmed ben Belkassem ben Djeballah.
54. Djeballah ben Ahmed ben Djeballah.
55. Salah ben Amor ben Djeballah.
56. Ahmed ben Belkassem ben Taïeb.
57. Ali ben Taieb.
58. Ali ben M'Hamed ben Taïeb.
59. M'Barek ben Amar ben Taïeb.
60. Ahmed ben Mohammed ben Bou Chabou.
61. Ahmed ben Salah ben Bou Chabou.
62. Mohammed ben Salah ben Bou Chabou
63. Salah ben Amor ben Bou Chabou.
64. Ali ben Ahmed ben Kralef.
65. Ali ben Salah ben Kralef.
66. Ali ben Amor ben bou Kredenna (ses héritiers).
67. Mohammed ben M'Barek bou Kredenna.
68. Salah ben Ali bou Kredenna.
69. Salah ben Mohammed bou Kredenna.
70. Messaoud ben Mohammed bou Kredenna.
71. Amar ben Salah ben Bouïcher.
72. Ahmed ben Mohammed ben Bouïcher.
73. Belkassem ben Mohammed ben Abdallah.
74. Salah ben Mohammed ben Abdallah.
75. Messaoud ben Abdallah ben Merzouk.
76. Messaoud ben M'Barek ben Merzouk.
77. Salah ben Ahmed ben Sliman.
78. Belkassem ben Ali ben M'Barek.
79. Mohammed ben Rebah ben Chelibi.
80. Rebah ben M'Barek ben Chelibi.

ART. 2. — Tous détenteurs, dépositaires, administrateurs, gérants, fermiers ou locataires des dits biens ; tous débiteurs de rentes, créances ou autres droits incorporels relatifs aux mêmes biens, sont tenus d'en faire la déclaration dans les trois mois qui suivront la déclaration du présent arrêté.

L'Administration des Domaines prendra la gestion des biens séquestrés, conformément aux dispositions de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

ART. 3. — Les Préfets des départements et les Généraux

N° 293. — Séquestre. — *État des immeubles séquestrés sur les sieurs :* 1° Si El Haoussin ben Si Ahmed ben Cherif Moulay Chekfa ; 2° Si Belkassem ben Si Ahmed ben Cherif Moulay Chekfa ; 3° Si Amar ben Si Ahmed ben Cherif Moulay Chekfa, *indigènes de la tribu des* Beni-Ider, *district de Djidjelli.*

—

En exécution de l'arrêté de M. le Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au *Moniteur de l'Algérie* du 3 du même mois, n° 287, l'administration des Domaines a pris possession de parts et portions indivises appartenant aux indigènes sus-nommés dans les immeubles dont suit la désignation :

1° Une maison construite en liége et en terre glaise, recouverte en tuiles, et le terrain sur laquelle elle est construite et qui a une contenance de 0 h. 01 a. 04 c.

2° Autre maison aussi en liége et en terre glaise et recouverte en tuiles avec le terrain sur lequel elle est construite et qui a une contenance de 0 h. 00 a. 60 c.

Ces deux immeubles sont situés au village de Chekfa.

3° Un terrain en nature de labour et prairie, d'une contenance de 15 h. au lieu dit Arsa-Zaouia, et sur lequel se trouvent 5 oliviers.

4° Terre de labour et broussailles, d'une superficie de 10 h. 60 a. au lieu dit Biatar (engagée à des tiers).

5° Un petit moulin kabyle, à farine, dont l'emplacement a une étendue de 5 mètres carrés sur la rive droite de l'Oued-Chekfa, en face du village du même nom.

6° Autre moulin kabyle, à farine, dont l'emplacement une superficie de 3 mètres carrés.

7° Terrain en nature de prairie et jardin, de 2 hectares, avec 14 grenadiers et quelques autres arbres fruitiers.

Ces deux derniers immeubles sont situés au lieu Aftis, sur la rive droite de l'Oued-Chekfa.

8° Terre de labour de 3 h., avec figuiers de Barbarie, au lieu dit N'ba.

9° Terre de labour, en partie irrigable, d'un seul tenant, d'une superficie de 23 h. au lieu dit Bou-Kebbeb (quartier d'El-Azib ou Dridra).

Sur cet immeuble se trouvent la mosquée Bedonze et un jardin circulaire de 5 h. environ, entouré de haies vives et de figuiers de Barbarie, et renfermant 68 orangers, 50 grenadiers, 20 figuiers, 18 pommiers, quelques mûriers, 3 poiriers et quelques palmiers sauvages (Azib ou Dridra).

10° Un jardin de 1 h. 40 a., au lieu dit Bou-Kebbeb, avec un gourbi, 100 orangers, 11 figuiers, 15 pommiers, 26 grenadiers, 18 cédratiers, 3 citronniers, 1 olivier, 1 jujubier et des figuiers de Barbarie.

11° Terrain en nature de labour, de 12 h. au lieu dit Bouchgui, engagé à des tiers.

12° Terrain en nature de jardin, de 1 h. 50 a., au lieu dit Bou Kebbeb et divisé en 4 lots.

Dans le premier lot se trouvent 15 orangers et citronniers et 2 grenadiers, dans le deuxième, 10 orangers, 4 grenadiers et 3 figuiers ; dans le troisième, 8 orangers, 4 grenadiers, 3 figuiers : dans le quatrième, 80 grenadiers, 60 pommiers, 29 orangers, 6 figuiers et une petite vigne

13° 40 oliviers sur les deux rives de l'Oued Chekfa, savoir : 17 sur la rive droite, au lieu dit El-Djenan et 23 sur la rive gauche, dans une prairie communale à 100 mètres du village de Chekfa.

Et en outre 18 autres oliviers à El-Hayen sur le Bled-Ataraoui.

Le tout situé au lieu dit Chekfa.

14° Parts et portions indivises d'une propriété consistant en un bordj, avec petit jardin maison couverte en tuiles, gourbi, terre de labour, rochers et broussailles, d'une superficie de 36 h., avec 284 oliviers, au lieu dit Aïn-Arabis.

Tous les immeubles ci-dessus désignés sont situés

dans la tribu des Beni-Ider, douar des Ouled-Amor.

Indépendamment des immeubles que les indigènes sus nommés peuvent posséder dans les territoires atteints collectivement par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication par le décret du 15 juillet 1871.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'art. 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 10 juillet 1873.

Le Directeur des Domaines,
Signé : Capifali.

Approuvé :

Alger, le 25 août 1873.

Le Gouverneur général civil de l'Algérie, Commandant en chef des forces de terre et de mer, absent.

Le Conseiller de Gouvernement, chargé de l'expédition des Affaires civiles et financières,

Bellemare.

N° 294. — Tribunaux français. — *Nominations.*

—

Par décret du Président de la République, en date du 11 septembre 1873, rendu sur le rapport du Garde des Sceaux, Ministre de la Justice, ont été nommés :

Juge de paix de Saint-Denis-du-Sig, M. Fermé, juge de paix d'El-Arrouch, en remplacement de M. Rey ;

Juge de paix d'El-Arrouch, M. Rey, juge de paix de Saint-Denis-du-Sig, en remplacement de M. Fermé.

Ces deux immeubles sont situés au lieu dit *Bled-Tahar*

3° Terrain dit *Bled-Tmteran*, en nature de broussailles et de la contenance d'une superficie de 7 h. 50 a.

4° Merdja dite *El-K'siriet*, en nature de labour, d'une contenance de 20 a.

5° Merdja sans désignation particulière, en nature de labour, d'une contenance de 30 a., avec un olivier.

6° Merdja, dite *Bou-Meron*, en nature de labour et broussailles, d'une contenance de 20 a.

7° Merdja sans désignation particulière, en nature de prairie d'une superficie de 50 a., au lieu dit *Dar-ben-Saïoud*, sur la rive gauche de l'Oued-K'sir.

8° Merdja dite *Ouldja-R'bira*, en nature de prairie, d'une contenance de 40 a. sur la rive droite de l'Oued-K'sir, au bas du mamelon Bou-El-Hadjel.

9° Merdja ou prairie, d'une contenance de 60 a., sur la rive droite de l'Oued-K'sir, au lieu dit *Rekba*.

10° Merdja ou prairie, d'une superficie de 40 a., sur la rive droite de l'Oued-K'sir au lieu dit *El-Haddoud*.

11° Neuf oliviers sur le communal *Ben-Saïoud*, rive gauche de l'Oued-K'sir.

Indépendamment des immeubles que cet indigène peut posséder dans les territoires atteints collectivement par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication, par le décret du 15 juillet 1877.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'art. 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845

Constantine, le 5 juillet 1873.

Le Directeur des Domaines,

Signé : CAPIFALI.

Approuvé :

Alger, le 11 juillet 1873.

Le Gouverneur général civil de l'Algérie,

Commandant en chef des forces de terre et de mer

Par son ordre :

Le Directeur général des Affaires civiles et financières.

[illegible]

DÉCRÈTE :

ART. 1er. — Est approuvée la délibération sus-visée par laquelle le Conseil général du département de Constantine a proposé d'opérer entre divers articles du chapitre IV, section 3 du budget départemental de l'exercice 1873, des virements s'élevant ensemble à la somme de cent seize mille six cent seize francs soixante-dix-sept centimes, destinée à l'entretien des chemins vicinaux de grande communication.

ART. 2. — Les Ministres des Finances et de l'Intérieur et le Gouverneur général civil de l'Algérie sont chargés de l'exécution du présent décret, qui sera inséré au *Bulletin officiel des actes du Gouvernement général civil de l'Algérie*.

Fait à Versailles, le 16 juin 1873.

Signé : Maréchal DE MAC-MAHON.

Par le Président de la République :

Le Ministre de l'Intérieur,

Signé : BEULÉ.

N° 221. — SÉQUESTRE. — *Etat des immeubles séquestrés sur Saïd ben Younes, cultivateur, ancien caïd des Beni-Caïd, et situés dans la fraction des Ouldja, tribu des Beni-Caïd, district de Djidjelli.*

En exécution de l'arrêté de M. le Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au *Moniteur de l'Algérie* du 3 du même mois, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles dont suit la désignation appartenant à l'indigène sus-nommé :

1° Une maisonnette en pierres, couverte en tuiles, avec son emplacement d'une contenance de 08 c.

2° Un gourbi recouvert en chaume, avec son emplacement et le terrain qui l'entoure, d'une contenance de 5 a.

16° Terre de labour de 0 h. 03 a. au lieu dit Dar-Amar-ben-Ali.

17° Terre de labour et broussailles de 1 h. 40 a., avec 200 oliviers, au lieu dit Dar-ben-Cheikh.

18° Terre de labour et broussailles, d'une contenance de 0 h. 05 a., avec 2 oliviers et 1 palmier sauvage, au lieu dit Dar-ben-Cheikh.

19° Terre labourable et broussailles de 0 h. 65 a., avec 6 oliviers et 1 palmier sauvage, au lieu dit Dar-Si-Ali.

20° Un gourbi, terre de labour et broussailles, de 4 h. 50 a., avec 4 oliviers sur le Redba-Sfa.

21° Oliviers sur des terres appartenant à divers, savoir :

4 oliviers dans le communal qui se trouve près des 3 gourbis à Hadjera et El-N'meur.

2 Sur le terrain de Messaoud ben Bel Khel.

1/2 Sur le terrain de Saïd ben Mohamed.

1/3 Sur le terrain du même.

1/3 Sur le terrain du même, à côté de 4 frênes.

5 Sur le communal du Hanou.

1/3 Sur le terrain de Saïd ben Mohammed, à Hanou.

3 Sur le terrain du même, à Fath'ran.

1 Sur le terrain du même, à côté de l'immeuble désigné sous le n° 17.

1 Sur un communal à Dar-ben-Cheikh.

2 à M'fa, dans la forêt de chênes-lièges.

1/3 au même lieu.

1/3 d'un autre olivier au même lieu, avec les mêmes.

22° 9 oliviers sur le terrain de Saïd ben M'hamed, engagés par ce dernier, à titre de rhamia, à Salah ben Chatar pour 35 fr.

Tous ces immeubles sont situés au village de Ghziria, douar d'Oum-Tletin, tribu des Beni-Amran-Djebelah.

[illegible]

tre, pour lesquels immeubles l'administration est dispensée de toute publication par le décret du 15 juillet 1874.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'art. 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 8 juillet 1873.

Le Directeur des Domaines,

Signé : CAPIFALI.

Approuvé :

Alger, le 25 août 1873.

Le Gouverneur général civil de l'Algérie, Commandant en chef des forces de terre et de mer, absent.

Le Conseiller de Gouvernement, chargé de l'expédition des Affaires civiles et financières,

Signé : BELLEMARE.

N° 279. — SÉQUESTRE. — *Etat des immeubles séquestrés sur le sieur* Ahmed ben Atoman, *ancien secrétaire de la djemâa des Ziabra, district de Collo.*

En exécution de l'arrêté de M. le Gouverneur général, du 6 octobre 1871, inséré au *Moniteur de l'Algérie* du 8 du même mois, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles dont suit la désignation, appartenant à l'indigène sus-nommé :

1° Parts et portions indivises, soit 1/3 dans une terre de culture, d'une contenance de 1 h. 57 a. 50 c., complantée de 6 chênes-liège, de 3 figuiers d'Europe et sur laquelle se trouvent deux gourbis.

Cette terre est située au lieu dit Leksir-Kassem, douar-commune des Ziabra.

2° Parts et portions indivises, soit 1/3, dans une terre [illegible]

N° 208. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur Rabbah ben Djebar, cultivateur aux Beni-Sekaf, caïdat d'El-Aouana, cercle de Djidjeli.*

—

En exécution d'un arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au Moniteur de l'Algérie, le 3 décembre suivant, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles appartenant à l'indigène sus-nommé, situés dans la tribu de Beni-Sekfal, fraction du même nom, et dont la désignation suit :

1° 1/3 de terre de labour, de médiocre qualité, de 70 c., lieu dit Blad-El-Aït ;

2° 1/3 de terre de labour, de médiocre qualité, de 14 c., même lieu ;

3° Terre de labour, de médiocre qualité, de 14 c., même lieu ;

4° Terre de labour, de médiocre qualité, de 80 c., même lieu ;

5° 1/3 de terre de labour, de médiocre qualité, de 2 a. 75 c., lieu dit El-Outhia ;

6° 1/3 de terre de labour, de médiocre qualité, de 50 a., lieu dit Beni-Khalifa ;

7° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, et de 4 orangers, 20 frênes, 5 oliviers, de 5 h., 33 a. 34 c., lieu dit Bled-Arsem, à l'ouest du Coudiat ;

8° 1/3 de pâture, mauvaise qualité, avec un olivier, de 28 a., lieu dit El-Hadjira :

9° 1/3 de terre irrigable, de 80 c., lieu dit Bou-Kafi ;

10° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, avec un gourbi, de 15 a., même lieu ;

11° 1/3 de terre de labour, de qualité médiocre, avec 1 prunier, de 24 a., lieu dit Dar-ben-Chaban ;

12° 1/3 de terre de labour, de qualité médiocre, lieu dit Dar-ben-Chaban, à 10 m. au sud du ben Chaban ;

13° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, lieu dit Taïmet ;

14° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, 83 c., lieu dit Bou-Chekout ;

15° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, 92 c., lieu dit Dar-ben-Chaban ;

16° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité 67 c., lieu dit Meerdjats ;

17° 1/3 de terre de labour. de bonne qualité 60 c., lieu dit El-Mira ;

18° 1/3 de prairie, terre irrigable, de 4 a. 6 dit Bou-Rihan ;

19° 1/3 de prairie, de terre irrigable, de 1 a.

1/3 de			
	20° prairie, terre irrigable, de 1 a. 50 c., me		
	21°	—	de 35 c.,
	22°	—	de 1 a. 73 c.,
	23°	—	de 2 a.,
	24°	—	de 2 a.,
	25°	—	de 2 a. 74 c.,
	26°	—	de 1 a. 60 c.,
	27°	—	de 47 c.,
	28°	—	de 40 c.,

29° 1/3 de terre de labour, d'assez bonne de 80 a., lieu dit Bled-Tamazien ;

30° 1/3 de terre de labour, de bonne qualité, a viers et 6 frênes, de 8 h., 16 a. 67 c., lieu dit Tin

31° 1/3 de terre de labour, de qualité médio 3 oliviers sur le chemin, de 25 a., lieu dit T près du chemin d'El-Aouana à Djidjeli, au sud ;

32° 1/3 de terre de labour, de mauvaise qualité, de 75 a., lieu dit El-Mizeb ;

33° 1/3 de terre de labour, de mauvaise qualité, avec 7 oliviers, de 75 a., lieu dit Bou-Mahli ;

34° 1/3 de terre de labour, de 9 oliviers, dans le roupe dit El-Abel, au sud du Djebel-Settara ;

Indépendamment des immeubles que l'indigène sus-nommé peut posséder dans les territoires atteints par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication, par le décret du 15 juillet 1871.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'article 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 1er avril 1874.

Le Directeur des Domaines,

Signé : Capifali.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Pour le Gouverneur général, en tournée :

Le Directeur général des Affaires civiles et financières,

Signé : De Toustain.

N° 209. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur Braham ben Bou Soufa, cultivateur aux Ouled-M'hamed, tribu du caïdat d'El-Aouana, cercle de Djidjeli.*

—

En exécution d'un arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au *Moniteur de l'Algérie*, le 3 décembre 1871, l'administration des Domaines, a pris possession des immeubles appartenant à l'indigène sus-nommé, situés dans la tribu des Ouled-M'hamed, Ferka-Am-Mezouren, dont la désignation suit :

1° Terre de labour, de qualité médiocre, avec un gourbi et deux oliviers, de 2 h. 50 a., lieu dit Kâ-Srman ;

2° Pâture, de mauvaise qualité, avec un jardin de figuiers d'Europe et un pommier, de 5 h. 62 a. 50 c., lieu dit Dar-Achour ;

3° Terre et pâture, de mauvaise qualité, avec un gourbi, de 2 h. 50 c., au sommet du Coudiat-Snoulra ;

4° Broussailles, rochers et pâture, de 60 a., lieu dit Djebel-Krout ;

5° Terre de labour, de qualité médiocre, de 6 a. 60 c., lieu dit Dart-ben-Guemiah :

6° Terre de labour, de qualité médiocre, de 6 a., lieu dit Bousoutat ;

7° Terre irrigable, de 1 h. 1 a. 50 c., lieu dit Bousoutat-ou-El-Amira ;

8° Terre irrigable, de 1 a. 50 c., lieu dit Ble-M'zezour ;

9° Terre irrigable, de 18 a., lieu dit Bled-el-Megâa ;

10° Terre irrigable, de 7 a. 20 c., lieu dit Bled-bou-Doueb ;

11° Terre irrigable, de 28 a., lieu dit Bled-el-Haoûet ;

12° Olivier à Dart-Mehiadets, dans le terrain d'Aïssa ben M'hamed ;

1 olivier au Bled-el-Kef, terrain de Ahmed-ben-Moussa ;

3 oliviers au sommet du Djebel-Inoubra, terrain de Ahmed-ben-Amrour ;

2 oliviers entre l'Oued-Kara et l'Oued-Baahir ;

1 olivier et moitié d'un autre olivier à Dar-el-Hadded ;

19 oliviers dans un communal dit M'zouren, sur le versant est du Djebel-Snoulra, près de l'Aïn-bou-Chitan ;

N° 224. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur 1° Si Mohamed ben Sezidi ; 2° Moktar ben Si Mohamed ben Sezidi, fils du précédent ; 3° Si El Madani ben Mohamed, leur oncle, tous cultivateurs aux Beni-Ourzedin, caïdat des Beni-Foughal.*

—

En exécution d'un arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au Moniteur de l'Algérie, le 3 décembre 1871, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles ci-après désignés, appartenant aux indigènes sus-nommés et situés dans le cercle de Djidjelli. douar des Beni-Ourzedin, caïdat des Beni-Foughal, Ferka-Srada :

1° 2/60 de terre de labour, de bonne qualité, avec un gourbi, 2 orangers, 2 figuiers, 1 grenadier, de 9 a. 20 c., lieu dit Bled-ben-El-Hadjerat ;

2° 3/10 de pâture et rochers, de 3 a. 60 c., lieu dit Bled-Coastera, sur le Coudiat-ben-Dzriata ;

3° 3/10 de broussailles, de 1 a. 35 c., lieu dit Bled-Roumla-M'ta-bou-Azour :

4° 3/10 de terre de labour, de médiocre qualité, avec 4 figuiers d'Europe, de 32 a. 2 c., lieu dit Dar-Babouch ;

5° 3/10 de terre de labour, de bonne qualité, de 3 a 75 c., lieu dit Bled-Kâa-el-Meradja ;

6° 3/10 de terre de labour, de bonne qualité, avec 1 gourbi démoli, à Abdallah-ben-Abib, 2 figuiers, 15 frênes, 1 caroubier, de 2 a. 30 c., lieu dit Dar-Kerboch ;

7° 3/5 de prairie, de bonne qualité, de 35 a. 60 c., lieu dit Bled-Merdj-bou-Ahmed ;

8° 3/10 de pâture et terre bonne, de 3 h. 51 a., lieu dit Bled-Agnès ;

9° Terre de labour, de bonne qualité, de 1 h. 30 a., lieu dit Blad-Saadouna ;

10° Terre de labour de bonne qualité et pâture, 3 h. 4 a., lieu dit Blad-Drâ-Si-El-Abel ;

11° Terre de labour et pâture, de médiocre qualité, de 72 a., lieu dit Bled-Menassa ;

12° Terre de bonne qualité et pâture. de 1 h. 80 a., lieu dit Bled-El-Aïn-Si-Abdallah ;

Indépendamment des immeubles que les indigènes susnommés peuvent posséder dans les territoires atteints collectivement par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication, par le décret du 15 juillet 1871.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'article 12 de l'ordonnance du 31 décembre 1845.

Constantine, le 30 avril 1874.

Le Directeur des Domaines,

Signé : Capifali.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Le Gouverneur général, en tournée.

Par délégation :

Le Directeur général des Affaires civiles et financières,

Signé : De Toustain.

N° 225. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur Aïssa ben Mahmed, cultivateur aux Ouled-Mahmed, caïdat d'El-Asuana.*

—

En exécution de l'arrêté nominatif du Gouverneur général du 1er décembre 1871, inséré au Moniteur de l'Algérie, le 3 décembre 1871, l'administration des Domaines a prix possession des immeubles ci-après désignés, appartenant à l'indigène sus-nommé et situés dans la tribu des Ouled-Mahmed :

1° 1/2 de terre de labour, de qualité médiocre, avec

positions de l'article 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 14 avril 1874.

Le Directeur des Domaines,
Signé : Capifali.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Le Gouverneur général, en tournée.
Par délégation :
Le Directeur général des Affaires civiles et financières,
Signé : De Toustain.

N 212. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur Si El Korichi ben Saadoun, indigène de la tribu de Tala, caïdat du Ferdjiouah.*

—

En exécution de l'arrêté nominatif du Gouverneur général, du 29 novembre 1871, inséré au Moniteur de l'Algérie, le 2 décembre suivant, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles appartenant à l'indigène sus-nommé, situés dans la tribu de Tala, et dont la désignation suit :

1° Terre labourable, de 7 h. 83 a., au lieu dit Djemilah ;

2° Terre labourable, de qualité médiocre, de 2 h. 80 a, au lieu dit Temen-Tomba ;

3° Terre cultivable, de qualité médiocre, de 3 h. 45 a., au lieu dit Bled-Abbès ;

4° Terre cultivable, de qualité médiocre, de 3 h. 20 a., au lieu dit Bled-Abbès ;

5° Terre de parcours, de 1 h. 70 a., au lieu dit Déménet ;

6° Terre de parcours, de 1 h. 16 a., au lieu dit Kakar ;

7° Terre de parcours et rochers, de 80 a., au lieu dit

Déménet-R'rat, à 350 mètres environ à l'est de la crête du Coudiat-Ras-Séridja ;

8° Emplacement de Mechta et deux gourbis en ruines, de 1 a., au lieu dit Mechta-Korichi, à 300 mètres environ au sud de la mosquée Sidi-Saadoun, sur la rive gauche de l'Oued-Bouleb-Kelete ;

9° Jardin contenant cinq ormeaux, six peupliers, sept figuiers et deux pieds de vigne ;

10° Terre cultivable et terrain de parcours, de 9 h. 85 a., au lieu dit Ben-Azouz ;

11° Terrain en partie cultivable et en partie propre au parcours, de 10 h. 80 a., au lieu dit Boussâada ;

12° Terre de parcours et Mechta, contenant trois gourbis en ruines, au lieu dit Bled-Latsfou, près du versant nord-ouest du Coudiat-Ras-Aïnen-Aribi ;

13° Terrain labourable, de 13 h. 30 a., au lieu dit Boutfara ;

14° Terrain vague, de 1 a., au lieu dit Kermouda, sur la rive gauche du Chabet-Kermouda ;

15° Terrain vague, de 1 a., au lieu dit Kermouda, sur la rive droite de l'Oued-Goumeri ;

Indépendamment des immeubles que l'indigène susnommé peut posséder dans les territoires atteints par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication, par le décret du 15 juillet 1871.

La présente publication est faite en conformité des prescriptions de l'art. 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 18 avril 1874.

Le Directeur des Domaines,
Signé : Capifali.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Le Gouverneur général, en tournée.
Par délégation :
Le Directeur général des Affaires civiles et financières,
Signé : De Toustain.

N° 213. — Séquestre. — *Etat des immeubles séquestrés sur Mohamed Bou Araour, ex-caïd de Tababort.*

—

En exécution de l'arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au *Moniteur de l'Algérie*, le 3 décembre suivant, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles ci-après désignés, appartenant à l'indigène sus-nommé et situés dans le cercle de Djidjelli, douar Larba, fraction Yachiren :

1° Un bordj en ruines, avec 4 corps de bâtiment démolis en partie, lieu dit Bouzaki ;

2° Terre de labour, de bonne qualité, avec 4 noyers, 8 figuiers d'Europe, 2 pruniers et une maison en ruines, de 64 a., lieu dit Bouzaki ;

Douar des Ouled-Ali

3° Terre bonne et pâture, avec 7 frênes, de 9 h. 60 c., lieu dit Dar-Chaban ;

4° Terre de labour, de bonne qualité, avec 11 frênes, de 3 h. 43 a. 75 c., lieu dit Bled-R'led-R'cherf ;

Douar des Beni-Marmi :

5° Pâture et rochers, très-mauvais, de 8 a. 40 c., lieu dit Bled-Aguer en Djimli ;

6° Terre de labour, de mauvaise qualité, de 18 a. 75 c. lieu dit Bled-Aguer en Djimli ;

7° Pâture de 6 a. 75 c., lieu dit Bled-Dar-Adrar ;

8° Terre de labour, d'assez bonne qualité, de 10 a. lieu dit Bled-Koubba ;

9° Terre de labour, de qualité médiocre, de 13 a. 50 c. lieu dit Bled-Arrggreg ;

10° Un petit moulin kabyle, en mauvais état, de 15 c.,

sur les bords et au nord de l'Oued-Affra, au lieu dit Bled-Kâa et Djenan ;

Indépendamment des immeubles que l'indigène sus-nommé peut posséder dans les territoires atteints par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de toute publication par le décret du 15 juillet 1874.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'art. 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 21 avril 1874.

Le Directeur des Domaines,
Signé : CAPIFALI.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Le Gouverneur général, en tournée.
Par délégation :
Le Directeur général des Affaires civiles et financières,
Signé : DE TOUSTAIN.

N° 314. — SÉQUESTRE. — *Etat des immeubles séquestrés sur Ahmed ben Mohamed ben Hamidjor, ancien deira du caïd de Tabort, à Aït-Achour.*

—

En exécution d'un arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au MONITEUR DE L'ALGÉRIE, le 3 décembre suivant, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles ci-après désignés, appartenant à l'indigène sus-nommé, et situés dans la tribu d'Aït-Achour :

1° Terre de labour, de mauvaise qualité, de 20 a., lieu dit Blad-Dar-Larab ;

2° Terre de labour, d'assez bonne qualité, de 56 a. 25 c., lieu dit Bled-Taguersif ;

3° Parcelle d'orangers (4 orangers), en forme de losange, de 15 c., lieu dit Aït-Saïd, au sud-est d'un gourbi ;

4° Deux oliviers et moitié d'olivier, sur la terre de Ali ben Saïd, au sud-est de l'Oued-S'tirvat et à l'est du chemin de Tabort à Djidjeli ;

Indépendamment des immeubles que l'indigène sus-nommé peut posséder dans les territoires atteints par le séquestre, pour lesquels l'administration est dispensée de de toute publication par le décret du 15 juillet 1874.

La présente publication est faite en conformité des dispositions de l'article 12 de l'ordonnance du 31 octobre 1845.

Constantine, le 22 avril 1874.

Le Directeur des Domaines,
Signé : CAPIFALI.

Approuvé :

Alger, le 10 mai 1874.

Le Gouverneur général, en tournée.
Par délégation :
Le Directeur général des Affaires civiles et financières,
Signé : DE TOUSTAIN.

N° 315. — SÉQUESTRE. — *Etat des immeubles séquestrés sur : 1° Si Ahmed ben Si Saïd ben El Grini ; 2° Si El Bachir ben Si Saïd ben El Grini, frères, cultivateurs au douar des Beni-Ourzeddin, caïdat des Beni Foughal.*

—

En exécution de l'arrêté nominatif du Gouverneur général, du 1er décembre 1871, inséré au MONITEUR DE L'ALGÉRIE, le 3 décembre 1871, l'administration des Domaines a pris possession des immeubles ci-après dési-

gnés, appartenant aux indigènes sus-nommés, et situés dans le cercle de Djidjelli, douar des Beni-Ourzeddin, caïdat du Tabort :

1° 1/2 de terre de labour, de bonne qualité, de 90 a., lieu dit Outa-N'sara ;

2° 1/2 de terre de labour, de bonne qualité et broussailles, et de 50 chênes-zéens, 9 frênes, 40 figuiers d'Europe, 11 grenadiers et 10 pruniers, de 8 h. 75 a., lieu dit El-Ouldja ;

3° 1/3 de pâture et rochers, et de 20 chênes-zéens petits, de 97 a. 50 c., lieu dit Bled-Bardiba, au nord de l'Oued-Krâa ;

4° 1/2 de terrain de pâture et de rochers, de 48 a., lieu dit Bled-Hadjar-Si-Kaa-el-Atren ;

5° 1/2 terre de labour, de bonne qualité, avec un gourbi démoli, de 68 a., lieu dit Bled-Bouguernoun ;

6° 1/2 de terre de labour, de bonne qualité, de 1 h. 50 a., lieu dit Bled-Merdja-Redis ;

7° 1/2 de terre de labour, de bonne qualité, de 15 a., même lieu ;

8° 2/9 de terre bonne pâture, de 4 h., 73 a. 33 c., lieu dit Tamaïssa ou El-Meroudj ;

9° De terre de labour, de bonne qualité, avec 17 frênes, lieu dit Merdja-Enta-El-Bâhia ;

10° 1/2 de prairie, de qualité médiocre, de 10 a., lieu dit Bled-Hadjera-el-Bâhira ;

11° 1/2 de prairie bonne, de 42 a., lieu dit Bled-el-Krouma ;

12° 1/6 de pâture et terre médiocre, de 6 a., lieu dit Bled-Merdja-Djedara ;

13° 1/6 de pâture, de 16 a. 66 c., lieu dit Bled-el-Theira ;

14° 1/2 de pâture de 13 c., lieu dit Bled-Reccha ;

الصنف الثالث : نماذج من التقارير التي كانت تنشرها الجريدة الرسمية الخاصة بالمعلومات التاريخية عن كل عرش. وهي عرشي : تايلمامت و أولاد أمبارك بالميلية.

EXÉCUTION DU SÉNATUS-CONSULTE DU 23 AVRIL 1863 — *Délimitation et répartition du territoire de la tribu des* OULED-M'BAREK, *province de Constantine.*

N° 171. — RAPPORT A L'EMPEREUR.

Paris, le 9 octobre 1869.

SIRE,

La commission administrative de Constantine a terminé chez les OULED-M'BAREK, de l'annexe d'El-Miliah, les travaux prescrits par les paragraphes 1 et 2 de l'article 2 du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863, et j'ai l'honneur de placer sous les yeux de Votre Majesté le résultat des opérations exécutées dans cette tribu.

Les Ouled-M'barek, originaires des environs d'Aïn-Beïda, sont venus, au siècle dernier, s'établir sur leur territoire actuel, alors couvert de forêts et de broussailles qu'ils ont, en grande partie, défrichés.

Associés à l'esprit d'indépendance des tribus voisines, sous le gouvernement turc, ils se soumirent comme elles, en 1817, à notre domination.

Le territoire des Ouled M'barek, situé à environ 30 kilomètres Sud-Est du poste d'El-Miliah, a une superficie de 3,259 h. 09 a. 30 c. Il est borné: au Nord, par les Achaïche, et les Ouled-El-Hadj ; à l'Est, par le douar des Beni-Sbihi ; au Sud, par le douar des Beni-Teflen et les Beni-Caïd ; à l'Ouest, par le douar des Ouled-Debab. La délimitation n'a présenté aucune difficulté.

Le sol, accidenté, est formé de vallées fertiles, propres à toutes les cultures, et de montagnes boisées. Il est arrosé par plusieurs cours d'eau, dont le principal est l'Oued-El-Guitoune, et par de nombreuses sources. La route de Constantine à El-Miliah est la principale voie de communication qui traverse cette tribu.

Les cultures principales sont les céréales ; dans les jardins, on trouve le figuier, l'oranger, la vigne et quelques oliviers.

La population est de 1,230 individus. Le cheptel comprend : 35 chevaux, 12 ânes, 69 mulets, 1,058 bœufs, 2,011 moutons, 2,030 chèvres ; les labeurs occupent 116 charrues ; les ruches à miel sont au nombre de 500.

La seule industrie à mentionner est la fabrication du charbon, à laquelle prennent part quelques Européens, et dont les produits sont écoulés à Constantine.

L'impôt s'élève à 7,661 fr. 65 c., dont 1,169 fr. 70 c. de centimes additionnels.

Dans ces conditions, il convient de constituer ce territoire en un seul douar, qui conservera le nom de la tribu.

La propriété est melk chez les Ouled-M'barek ; les terrains de cette catégorie comprennent 2 545 h. 36 a. 10 c.

Le service du Domaine a revendiqué trois massifs boisés, d'une contenance de 590 h. 92 a. 40 c., formés d'un peuplement de chênes-liége, et affectés, par le service forestier, à des coupes de carbonisation et de chauffage, destinées à l'alimentation de la ville de Constantine.

La djemâa n'a fait aucune opposition à cette revendication, mais sous réserve expresse du maintien de ses droits d'usage, de parcours et de pacage, qui sont fort étendus, et que, faute d'entente entre les parties, il y a lieu de respecter jusqu'à la réglementation générale.

Les communaux se composent d'une terre de parcours (78 h. 79 a. 20 c.), terrain broussailleux, d'un peuplement trop pauvre pour être érigé en bois communal, et de 4 cimetières (5 h. 38 a.)

Le Domaine public s'étend sur 38 h. 63 a. 60 c.

Ces diverses propositions et classifications étant conformes aux décrets et instructions qui régissent l'application du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863, j'ai l'honneur de prier Votre Majesté de daigner les sanctionner, en signant les deux projets de décret ci-joints.

Le territoire des Ouled-M'barek est melk ; le Sénatus-Consulte aura donc reçu son entière exécution dans cette tribu, et les transactions immobilières y demeureront incontestablement libres.

Je suis, etc.

Le Ministre Secrétaire d'État de la Guerre,

Signé : Gal LE BŒUF.

N° 172. — DÉCRET DE DÉLIMITATION.

DU 9 OCTOBRE 1869.

NAPOLÉON, par la grâce de Dieu et la volonté nationale, Empereur des Français,

A tous présents et à venir, Salut !

Vu le Sénatus-Consulte du 22 avril 1863 et le règlement d'administration publique du 23 mai suivant, relatifs à la constitution de la propriété en Algérie, dans les territoires occupés par les Arabes ;

Vu les instructions générales du 11 juin 1863 ;

Vu la loi du 16 juin 1851 sur la constitution de la propriété en Algérie ;

Vu le décret du 25 août 1867, qui désigne le territoire des Ou-

EXÉCUTION DU SÉNATUS-CONSULTE DU 22 AVRIL 1863. — DÉLIMITATION ET RÉPARTITION *du territoire de la tribu des* Taïlman, *province de Constantine.*

—

N° 436. — RAPPORT A L'EMPEREUR.

—

Paris, le 25 avril 1868.

SIRE,

En exécution d'un décret du 25 août 1867, la tribu des TAÏLMAN, de l'annexe d'El-Miliah, a été soumise aux opérations prescrites par les paragraphes 1 et 2 de l'article 2 du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863. J'ai l'honneur de placer sous les yeux de Votre Majesté le résultat des travaux que la Commission administrative de Constantine vient de terminer dans cette tribu.

Les Taïlman sont formés de 4 familles qui se sont successivement établies dans le massif montagneux compris entre l'Oued-el-Kébir au Nord, l'Oued-Irdjana à l'Est et au Sud, l'Oued-bou-Salem à l'Ouest.

De 1849 à 1851, c'est-à-dire peu avant leur soumission à la France, ils ont été dépossédés de plus de la moitié de leur territoire à la suite des luttes soutenues contre tous leurs voisins réunis. Ils n'ont pris qu'une faible part à la révolte de 1860, et, dès l'arrivée de nos colonnes, ils sont rentrés dans le devoir. Depuis lors, leur obéissance a été complète.

La tribu est située à 20 kilomètres environ Nord-Ouest de l'annexe d'El-Miliah. Elle présente 2 zônes distinctes : la plaine, qui s'étend sur les rives de l'Oued-el-Kébir et de l'Oued-bou-Salem ; la montagne, dont les ramifications couvrent environ les deux tiers du territoire. Les crêtes et la plaine sont cultivées et plantées de nombreux et beaux oliviers ; les versants sont garnis de forêts. Le pays renferme plusieurs sources très-abondantes qui suffisent largement à tous les besoins ; il est traversé dans sa partie Nord par le chemin muletier d'El-Miliah à Djidjelli.

Les Taïlman, comme toutes les tribus de cette région, cultivent le blé, l'orge, les fèves, le maïs, le millet et le sorgho. Ils possèdent aussi quelques jardins complantés d'arbres fruitiers de diverses espèces.

La délimitation, qui se trouvait déjà fixée avec plusieurs des tribus limitrophes, s'est achevée sans soulever aucune difficulté.

Le périmètre, marqué par des obstacles naturels et par 12 bornes, embrasse une superficie de 911 h. 33 a. 66 c. sur laquelle sont installés 550 habitants possédant 96 gourbis ou tentes, 46 chevaux ou juments, 14 mulets, 555 bœufs, 103 moutons, 705 chèvres. Ils cultivent 46 charrues. Ils trouvent aussi des ressources dans les travaux de démasclage des chênes-liège pour lesquels ils montrent beaucoup d'aptitude.

L'impôt, y compris 514 fr. 16 c. de centimes additionnels, s'élève à 3.370 fr. 61 c.

Cette petite tribu, trop peu importante à tous égards pour subir un fractionnement, formera un seul douar qui conservera le nom de *Taïlman*.

La propriété est détenue à titre melk, et les limites des différentes parcelles sont partout très-nettement tracées. Les melks, divisés en 5 groupes, ont une superficie de 450 h. 32 a. 96 c., ce qui donne moins de 10 hectares par charrue cultivée.

Le Domaine a revendiqué sans opposition 5 massifs boisés, d'une étendue de 425 h. 48 a. 93 c., qui sont en totalité concédés.

Les indigènes exercent sur ces massifs des droits d'usage étendus qui, faute d'entente entre les parties intéressées, ont dû être maintenus provisoirement.

Les Taïlman n'ont ni terrains collectifs de culture ni terres de parcours.

Les communaux se composent seulement de 2 cimetières dont la cession au douar a été faite régulièrement. Leur superficie est de 0 h. 70 a. 41 c.

Le Domaine public s'étend sur 34 h. 81 a. 06 c.

En résumé, les travaux exécutés chez les Taïlman ont suivi la marche indiquée par les décrets et instructions qui régissent la matière. J'ai l'honneur de prier l'Empereur de daigner approuver les propositions dont cette tribu est l'objet, en signant les deux projets de décrets ci-annexés.

Je suis, etc.

Le Maréchal de France,
Ministre Secrétaire d'État au département de la Guerre,
Signé : NIEL.

Approuvé :
Signé : NAPOLÉON.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: بالعربية:

1- إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان (جزآن): ابن أبي الضياف أحمد، الدار التونسية للنشر سنة 1976.

2 - الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية: تاليف عزيز سامح التير، ترجمة محمد علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ط1سنة 1989.

3 -المقدمة:عبد الرحمن ابن خلدون، مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي ، بيروت 1967.

4 - تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، 2 : د. أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

5 - تاريخ الحركة الوطنية، ج:1،2 : د. أبو القاسم سعد الله ، الموسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

6 - تاريخ الجزائر في القديم والحديث: تاليف مبارك الميلي.

7- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب: د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، 1964.

8 - تاريخ العبر وديوان المبتدا والخبر... عبد الرحمن بن خلدون (الاجزاء: الخامس والسادس والسابع)، دار الكتاب اللبناني 1983.

9 - تاريخ المغرب الكبير (الجزء الول والثاني): د. جلال يحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981.

10- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (ج2،1): د. يحي بوعزيز، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، بدون تاريخ.

11- التجارة الخارجية للشرق الجزائري: د. محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972.

12- ثورة1871: د. يحي بوعزيز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، بدون تاريخ.

13- الاحتلال الروماني للجزائر(الجزء الأول والثاني): د. محمد الشريف شنيتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

15- دور كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية: د. لقبال موسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979.

16- سانت آرنو أوالشرف الضائع: فرانسوا سبيرو ، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر 2001.

17- السلطة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي: تأليف محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، بيروت 1986.

18– صفحات في تاريخ مدينة الجزائر: نور الدين عبد القادر، كلية الآداب بجامعة الجزائر، مطبعة البعث سنة 1965.

19- فرحات عباس رجل الجمهورية: حميد عبد القادر.دارالمعرفة. الجزائر،سنة 2006.

20 - فرحات عباس رجل دولة: تاليف علي تابليت، دار ثالة للنشر. الجزائر 2007.

21 -الكامل في التاريخ لابن الأثير،الجزء التاسع، ط. دار الاستقامة، القاهرة سنة 1958.

22 - فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة: تقديم وتعليق يحي بوعزيز. ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون تاريخ.

23 - قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: د. جمال قنان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993.

24 - كفاح الجزائر من خلال الوثائق: د. يحي بوعزيز. الموسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986.

26 - مجاعات قسنطينة: تحقيق وتقديم رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.

27 - مجسم مدينة جيجل: د. ناصر الدين سعيدوني (مخطوط).

28 - محمد الشاذلي القسنطيني: تقديم وتعليق الدكتور ابو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.

29 - محمد الصالح العنتري: مراجعة وتقديم وتعليق د. يحي بوعزيز. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

41 - المرآة: تاليف حمدان خوجة، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975.

42- المغرب الاسلامي، سياسة ونظام:د.لقبال موسى،نشر مطبعةالبعث بقسنطينة 1969.

43 - مواقف العائلات الارستقراطية من الباشاغا المقراني: د. يحي بوعزيز. الموسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1994.

44 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: تاليف الشريف الادريسي. الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971.

45 - نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر: د. جمال قنان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993.

46 - النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني: د. ناصر الدين سعيدوني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

47 - وصف إفريقيا: ليون الافريقي (حسن الوزان) ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة العامة للتأليف والنشر. القاهرة 1993.

48 - يهود الجزائر (جزآن) : فوزي سعد الله، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط2. الجزائر 2005.

ثانيا: بالفرنسية:

أ -الكتب الفرنسية:

1- (Charles Feraud) :
* (L'histoire de Djidjelli)
* (L'histoire de Bejaia)
* (L'histoire de Skikda)

2 - Granger Yvette – l'histoire de Djildjelli.

3 - P Marcais – le parler arabe de Djidjelli (1952).

4 - Retout – l'histoire de Djidjelli (1927).

ب - الصحف الاستعمارية (جرائد ومجلات):

1- الجريدة الرسمية للولاية العامة (جميع الأعداد الصادرة ما بين 1865- 1890).

2- جرائد المبشر والاخبار والجزائر فرنسية الصادرة ما بين سنوات 1850 - 1900.

ثالثا . المجلات والدوريات بالعربية:

1- مجلة الثقافة (الاعداد 18، 36، 58، 85، 88.

2 . مجلة الاصالة (الاعداد 3، 17، 29).

3 . مجلة الدراسات التاريخية عدد9.

4 . مجلة تاريخ وحضارة لسنة 1974 وسنة 1987.

5 . مجلة مديرية الثقافة لولاية جيجل الخاصة بالمحاضرات التي القيت في الملتقى المنعقد ايام 18 - 19 - 20 ماي 1998، محاضرة الدكاترة عمر قلماوي، غانم محمد عمراوي، احميدة بن صالح، صالح بن قربة، نوار ساحلي.

6 . مجلة نسمات الكورنيش العدد الأول.

7 . جريدة جيجل أنباء الصادرة أيام 12، 19، 26 جوان 2002.

رابعا . أرشيف ولاية قسنطينة وجيجل

1 . الأرشيف الوطني. علبة 7 السجل 33.

2- زمامات (سجلات الضرائب في العهد العثماني) بني فاسوس بني جعفر وطن بالحسن وطن يسر الشرقي.

3 . أرشيف ولاية قسنطينة (البلديات التامة والمختلطة).

4 - أرشيف بلديات الشقفة، الطاهير، جيجل (دفتر الأم للحالة المدنية).

الفهرس

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، وهي دراسة تكتنفها صعوبات جمة من حيث أن الموضوع بكر تقريبا، ومن حيث قلة المصادر والمراجع وخاصة فيما يتعلق بالحقب التاريخية القديمة، وقد أشار إليها المؤلف في المقدمة وفي العديد من فصول الكتاب. ومع ذلك فقد بذل من الجهود المضنية ما يقتضي التنويه بعمله غير المسبوق. وعلى الرغم من أنه التمس من القارئ ألا ينتظر منه الكثير من المعلومات فيما يتعلق بالفصول الأولى من الكتاب المكرسة لتاريخ المنطقة القديم، إذ يعتبر هذه الفصول مجرد توطئة للموضوع الرئيسي الذي يتوخاه الكتاب وهو دراسة العهدين العثماني والفرنسي، إلا أن القارئ مهما كانت نوعيته، سوف يجد بالتأكيد الكثير مما يفتقده في الكثير من المؤلفات حول تاريخ المنطقة.

ويمكن القول بأن الكتاب من هذا الجانب يشكل بحثا تأسيسيا بأتم معنى الكلمة، باعتبار أنه لا يوجد لحد الآن من أفرد كتابا خاصا بالمنطقة، وهو عمل تأسيسي من جانبين: الجانب الأول يتمثل في السبق الذي حققه من خلال الكتابة في تاريخ المنطقة بشكل مفصل، والجانب الثاني - وهو الأهم في نظرنا - يتجلى في الرؤية الكلية لتاريخ المنطقة في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وخاصة خلال العهدين العثماني والفرنسي، مع التركيز دوما على بعدين: البعد الأول يتمثل في إعطاء أهمية فائقة للمقاومة الشعبية المتعددة الأشكال التي خاضها سكان المنطقة ضد الاحتلال الأجنبي أيا كان شكله طيلة تاريخها القديم والحديث، وخاصة الاحتلال الفرنسي، الذي كان يسعى منذ بداية تواجده إلى فرض نمط الاستعمار المباشر على المنطقة. والبعد الثاني يتجلى في اهتمام المؤلف بإبراز الخصوصية الاجتماعية والثقافية التي يتسم بها السكان والتي حافظوا عليها في شتى العصور، مع تطلعهم في نفس الوقت إلى الخروج من القوقعة التي حاول الغزاة فرضها عليهم بشتى الوسائل، وخاصة الاستعمار الفرنسي.

وبعد، فهذا التقديم الموجز لبعض جوانب الكتاب وطابعه التأسيسي الرائد - وهو عبارة عن قطرة في محيط - لا يغني قطعا عن تصفحه والاستمتاع بقراءته والإفادة من المعارف والمعلومات الدقيقة التي تضمنها عن مختلف الحقب التي مرت بها المنطقة وخاصة خلال الوجودين العثماني والفرنسي. ولا يفوتنا في النهاية إلا أن نعبر عن أمنيتنا في أن يتمكن الباحث من الوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه في نهاية الكتاب وهو إكمال الحقبة المعاصرة من تاريخ المنطقة والتي تمتد من بداية القرن الماضي (القرن العشرين) إلى سنة 1962، تاريخ استرجاع بلادنا لاستقلالها وسيادتها.

الناشر